الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي بغرداية
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الاجتماع

القيم الدينية للطرق الصوفية والتنشئة الاجتماعية

دراسة ميدانية لعلاقة الآباء بالأبناء في الزاوية التجانية

بعين ماضي "الأغواط"

مذكرة شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص: تربوي ديني

من إعداد الطالب
توائي خضروي

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد العزيز خواجة

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور.....أحمد رميتة.....رئيسا

الدكتور.....عبد العزيز خواجة.....مشرفا ومقررا

الدكتور.....محمد الساسي الشايب.....عضوا

الدكتور.....أحمد بن الشين.....عضوا

السنة الجامعية: 2011- 2012

إهداء

إلى المبعوث رحمة للعالمين أستاذ البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إليكي يا أول من استقبلتني في هذه الدنيا وأحاطتني بالرعاية والحنان إليكي أمي.

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

إلى أجدادي تواتي، عمر، أم الخير، عائشة، رحمهم الله

إلى من تقاسمت معهم حلو الحياة ومرّها إخوتي الأعزاء

محمد، المغربي، فتيحة، عسلة، عمر

وإلى زوجات أخوتي وإلى كل كتاكيت العائلة

إلى أخوالي وأعمامي وجميع العائلة

إلى أصحاب العشرة الحسنة والقلوب الطيبة ربيح، حمادة، نورالدين، ميلود، أحمد بوشمال، ساعد، الزبير، لخضر الصوار، المجدوب .

إلى كل طلبة دفعات ماجستير علم الاجتماع التربوي والديني

إلى كل من يحمل لي في قلبه محبة سواء كان قريبا أو بعيدا

إلى كل من جمعتني بهم اللحظات الجميلة

إلى كل من يتصفح طيبات هذه المذكرة

أهدي ثمرة جهدي

تواتي

شكر

نحمد الله تعالى الذي أشرقت لنور وجهه الظلمات ونحمده سبحانه

أن وفقنا وأعاننا على إتمام هذا العمل

و الشكر الموصول إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد العزيز خواجة

الذي شرفنا بمتابعة هذا المجهود من أوله وكان نعم الموجه والمرشد لتظهر هذه المذكرة

بالشكل الذي هي عليه الآن جزاه الله عنا خير جزاء

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى من ساعدنا من قريب أو

بعيد على إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر الدكتورة زيزياح سعيدة

كما أتقدم بالشكر إلى الأساتذة الذين أطرونا خلال مسيرتنا العلمية واخص بالذكر رميتة

محمد ، حسان هشام، الشايب الساسي، لعلى بوكميش، معراج، عبد الحاكم.

كما لا ننسي من ساعدنا أو وجهنا حتى ولو بالكلمة الطيبة.

وأتقدم بالشكر أيضا إلى الزاوية التجانية وكل مشايخها ومريديها .

قائمة الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	يمثل توزيع العينة حسب السن	126
02	يمثل توزيع العينة حسب المستوى التعليمي	127
03	يمثل توزيع العينة حسب الحالة العائلية	128
04	يمثل توزيع العينة حسب العمل	128
05	يمثل توزيع العينة حسب المهنة	129
06	يمثل توزيع العينة حسب أداء الصلاة مع الجماعة	130
07	يمثل توزيع العينة حسب أداء الأبناء للصلاة في وقتها	131
08	يمثل العلاقة بين التزام الآباء بأداء الصلاة مع الجماعة وبين أداء الأبناء للصلاة في وقتها	132
09	يمثل توزيع العينة حسب الالتزام بأداء الورد المعلوم	133
10	يمثل العلاقة بين التزام الآباء بأداء الورد المعلوم في وقته و حرص الأبناء على حفظ الورد المعلوم	134
11	يمثل توزيع العينة حسب الالتزام بقراءة القرآن	135
12	يمثل العلاقة بين سبب البقاء في الطريقة وبين قراءة الأبناء للقرآن الكريم	136
13	يمثل توزيع العينة حسب قراءة الأبناء للقرآن الكريم	137
14	يمثل توزيع العينة حسب المواظبة على حضور الهيللة مع الجماعة	138
15	يمثل العلاقة بين مداومة الآباء على مجلس الذكر وبين ذهاب الأبناء إلى هذا المجلس	139
16	يمثل توزيع العينة حسب ذهاب الأبناء إلى مجلس الذكر(الوظيفة)	140
17	يوضح العلاقة بين سن الآباء وبين ذهاب الأبناء إلى مجلس الذكر	141
18	يوضح العلاقة بين مشاركة الآباء في احتفالات المولد وبين ذهاب الأبناء إلى هذه الاحتفالات	143
19	يمثل توزيع العينة حسب سبب إتباع الطريقة التجانية	145

20	يمثل توزيع العينة حسب مدى تأثير الانتقادات الموجهة للشيخ وللطريقة التجانية	146
21	يمثل توزيع العينة حسب وجود صعوبة في الانتقال لطريقة أخرى	147
22	يمثل توزيع العينة حسب العلاقة مع الوالدين فيما يخص إتباعه للطريقة	147
23	يمثل توزيع العينة حسب مدى استيعاب الأبناء للمنهج الروحي للطريقة	148
24	يمثل توزيع العينة حسب الاقتناع بالطريقة التجانية	149
25	يوضح العلاقة بين الاعتزاز بالانتماء للطريقة وبين وجود صعوبة على الأبناء في تعلم مبادئ الطريقة التجانية	150
26	يوضح العلاقة بين الاقتناع بالبقاء في الطريقة وبين قراءة الأبناء للقرآن الكريم	151
27	يمثل توزيع العينة حسب استمرار الوفاء لشيخ الطريقة التجانية	152
28	يوضح العلاقة بين تقبل النقد من الشيخ وبين خروج الأبناء عن تعاليم الطريقة	153
29	يمثل توزيع العينة حسب زيارة الأولياء غير التابعين للطريقة التجانية	155
30	يوضح العلاقة بين تخاصم الزملاء وبين تغير الأبناء	156

مقدمة :

لا شك أن الدين هو أمر يهم الناس كافة والدين يتصف بالعالمية ،هذه العالمية قد جاءت من فكرة محددة وهذه الفكرة هي "مخلوقية الإنسان" قد جاء ذكر ذلك على لسان عدد كبير من علماء الاجتماع الديني في كافة أرجاء العالم فالدين لم يتوقف عند حد معين، بل إن أفكاره طرأ عليها الكثير من التغيير في الآونة الأخيرة لكن من المهم هنا أن نذكر أن جوهر الدين لم يتغير في شيء وإنما جاء التغيير في الأشكال المعبرة عنه – عن الدين بطبيعة الحال– ونحن إذا نظرنا للدين نظرة فاحصة فسوف يتبين لنا أنه ظاهرة عالمية، رغم اختلاف وجهات النظر، هنا يظهر لنا سؤال ملح، وهو سؤال مؤداه: – لماذا يأخذ الدين مواقف متنوعة داخل المجتمع؟

والإجابة على هذا السؤال هو أن التنوع حصيلة الاحتكاك الثقافي داخل المجتمع وبين المجتمعات وبعضها البعض بعض المجتمعات بل أكثرهم ينظرون إلى الدين على أنه عقيدة وأن هذه العقيدة ملزمة للجميع ومع ذلك فإن بعض الناس ينظرون للدين على أنه مجرد ظاهرة اجتماعية وإن كانت ترقى إلى حد العالمية .

قد أدى الخلاف في وجهات النظر حول هذا الموضوع إلى ظهور العلوم الدينية المختلفة ومن أشهرها اللاهوت الفلسفة الدينية، تاريخ الأديان، الكثير من الدراسات الاجتماعية والنفسية التي تتعلق بأمور الدين وكانت محصلة هذه العلوم تصب في اتجاه واحد يقول بأنه من الممكن دراسة الدين دراسة علمية، وليس معنى هذا أن التعامل مع الدين من الناحية العلمية يخضعه لقوانين السبب والمسبب[1]، وفكرة "الألوهية" كانت العائق الذي وقف أمام البحث في حقيقة الدين، إن فكرة وجود موجود يختلف في وجوده عن غيره من الموجودات وتتجه إليه الموجودات كانت هذه الفكرة دائما تقف حائلا أمام البحث في حقيقة الدين في مقارنة مختلف صوره وفي تعبيره عن حياة الجماعة[2] ، بغض النظر عن هذا الموقف أو ذاك فممّا لا شك فيه أن الدين يمثل مجالا من الأنشطة والأشكال والرموز في منتهى الأهمية بالنسبة إلى الأفراد والجماعات وما لاشك فيه أيضا أن الظاهرة الدينية تحمل في طياتها عناصر حيوية وتصورات محركة بعمليات النشاط في الميادين المختلفة على الرغم من ذلك يبقى السؤال المطروح : كيف يتمكن عالم الاجتماع من مقارنة هذه الظاهرة[3]، نتناول هنا الدراسات المتعلقة بالظاهرة الدينية وتطورها ونبين كيف أصبح الدين موضوعا للبحث السوسيولوجي، وتعتبر ظاهرة الطرق الصوفية من الظواهر الاجتماعية الجديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان، فحول موضوعها اشتغلت مدراس العلوم

---

[1]– طارق كمال، **أساسيات في علم الاجتماع الديني**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون طبعة، 2009، ص5 6.

[2]– محمد أحمد بيومي، **علم الاجتماع الديني**، دار المعارف الجامعية ،الإسكندرية،ط2، 1994، ص9.

[3]– عبد الباقي الهرماسي وآخرون، **الدين في المجتمع العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1990، ص17.

الاستعمارية بكثافة بهدف استكشاف محتواها التركيبي والعقائدي، لتعرف قدرا لا بأس به من المداخلات في المناقشة العلمية حول ظهور عدة طوائف وجماعات وفرق إسلامية ولكل منها منهجيتها وطريقتها الخاصة في التفكير والتعبير، وتنظيم شؤونها.وبانتشار هذه الطرق الصوفية كان على أصحابها أن يقيموا مكانا خاصا لتثبيت أفكارهم الصوفية لتقدم لمختلف فئات المجتمع وكان المكان المخصص لهذه الطرق الصوفية محددا بحيز يدعي بالزاوية وهو معرف بالمغرب العربي وبالرباط أو الخنقاة في المشرق العربي ، بها نظام خاص وبرنامج يسير شؤونها فكانت بمثابة مراكز التعليم حيث فتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة وأنفقت عليهم.

وإذا ما نظرنا من الناحية الاجتماعية فنجد أن الطرق الصوفية عملت على إزالة الخلافات بين مختلف فئات المجتمع وفك النزاع بين العشائر والقبائل وإزالة الفوارق، وبذلك كثرت في المدن والأرياف الأضرحة والزوايا والقباب التي تؤدي دورا اجتماعيا كإيواء العجزة والمساكين والغرباء، ليكون بذلك الشيخ الذي يترأس أو يمثل الطريقة الصوفية هو بمثابة المسؤول والحاكم بين الأفراد، والذي يفصل في جميع القضايا والخلافات الاجتماعية .

ولقد تناولت الكثير من الدراسات تاريخ هذه الطرق الصوفية، فمنهم من يرى أنها مجتمع مغلق مبني على عصبية دينية قبلية ومنهم من يرى أنها فئة تشبه الجماعة الضاغطة، تستند على الدين لتحقيق أهداف دنيوية في السياسة والمصالح الدينية، ومنهم من يرى أنها في زواياها أوكارا للبدع والخرافات وبؤرا للمفاسد ومنبعا للعادات السيئة التي تشد الفرد إلى الوراء، وفي المقابل هناك من يرى أن هذه الطرق الصوفية مركزا للإشعاع الروحي والعلمي، ومنبعا للهداية والفضيلة والأخلاق والقيم النبيلة، وهناك من يرى بأنها رؤية جديدة للدين تهدف إلى ترسيخ تعاليم الإسلام والدعوة، والعودة إلى السنة المحمدية في الحياة، إن هذه الطرق الصوفية ظهرت في مختلف مناطق الجزائر منها القادرية والرحمانية والشاذلية والهبرية والتجانية ...الخ .[1]

وهذه الأخيرة هي موضوع دراستنا التي ظهرت على يد الشيخ أحمد بن سالم التجاني، هذه الطرق الصوفية كان مقرها الزاوية التي تطورت عبر الزمن فمن الرباط إلى الزاوية ومن الجهاد إلى الإيواء وأيضا كان لها نصيب في التربية والتعليم وذلك بتحفيظ القرآن وتربية النشء على الأخلاق الإسلامية، وتعدّت ذلك أيضا بالمحافظة على الثوابت الوطنية وكذا لها أدورا أخرى مثل الوظيفة الاقتصادية المتمثلة في جمع الزكاة والصدقات وتوزعها على المحتاجين، وتقوم بإيواء الفقراء والمساكين والمشردين واليتامى ويقصدها عابري السبيل، هذا ما نلمسه في الزاوية التجانية التي عمل علمائها أيضا على غرس القيم الدينية والأخلاق الحميدة والآداب الإسلامية الفاضلة في نفوس

[1]- زيزاح سعيدة، **الرحلة التاريخية لظاهرة الطرق الصوفية من المشرق إلى المغرب**، الملتقى الدولي حول الطرق الصوفية في ظل التغير الاجتماعي، قسم علم الاجتماع، جامعة عمار ثليجي، الأغواط ، 20/19 أفريل 2009.

مريدي الطريقة، ويتضح ذلك من خلال منهج الطريقة التي بذلت جهودا مقدرة في تنمية الجانب الروحي للفرد المسلم والاهتمام بالجانب المعنوي الذي هو الأهم في حياة الإنسان، والجانب الأخلاقي وضبط سلوكهم، ويعلو على المادية الحسية ويتطلع إلى الجانب المضيء في بنائه الشخصي وهو الروحي .ومن خلال هذا البحث سنحاول تسليط الضوء على هذا الجانب وهو الجانب التربوي في الطريقة التجانية المبني أساسا على القيم الدينية الإسلامية، وما مدى تأثر الأسر التجانية بهذا الجانب وللمعالجة النظرية للموضوع من الناحية السوسيولوجية، ارتأينا إسقاط الدراسة على الزاوية التجانية ببلدية عين ماضي . وسنعتمد في بحثنا على الخطوات التالية، مدخل: المحددات المنهجية، يأتي طرح إشكالية الدراسة وصياغتها أولا وفيه أيضا تحديد الموضوع وأسباب اختياره والهدف من دراسته ثم الدراسات السابقة كما سيتم تحديد المفاهيم أو المصطلحات التي يتكرر استعمالها كالقيم، التصوف، الزاوية وآخر نقطة في الفصل سنذكر التقنية والمنهجية المتبعة والصعوبات التي صادفت مراحل انجاز هذا البحث واعتمدنا على أربعة فصول، الفصل الأول بعنوان الدراسة النظرية للقيـــــم الدينية نتطرق فيه إلى دراسة نظرية للقيـم والقيم الدينية، والفصل الثاني سيتضمن مدخل حول تاريخ حركة التصوف والطرق الصوفية والزوايا وأهم الطرق الصوفية في الجزائر، أما الفصل الثالث سيتم فيه الحديث عن التنشئة الاجتماعية الصوفية ويتم التطرق فيه إلى التنشئة الاجتماعية والتنشئة الدينية والتنشئة الصوفية، والفصل الرابع والذي يشمل نخاع البحث السوسيولوجي والمتمثل في الجانب الميداني أي العصب الحي للبحث أين سيتم استجواب عينة من الآباء المريدين في الطريقة التجانية عن طريق الاستمارة بالمقابلة ثم نتطرق إلى تحليل الفرضيتين اللتان طرحتا في البداية ثم تحليل الجداول الإحصائية ، وأخيرا نختتم هذه الدراسة بالنتائج التي سنتحصل عليها في التحقيق الميداني.

فهرس المحتويات

شكر

إهداء

قائمة الجداول

مقدمة

مدخل: المحددات المنهجية

1. تحديد إشكالية الدراسة.....05

2. الفرضيات.....06

3. أسباب اختيار الموضوع.....07

4. أهداف الدراسة.....07

5. تحديد المفاهيم 08

6. الدراسات السابقة.....12

7. صعوبات الدراسة.....13

الفصل الأول: الدراسة النظرية للقيـــــم الدينية

تمهيد.....15

المبحث الأول: دراسة نظرية للقيــم

1.مدخل لدراسة القيم.....15

1.1. مفهوم القيم.....15

2.1. تعريف القيم.....16

3.1. القيم في اللغة.....17

4.1. القيم في الاصطلاح التربوي.....19

2. المقاربة النظرية في دراسة القيم.....20

1.2.المنظور الاجتماعي.....21

1.2. المنظور النفسي.....23

1.2. المنظور الفلسفي.....25

3. خصائص القيم.....26

1.3. قيم ذاتية.....26

2.3. قيم نسبية.....26

3.3. قيم ثابتة نسبيا.....26

4.3. علو القيم.....26

5.3.كثرة القيم ووحدتها.....26

4. مصادر القيم ومباحثها.....28

1.4. الموقف الفلسفي.....29

2.4. موقف الوجودية.....30

5. تصنيف القيم.....33

6. أشكال القيم.....36

المبحث الثاني: القيـــــم الدينية

1. مفهوم القيم الدينية.....37

2. أهمية القيم الدينية.....38

3. القيم عند الصوفية.....41

4. اكتساب القيم وتعليمها.....43

خلاصة الفصل.....46

الفصل الثاني: تاريخ حركة التصوف والطرق الصوفية والزوايا

تمهيد.....48

المبحث الأول: حركة التصـــــوف

1. كرونولوجيا ظاهرة التصوف 49

2. نشأة الصوفية في المشرق العربي.....51

3. أهم الشخصيات الصوفية.....54

4. ظهور التصوف في المغرب العربي.....60

المبحث الثاني: الطـــــرق الصوفية

1. عوامل نشأة الطرق الصوفية.....64

2. خصائص ومميزات الطرق الصوفية.....65

3. وظائف الطرق الصوفية.....67

4. أهم الطرق الصوفية.....69

5. أنواع الطرق الصوفية. 74

المبحث الثالث: ظهـــــور الزوايا

1. تعريف الزوايا.....75

2. نشأة الزوايا وتطورها.....76

3. انتشار الزوايا ومراكزها الكبرى عبر الجزائر.....78

4. أنواع الزوايا في الجزائر. 79

5. وظائف الزوايا.....81

خلاصة الفصل 85

الفصل الثالث: التنشئة الاجتماعية الصوفية

تمهيد.....87

المبحث الأول: التنشئـــة الاجتماعية

1. ماهية التنشئة الاجتماعية.....88

2. خصائص التنشئة الاجتماعية.....89

3. أشكال التنشئة الاجتماعية.....90

4. مؤسسات التنشئة الاجتماعية.....90

5. أهمية الأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية..... 93

6. أهداف التنشئة الاجتماعية.....94

7. نظريات التنشئة الاجتماعية.....95

المبحث الثاني: التنشئـــة الدينية

1. الوظائف الاجتماعية للدين.....96

2. مصادر التنشئة الدينية.....98

3. مراحل التنشئة الدينية.....99

4. أهداف التنشئة الدينية.....100

5. أساليب التنشئة الدينية.....103

المبحث الثالث: التربية الصـــوفية

1. الانتساب إلى الطرق الصوفية.....105

2. النظام الصوفي التربوي.....108

3. أساليب التنشئة في الطرق الصوفية.....112

4. إنجازات الطرق الصوفية في خدمة الإسلام.....115

5. الآثار الاجتماعية للتصوف.....116

خلاصة الفصل.....119

الفصل الرابع: علاقة الآباء بالأبناء في الطريقة التجانية

تمهيد.....121
المبحث الأول: المحددات الميدانية
1. المنهج المستخدم في البحث.....121
2. أدوات جمع البيانات.....122
3. البحث الاستكشافي.....123
4. المجال المكاني والزماني.....124
5. ضبط العينة وخصائصها 125
6. البيانات التعريفية.....126
المبحث الثاني: التزام الأب المريد في الطريقة التجانية والقيم الدينية للأبناء.
1. التزام الأب المريد بأداء الصلاة مع الجماعة وتأثير ذلك على الأبناء.....130
2. التزام الأب المريد بأداء الورد المعلوم في وقته وتأثير ذلك على الأبناء.....133
3. الالتزام الأب المريد بقراءة القرآن وتأثير ذلك على الأبناء. 135
4. مواظبة الأب المريد على حضور الهيللة والوظيفة مع الجماعة وتأثير ذلك على الأبناء.....138
5. التزام الأب المريد بالمشاركة في احتفالات المولد وتأثير ذلك على الأبناء.....143
المبحث الثالث: ولاء الأب المريد لمرجعيات ومشايخ الطريقة التجانية والقيم الدينية للأبناء.
1. تمسك الأب المريد بالطريقة التجانية وتأثير ذلك على الأبناء.....146
2. اقتناع واعتزاز الأب المريد بإتباعه للطريقة وتأثير ذلك على الأبناء.....149
3. ولاء الأب المريد لمشايخ ومرجعيات الطريقة وتأثير ذلك على الأبناء.....153
4. الإصلاح بين الزملاء وتأثير ذلك على الأبناء.....156
خلاصة الفصل.....159
خاتمة.....161
الملاحق

مدخل: المحددات المنهجية

1. تحديد إشكالية الدراسة
2. الفرضيات
3. أسباب اختيار الموضوع
4. أهداف الدراسة
5. تحديد المفاهيم
6. الدراسات السابقة
7. صعوبات الدراسة

أولا: تحديد إشكالية الدراسة

يعتبر الاهتمام بموضوع الطرق الصوفية من قبل الباحثين محاولة لفهم أصول الصوفية ونشأتها في الإسلام وتطورها عبر التاريخ من أجل التحليل السوسيولوجي والفهم المعمق لمعرفة أثرها على المجتمع بصفة عامة وعلى الأفراد بصفة خاصة. فلا تزال الطرق الصوفية تحتل مكانة هامة في التراث الإسلامي على الرغم من تعددها وتفرعها والاهتمام بهذه الطرق قديم يرجع إلى دراسات المؤرخين والعلماء العرب والمسلمين كالطوسي والكلاباذي والقشيري وغيرهم أما عن ابن خلدون فنجده قد عقد لنا فصلا ممتازا في كتابه القيّم "المقدمة " سماه علم التصوف هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى .

كما برزت الزوايا الصوفية وأصبحت مركزا للذكر وتلاوة أحزاب وقراءة الأوراد فأصبحت لكل طريقة زاوية يجتمع فيها مريدوها، وكثيرا ما تتصل الطرق الصوفية بمفهوم التنشئة التي يكتسب من خلالها الفرد القيم الدينية والروحية فهي تساعد أيضا على التزود بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالدين وتقوم أساسا على الاهتمام به ليصبح موجها حقيقا في تعامل الأفراد مع واقعهم، بالاعتماد على منطلقات هذا الفكر الديني ومسلماته ومبادئه فقد قال أحد المستشرقين الأوائل في أوربا " إن الصوفيين ليسوا بحاجة إلى نشر حبهم القلبي ولكنهم يستخدمون أدواتهم الروحية في علاقاتهم وبناءا على ذلك كسبوا أعداد هائلة لطريقتهم في آسيا الوسطى وفي إندونيسيا وجنوب شرق آسيا وتركيا وحتى أوربا "[1]

من هذه الطرق الصوفية التجانية التي اشتهرت بكثرة زواياها في العديد من البلدان العربية والإفريقية الإسلامية، فمن بين هذه القيم التي تصهر هذه الطريقة على إعطائها الحظ الأوفر، وهي إيواء الغرباء والمساكين والضيوف وإطعامهم، وإقامة الصلوات الخمس، وتلاوة القرآن الكريم،وإقامة احتفالا المولد وليلة القدر، وذكر لأراء التجانية وأخيرا تعليم النشء اللغة العربية وعلوم الدين المختلفة، فالتصوف في منهج هذه الطريقة هو الجانب الأخلاقي في الإسلام، فإن الالتزام به أشق على النفس من الالتزام بسائر تعاليم الإسلام الأخرى، باعتبار أن ترويض النفس على الأخلاق الفاضلة يستدعي مجاهدة أهوائها وشهواتها هذا ما يشدد عليه شيوخ هذه الطريقة ويلقنوه لأتباعها، وهذا سر عزوف الكثيرين عن سلوك طريق التصوف وتعثر بعض السالكين للطريقة.

[1] – لمزيد من التفصيل، انظر الموقع **htt :www.alsoufia.com//articles .aspx ?id = 1961** تاريخ الزيارة 2011/01/25 على الساعة 11:30.

إن الطريقة التجانية طريقة صوفية في حقيقتها وجوهرها ومنهجها التربوي وذلك من تصميم الإسلام تستهدف تزكية النفس وتطهيرها من رذائلها الخلقية وتزويدها بفضائل الإسلامية، هذا ما عمل عليه علماء الطريقة التجانية على غرس القيم والأخلاق والآداب الفاضلة في نفوس مريدي الطريقة التجانية، من هذه النقطة نجد أنه قد تبلورت لدينا تساؤلات كثيرة تدور حول هذه الطريقة الصوفية وما تقدمه من منهج تربوي ديني لأتباعها وكيف أن هؤلاء الأتباع ينقلون ما نهلوه من قيم دينية لتنشئة أبناءهم، من خلال ذلك ارتأينا طرح **الإشكالية** التالية :

هل الآباء المريدون المنتمون للطريقة التجانية ينشئون أبنائهم وفق القيم الدينية والتربوية التي يتلقونها من الطريقة ؟

وتتفرع من هذه الإشكالية بعض التساؤلات الجزئية التالية :

- ما طبيعة الدور الذي تؤديه هذه الطريقة في تنشئة أبناء الأسر المنتمين إليها .
- هل توجد أساليب تربوية معينة تعتمدها الطريقة التجانية ؟
- هل يعمل الآباء المنتمين للطريقة التجانية في ترسيخ قيم وقواعد أخلاقية لأبنائهم ويتحدثون معهم عن نهي الإسلام وأوامره في أوقات كثيرة حتى ترسخ في ذهنهم ؟
- هل ينقل مريد الطريقة التجانية القيم الدينية التي تلقاها من علماء الطريقة ومنهجها التربوي في تنشئة أبناءه؟

ثانيا :الفرضيات

من أهم مرتكزات البحث صياغة الفرضيات، لذا يقوم الباحث بربط الأسباب بالمسببات وهذه تحتاج جهدا من الباحث إضافة إلى الوقت اللازم لذلك، لهذا ووفقا للأهداف المتوخات من محاولة الكشف عن مدى تأثير القيم الدينية للطرق الصوفية على التنشئة الاجتماعية سوف نحاول صياغة فرضية عامة مفادها

الفرضية العامة :

يسعى الآباء المنتمون للطريقة التجانية إلى تربية أبنائهم وفق المنهج الديني التربوي للطريقة.

والتي تفرعت عنها فرضيتين جزئيتين

الفرضيات الجزئية :

1- كلما زاد التزام الأب المريد في الطريقة التجانية زاد نقله للقيم الدينية لأبنائه

2- كلما زاد ولاء الأب المريد لمرجعيات الطريقة التجانية زاد نقله للقيم الدينية لأبنائه .

ثالثا: أسباب اختيار الموضوع.

تعود أسباب اختيار الموضوع إلى سببين أساسيين.

1)السبب الذاتي :

عودة إلى الرغبة في إحياء هذه المعالم من تراثنا الثقافي، وإبراز ضياء منارات حافظت على كتاب الله الكريم والثقافة الإسلامية في عتمة الاستعمار وحملات التنصير والتجهيل التي قادها الاستعمار، والميل الشخصي لدراسة موضوع يشوبه الغموض سوسيولوجيا وتطرح عنده العديد من الاستفهامات وهو نقل القيم الدينية لأبناء مريدي الطرق الصوفية ، أيضا قلة الدراسات الميدانية والمتعلقة بهذا الموضوع ذات الطابع التربوي الديني

2) السبب الموضوعي:

هو أن موضوع الطرق الصوفية لم يلقى الحظ الوافر من حيث الدراسات السوسيولوجية ولم يحظ باهتمام يفي بحجم الرسالة التي تبنتها، كما كان للطرق الصوفية دور عظيم في الحفاظ على الكتاب العظيم واللغة العربية و مقاومة التنصير، كذلك هذا الموضوع يصب في مجال التخصص إذ ليس من الموضوعية في علم الاجتماع التربوي الديني أن نترك قضايا جوهرية من هذا القبيل على الهامش دون دراستها.

ومحاولة إثراء المكتبة الجامعية بدراسة أولية عن الطرق الصوفية وتحديدا الطريقة التجانية

رابعا: أهداف الدراسة:

تتطلب طبيعة الإشكالية استعمال المنهج الوصفي التحليلي الذي ينطلق من الواقع" فهو يستمد معلوماته من واقع الظاهرة وهو يصفها" [1].

الهدف منه هو محاولة الإجابة عن الأسئلة الواردة في الإشكالية وهي:

1- الوقوف على علاقة الآباء بالأبناء في الزاوية التجانية وذلك بالتعمق في فهم عملية التنشئة وتحليلها من الجانب السوسيو ديني، لإضافة مساهمة ولو بسيطة إلى المساهمات التي قدمت في هذا المجال

2- إعطاء لمحة تاريخية عن الطرق الصوفية، عن نشأتها وتطورها وانتشارها وعن تأسيسها والمراحل التاريخية التي مرت بها

[1]- تحسين أحمد، **منهجية البحث العلمي**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، بط،1998 ، ص188 .

3– الوقوف على مدى تأثر أبناء مريدي الطرق الصوفية بالقيم الدينية التي يتلقاها آباؤهم ، أمام العولمة التي هي أخطر مظاهر التبشير وهي غزو اقتصادي وتبعية في الأفكار وفرض قيم أجنبية على الثقافة والدين الإسلامي وتربية الأبناء .

4– إيضاح رسالة الطرق الصوفية في الحفاظ على دورها التعليمي والتثقيفي والحفاظ على كيانها، كتراث ثقافي ومحلي متميز ومستمر.

خامسا: تحديد المفاهيم

1) التصوف

لغة: لم تعرف كلمة التصوف في لغتنا اشتقاقا واحدا يتفق عليه، إذ قيل أنها مشتقة من صفاء القلوب وقيل أنها مشتقة من الصفة أو صفة المسجد، مكان في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يجلس فيه متعبدون زهاد [1].

أو من الصف وهو اشتقاق مشكوك فيه كثيرا وهو الصف الأول في المسجد أو من اللفظ اليوناني "صوفوص" أي حكيم[2].

أما الاشتقاق الشائع أو المعروف على حد قول ابن تيمية فهو نسبة إلى لبس الصوف وهذا القول يؤيده السهرودي مدللا على ذلك أنه اقتداء بالأنبياء والرسل ويؤيده ابن خلدون فيما بعد.

اصطلاحا: إذا كان الاشتقاق اللغوي قد تعدد فإن التعريف الاصطلاحي سيزداد تعددا وتنوعا وقد أحصيت في الرسالة القشيرية وحدها أكثر من خمسين تعريفا ركزت أغلبها على وصف الرجل الصوفي وسلوكاته حتى تكاد تتخلص في القول بأن التصوف هو الأخلاق[3].

كما يقول ابن عجيبة أن التصوف هو صدق التوجه إلى الله بما يرضاه ومن حيث يرضاه، ولقد كادت كتب التصوف تجمع على أنه صدق التوجه المشروط برضا الله سبحان وتعالى.[4]

2) الطريقة الصوفية:

لغة: الطريقة أو السبيل أو المنهج

1- ساعد خميسي، **حول حقيقة التصوف**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاجتماعية، قسنطينة، مطبعة البعث، العدد 12 ،2002، ص 75.

2- الفرد بل، **الفرق الإسلامي في الشمال الإفريقي**، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987، ص 374.

3- ساعد خميسي، **المرجع نفسه**، ص 77.

4- السيد يوسف هاشم الرفاعي، **الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة**، دار النشر غير موجودة، الكويت ، الطبعة الأولى، 1999، ص 33.

اصطلاحا: هي منهاج كل واحد من الأولياء و الطريقة و أوراده هي التي يلقنها إلى تلاميذه.

هي السيرة والطريقة أيضا المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات.

ويعرف "بديع الزمان سعيد النورسي" الطريقة الصوفية بأنها سبيل معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني، بخطوات القلب وصولا إلى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود[1].

وذكر الإمام الغزالي أن الطريق "الطريقة" أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى وبعبارة أخرى تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى[2].

تعريف إجرائي:

هي السبيل الذي يعبره السالك إلى الله بإتباع منهاج واحد من أولياء الصوفية في طريقته والتخلي عن كل خلق سيء والتحلي بكل خلق حسن.

3) الزاوية:

مأخوذة من الفعل انزوى، وينزوي، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد، وقد أدرك خلفاء المسلمين الأوائل حاجة المعتكفين إلى هذا الانزواء وأصبحت في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون المصلون ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر [3].

والزاوية كما يقول عنها الدجاني:"... المركز التعليمي للقبيلة، ففيها المدرسة القرآنية، التي يتلقى فيها أطفال القبيلة العلم، والمسجد الذي تقام فيه الصلوات، وتلقى الدروس التي يحضرها أفراد القبيلة "[4].

أما أحمد بن نعمان فيحدد الزاوية على أنها "مدرسة كبرى، تقع عادة في المناطق غير الحضرية، وهي ذات نظام داخلي، يتلقى فيها الطلبة دروسا لغوية ودينية، وبعض المبادئ في العلوم والرياضيات...وتمول من أملاك موقوف عليها من طرف بعض المصلحين"[5] .

---

[1]- سعيد عيادي، **التنشئة السياسية بين المدرسة والبيئة الثقافية**، رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 1990-1991، ص 20.

[2]- رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، دار الهدى، الجزائر ، الطبعة الثالثة، بدون سنة، ص 84.

[3]- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، 1967 ص 423.

[4]- سعيد عيادي، **مرجع سابق**، ص16.

[5]- الصالحين الحفيفي، **دور التعليم الديني في الحفاظ على التراث**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، مطبعة البعث، العدد 23، 2004، ص 221.

تعريف إجرائي: هي بيت أو مكان يشبه المسجد تقام فيه الصلوات ويعقد فيه المريدين اجتماعاتهم أين يذكرون الله ويدرسون فيه العلوم الدينية كما تعتبر مأوى للفقراء والضيوف ويتولى إدارتها مشايخ الطريقة الصوفية.

4) الطريقة:

هي المسيرة وطريقة الرجل و مذهبه يقال:ما زال فلان على طريقة واحدة أي حال واحدة وفلان حسن الطريقة والطريقة حال. [1]

في القرن الثالث والرابع الهجري،كانت الطريقة عبارة عن منهج أخلاقي يحدد عمليا ضروب السلوك الفردي وبعد القرن الخامس الهجري أصبح عبارة عن جملة مراسيم للتدبير الروحي المعمول به من اجل المعاشرة في الجماعات الاخوانية التي بدأت تظهر منذ ذلك التاريخ[2].

والطريقة في النظم الاجتماعية هي تجسيد المنهاج في المجال الديني على شكل تنظيم هرمي لإتباع ذلك المنهج تحت توجيه رائد ملهم وإشرافه يدين له أتباعه بالتعظيم والتبعية الفكرية والروحية، ومن أشهرها في الثقافة الإسلامية الطرق الصوفية التي تعد بمثابة مدارس فكرية يجمع بين أتباعها أوراد ومناهج سلوكية وأساليب تعبدية يصعد عن طريقها المريد على سلم المقامات والأحوال، وقد تكونت عدة طرق بالمشرق والمغرب العربيين كالطريقة الجيلالية نسبة إلى عبد الرحمن الجيلالي، والطريقة الرفاعية والطريقة الأحمدية نسبة إلى أحمد بدوي، والطريقة القادرية والسنوسية والرحمانية وغيرهم كثير، ولبعض الطرق الصوفية تاريخ سياسي بجانب نشاطها الديني كالطريقة المهدوية ومؤسسها المهدي زعيم الثورة السودانية ،كما أن لكل طريقة طابعها الخاص وبعض الطقوس التي تؤدي بها أذكارها وكم أدخلوا أمور أعدها بعض الفقهاء بدعا وكانت موضع نقاش بينهم وبين الصوفية ولا يزال للطرق الصوفية شأنها ونفوذها لدى عامة الشعب في كثير من البلاد الإسلامية[3].

تعريف إجرائي:

الطريقة منهاج يسلكه أتباع شيخ معين وهو نظام دقيق في السلوك الروحي يحيون من خلاله حياة جماعية في الزوايا والرباطات والخانقات، الطريقة التزام روحي واجتماعي لمنهاج الشيخ الأصلي.

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد العاشر، دار الطباعة والنشر، بيروت، ص221 .

[2]- إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون طبعة، 1983، ص218 .

[3]- مذكور إبراهيم، **معجم العلوم الاجتماعية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بدون طبعة،1975 ، ص511.

4) الدين

تعريف الدين:

لغة: يقول الباحثون في أصل هذه التسمية أن كلمة تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه (دانه يدينه) وتارة من فعل متعد باللام (دان له) وتارة من فعل متعد بالباء (دان به) وباختلاف الاشتقاق تختلف الصور المعنوية.

فإذا قلنا : (دان له) أردنا أنه طاعه وخضع له فالدين هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع وكلمة (الدين لله) يصبح منها كلا المعنيين الحكم لله أو الخضوع لله.

اصطلاحا:

اختلف الباحثون في علم الاجتماع حول تحديد معنى الدين ويشير أحد الباحثين إلى أن (جيمس لويا) أورد عام 1912 حوالي 49 تعريفا للدين[1].

فيعرفه ماكس مولر " بأنه محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير فيه، هو التطلع إلى اللانهائي، هو حب الله[2].

كما يعرفه شيلر ماخر بأنه خضوع الإنسان لوجود أسمى منه أما سبنسر فيقول: الدين هو الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر الأسرار وقد عرفه فقهاء الدين الإسلامي بأنه الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة ويعرفه علماء الكلام من المسلمين التدين بأنه الإيمان والاعتقاد بذات غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تدبر وتصرف وتحكم في الشؤون التي يعنى بها الإنسان، وأن هذا الاعتقاد يتطلب مناجاة تلك الذات الإلهية السامية في رغبة ورهبة وخشوع وتبجيل واحترام[3].

5)القيم

القيم في اللغة: قال الراغب* في المفردات "القيام والقوام: اسم لما يقوم به الشيء ويثبت كالعماد والسناد، لما يعمد ويسند به[4] " كقوله تعالى: (وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً)".[5]

---

[1]– حسن علي مصطفى حمدان، **نشأة الدين بين التصور الإنساني والتصور الإسلامي**، قسنطينة، مؤسسة الإسراء، ط1، 1991، ص 8.

[2]– محمد إبراهيم الفيومي، **محاضرات في منهج الدين المقارن**، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة، 2007، ص 10.

[3]– حسن عبد الحميد أحمد و رشوان، تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع، الإسكندرية: المكتب الجامعي، الطبعة الرابعة، 2003، ص 93.

* هو الحسين ابن محمد بن الفضل الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب أديب من الأدباء، سكن بغداد وتوفي سنة 502هـ، الاعلام2، ص255 .

[4]- الراغب الأصبهاني، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص 416.

[5] - سورة النساء، الآية 08.

تعريف إجرائي:

القيم مجموعة من المعايير والمقاييس المعنوية بين الناس يتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون به أعمالهم ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية، وهي مقياس أو مستوى أو معيار نستهدفه وينظر إليه على أنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه[61].

سادسا: الدراسات السابقة

1) دراسة " زيزاح سعيدة ": التي يدور موضوعها حول "**الأبعاد الاجتماعية والتربوية للطريقة التجانية** " سنة 2001، مذكرة **لنيل شهادة ماجستير في علم الاجتماع تخصص ثقافي** بجامعة الجزائر العاصمة، وتهدف إلى معرفة أبعاد الطريقة التجانية والكشف عن طبيعة الأدوار التي تؤديها اليوم، أما الإشكالية التي انطلقت منها الباحثة هي: ما هي الظروف التي أدت إلى تقلص مهامها بعد أن كانت هي العامل الكبير في نشر الإسلام لدول غرب إفريقيا ليتقلص دورها فيما بعد؟ أما الفرضية تمت صياغتها كالتالي: محافظة الطريقة التجانية على طابعها التقليدي أدى بها إلى عدم مواكبة العصر ومن ثم القصور في أداء مهامها، أما عن المنهج استخدمت الباحثة منهج التحليل الكيفي للوصول إلى تغيرات موضوعية للمعطيات اللفظية معتمدة على الملاحظة المباشرة كما استعملت المقابلة الحرة كتقنية أساسية وأخيرا تم التوصل إلى النتيجة التالية أن التغير الحاصل في المجتمع ككل هو تغير في الوظيفة الاجتماعية ومجالات أخرى التي تثير اهتمام أفراد المجتمع مما جعل هذه الطريقة تهمل من جهة وهذا للدور المحدود الذي كانت تقوم به.

2) من بين الرسائل الجامعية التي درست موضوع الطرق الصوفية، **مذكرة ماجستير "الطريقة التجانية بين الماضي والحاضر".** دراسة اجتماعية من خلال دراسة حالة زاوية عين ماضي بالأغواط **"من إعداد الطالب أحمد بن الشين.** تناول الباحث في الرسالة أهم الطرق الصوفية في الجزائر نشأتها وانتشارها وأيضا الزوايا، ثم تناول الطريقة التجانية المعروفة في الجزائر والتي تمتد إلى السنغال ومؤسسها هو أحمد التجاني وتناول الباحث في فصول الرسالة ظهورها ودورها بصفة عامة في خارج الجزائر، وذكر الباحث أن الطريقة التجانية ليست مذهبا فقهيا واضح المعالم، وليست حزبا سياسيا يهتم بأمور الحكم بل الطريقة منهج تربوي وواجب عملي يتمثل في حضور مناسبات تديرها الزاوية، والطريقة التجانية متواجدة في الجزائر كما في أقطار أخرى ومذهب التجانيون هو مذهب البلد الذي يوجدون فيه، ومادة التربية المعتمدة في الطريقة هي القرآن الكريم والذكر، وتناول الباحث

[1] – إيمان شرف، **التربية الأخلاقية للطفل**، عالم الكتب، ط1، 2007، ص39

دورها في الاستعمار ومواقفها خلال المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر خاصة والمغرب عامة، وأعطى لمحة عن زاوية عين ماضي في الأغواط .

3) دراسة لكحل الهواري: مصادر التدين لدى الطلبة الجامعيين لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص ثقافي بجامعة الجزائر العاصمة، وتهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على الأسباب والمصادر الذي يستقي منها الشباب المعلومات الدينية أما الإشكالية التي انطلق منها الباحث كانت ما هي العوامل أو المصادر التي تؤثر في تدين الشباب الجامعي؟ والفرضية هي: أن الإعلام الديني والبيئة الأسرية وجماعة الرفاق تمثل مصدر أول للتدين أما المنهج فقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي ينطلق من الملاحظة والاستمارة والمقابلة، وقد اعتمد الباحث في دراسته هذه على الملاحظة وتوصل إلى النتيجة التالية: يوجد ارتباط بين تدين الشباب الجامعي والمؤسسات الأخرى فالأسرة اتضح أنها تمنح الأدب والأخلاق النابعة من العادات والتقاليد أما جماعة الرفاق كان لها دور في تلقين تعاليم الدين المتجسدة خاصة في الكتاب الديني وحقيقة هذا التدين البحث عن أبعاد سوسيودينية.

سابعا: صعوبات الدراسة

لكل بحث جاد صعوبات وعراقيل تعترضه، هذه الصعوبات قد تجعل الباحث يتوقف عن انجاز بحثه، بينما تخلق لبعض الباحثين دافعا قويا لإتمام دراسته، ولقد واجهتنا أثناء إجراء هذه الدراسة صعوبات من بينها.

1 –قلة المراجع المتخصصة في هذا الموضوع وندرتها وغالبا ما نجد كتابات غربية عن هذا الموضوع أو كتابات معادية للطرق الصوفية والزوايا، وأخرى مدافعة عنها وبذلك تنعدم الموضوعية في هذا النوع من الكتابات.

2 –رداءة الجو التي صاحبت فترة النزول إلى الميدان وبعد مقر الزاوية عن السكن وقلة وسائل النقل المؤدية إلى الزاوية مما صعب من الإمام جيدا بالجانب الميداني.

3 –إضافة إلى أهمية الموضوع وتاريخه العميق الممتد منذ فترة قرون وطبيعة دور الزوايا الطرق الصوفية، وبطبيعة دورها الشامل في كل الميادين وبالأخص الجانب التربوي، لم يكن باستطاعتنا الإلمام بكل جوانبه بصفة مفصلة ولعظمة الدور التربوي وتنوع جوانبه .

4 –عدم إعادة مجموعة من الاستمارات من طرف المبحوثين بحجة النسيان مما كلفنا المزيد من الوقت والجهد.

5 –قلة الدراسات الميدانية السابقة التي تتعلق بعلاقة الآباء بالأبناء في الزوايا.

الفصل الأول

الدراسة النظرية للقيـــم الدينية

تمهيد

المبحث الأول: دراسة نظرية للقيـــم

المبحث الثاني: القيم الدينية

خلاصة الفصل

تمهيد:

تسعى الأمم على اختلاف توجهاتها السياسية والاقتصادية والثقافية إلى العناية دوما بإصلاح حال الناشئين بالتهذيب والتوجيه ولاشك أن التربية كعملية اجتماعية ثقافية تستلهم قوتها من فعالية القيم وتستمد ضرورتها من ضرورة الوجود الاجتماعي للأفراد باعتبارهم حملة ثقافة المجتمع، وعليه فإن تناول موضوع القيم والتربية من بين أكثر الموضوعات التي شدت اهتمام المشتغلين بمختلف تخصصات العلوم السلوكية وغير خاف على الدارس في مجال علم الاجتماع التربوي أهمية العلاقة التبادلية (الوظيفية) بين التربية كعملية اجتماعية والقيم باعتبارها إحدى محددات السلوك الاجتماعي، ومن هذا المنطلق بدأ مفهوم القيم يشيع في الكتابات السوسيولوجية، فأصبح موضوعا للبحث والتحليل، القصد منه كشف أبعاد القيم وتأثيراتها المختلفة في الحياة الاجتماعية والأنماط السلوكية للأفراد والجماعات، ومن ثم يصبح من الأهمية بمكان تفهم نسق القيم السائد في المجتمع كمدخل علمي وواقعي للبحث في العلاقات التبادلية بين الأنماط السلوكية وأهداف عملية التربية، وعليه فإن القيم تشكل عنصرا بارزا في بنية ثقافة أي مجتمع إنساني فهي تمثل الإطار المرجعي للسلوك الفردي الجماعي وبالتالي فإن العملية التربوية التي تسود أي مجتمع إنما تحتاج إلى توافق الأنماط السلوكية والقيم، وكذلك تكامل الأدوار فيما بين مختلف دوائر المؤسسات التربوية ضمن بيئة اجتماعية شاملة هي التنمية وضمن هذا السياق سنحاول تحديد وتوضيح عناصر القيم
1

[1] – حميد خروف، **فعالية القيم في العملية التربوية** ، رؤية سوسيولوجية ، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد10 -1998،ص ص145.

المبحث الأول : دراسة نظرية للقيـــم

1.مدخل لدراسة القيم

1.1.مفهوم القيم:

إن موضوع القيم قديم قدم الإنسان نفسه، وقد تناوله الفلاسفة وعلماء الاقتصاد وعلماء التربية وعلماء النفس ولقد لقيت دراسة القيم عناية كبيرة واهتماما عظيما من رواد الفكر الفلسفي وأقطاب الدراسات الأخلاقية القدماء والمعاصرين، وقد عرف هؤلاء الفلاسفة القدامى والمحدثين مفهوم القيمة، ولكنهم عبروا عنها بأسماء متنوعة (الخير أو الخير الأسمى والكمال) ، فعندما تعرض أفلاطون وديكارت لبحث مشكلة القيمة لم يتم فصلها عن مشكلة الواقع، إذ بدأ الواقع في نظرهما يخضع لمبدأ سماه أفلاطون بالخير وسماه ديكارت بالكامل أو الله، وهذا المبدأ يمثل قيمة الوجود وقيمة الكمال على السواء فثمة تطابق بين القيمة والماهية والوجود كما أن هناك تماثلا في مراتبها[1]، وما فلسفة أفلاطون في جوهرها ومضمونها إلا فلسفة قيم، وإذا كانت فلسفته تنصب على علم الوجود كلها فإن الغرض الأقصى لتأمله الفلسفي هو (الخير) الذي يدرك بكونه أساس الوجود والمعرفة على سواء[2] ولاشك أنه عندما يتصدى الدارس لموضوع القيم تزدحم المعاني في صدره فلا يدري أيها يختار، لذلك يكشف التراث الخاص بدراسة القيم مدى اهتمام العديد من رواد الفكر والفلسفة بتحليل طبيعتها والوقوف على مدلولها إلا أن مفهوم القيمة يعد من بين أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضا وتعقيدا ويعود هذا الابهام إلى كون مصطلح القيم مرتبط بالتراث الفلسفي من جهة كما يمثل نقطة تقاطع لدى مجموعة من العلوم الاجتماعية والمعارف من جهة أخرى[3].

إن مفهوم القيم من المفاهيم التي يتوافر استعمالها عندما يتناول حديث الناس عن المهم والخطير في الأمور فهو من المفاهيم التي تستخدم مثلا عند الحديث عن انقسام العالم إلى معسكرين، ثم هو من المفاهيم التي تستعمل للمقارنة بين النظم الاقتصادية والسياسية والعلاقات الإنسانية في المجتمعات، وهو أيضا من المفاهيم التي تستخدم عند الحديث عن مستقبل العالم ومصير الإنسانية، ولا يقتصر حديث القيم على المشكلات العامة ذات الطابع

---

[1]– عبد الكريم علي اليماني، **فلسفة القيم التربوية** ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص5 .

[2]– سد جويك، **المجمل في تاريخ علم الأخلاق** ، ترجمة توفيق الطويل وعبد الرحمن حمدي، دار الثقافة ، الإسكندرية، ط1 ،1949 ،ص114.

[3]– محمد علي محمد وآخرون، **المجتمع والثقافة والشخصية** ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1983 ، ص29.

القومي أو الدولي فحسب بل نجده يتناول كذلك سلوك الأفراد، والقيم في هذا المجال من الوسائل الهامة في التمييز بين أنماط حياة الأفراد والجماعات[1].

وخلاصة القول أن القيم تتغلغل في حياة الناس أفرادا وجماعات ترتبط عندهم بمعنى الحياة ذاتها لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بدوافع السلوك والآمال والأهداف، ويعد مفهوم القيم من المفاهيم التي حظيت باهتمام الباحثين ذوي التخصصات المختلفة قد نتج عن ذلك نوع من الخلط والتباين في استخدام هذا المفهوم من تخصص لآخر بل ويستخدم بمفاهيم متعددة داخل التخصص الواحد ، فلا يوجد تعريف واحد لمفهوم القيم يأخذ به جميع المهتمين في مجال علم النفس الاجتماعي[2].

ويرى ضياء زاهر أن من بين العوامل التي حتمت ضرورة دراسة القيم دراسة علمية ما أحدثته الثورة العلمية التكنولوجية وغيرها من عوامل التغير الثقافي في إعادة تشكيل الكثير من معارفنا ومفاهيمنا عن الحياة وتقويض أغلب تصورات الإنسان عن ذاته وعن عالمه الأمر الذي أدى بدرجة كبيرة إلى التذبذب وعدم الاستقرار في القيم الموروثة والمكتسبة على حد سواء، وعدم مقدرة عدد كبير من أفراد المجتمع وبخاصة الشباب على التمييز الواضح بين ما هو صواب وغير صواب[3].

2.1. تعريف القيم:

يعرفها حامد عبد السلام "بأنها عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط، والقيم موضوع الاتجاهات ، والقيم تعبير عن دوافع الإنسان وتمثيل الأشياء التي توجه رغباتنا ، نحوها" [4] .

3.1. القيم في اللغة:

القيم: جمع قيمة[5] ،وهي مشتقة من الفعل الثلاثي قوم، وكما يقال في الصرف لفظ القيم اسم هيئة من قام يقوم وأصله قومه بالواو، سكنت الواو وكسر ما قبلها فقلبت ياء لمناسبة الكسرة[6] ، وهو يأتي على معان متعددة نذكر منها ما يتعلق بموضوع البحث : ويقول ابن منظور :والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وسمي الثمن قيمة لأنه يقوم مقام

---

[1]– عماد الدين إسماعيل وآخرون، **قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية** ، مكتبة النهضة، القاهرة، بدون طبعة،1962،ص4.

[2]– عبد الكريم علي اليماني، **المرجع السابق**، ص78.

[3]– ضياء زاهر ، **القيم في العملية التربوية**، مؤسسة الخليج العربي، بدون طبعة،1984 ،ص24.

[4]– زهران حامد عبد السلام، **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتاب، القاهرة، ط6، 2000، ص158

[5]– الفيروز آبادي ، **القاموس المحيط**، مج4، دار الفكر، بيروت، ص168.

[6]– ناصر الدين الأسد، **نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه**، دورية أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2000، ص51.

الشيء وقومته عدّلته، وتقوّم الشيء، تعدّل واستوى وتبينت قيمته، وقيمة الشيء :قدره وقيمة المتاع ثمنه ومن الإنسان طوله، ويقال ماله قيمة إذا لم يدم على الشيء ولم يثبت لذا يعبر بالإقامة عن الدوام[1]، نحو قوله تعالى : {عَذَابٌ مُقِيمٌ} [2] وقوله {إِنّ اَلمتُقَينَ فِي مُقَامٍ أَمِينٍ} [3] أي في مكان تدوم إقامتهم فيه وعليه يرتبط بالدوام على الشيء الثبات عليه، حيث إن كل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه، قال تعالى{ لَيْسُوا سَوَآءَ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اَللهِ} [4]، إنما هو من المواظبة على الدين والقيام به، والقيم الاستقامة {دِينًا قَيِّمًا}[5] ، ومعناه دينا مستقيما لا عوج فيه وفي قوله عز وجل { وَذَلِكَ دِينُ اَلْقَيِّمَةِ}[6] ،فقال ابن كثير في تفسير هذه الآية : دين الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة، وقال المراد دين الكتب القيمة، أما وصف الكتب بأنها قيمة كما قال الماوردي كتب الله المستقيمة التي جاء القرآن بذكرها وثبت فيها صدقها، أو فروض الله المكنونة العادلة وأقرب الاستعمالات اللغوية إلى القيم بمعناها السائد الآن هو من قولهم إن ماله قيمة: إذا لم يدم على شيء، وقول صاحب أساس البلاغة : القيمة ثبات الشيء ، ودوامه هما يشيران بذلك إلى أن القيمة ترد معنى الأمر الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان ويستمر في مراعاته[7] هو ما أكده كثير من الباحثين المهتمين بالقيم الإسلامية، ومن الملاحظ أن مصطلح القيم بالمعنى الذي يعنيه الآن ليس من المصطلحات التي كانت مستخدمة لدى العرب من القدم، وإنما دخل إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة فاستخدمه عدد من الباحثين والمفكرين مع اختلاف في تحديد مفهومه،ومنهم من يراى أنها حاجات فيعرفها عماد الدين سلطان إشباع الفرد لحاجاته الأساسية التي يرغبها وذلك من خلال سلوك معين[8]، ومن العلماء من عرف القيمة على أنها الخير والشر مثل (ببر Peeper) فيقول:" القيمة بأوسع معانيها هي أي شيء خيرًا أو شرًا"[9].

من التعريفات السابقة إن نظرة العلماء والباحثين للقيم قد تباينت فمنهم من يرى أنها أهداف أو اتجاهات أو تفضيلات أو معتقدات أو حاجات أو أنها الخير أو الشر وأن هذه التعريفات وثيقة الصلة مع العديد من

---

[1]– مساعد بن عبد الله المحي، **القيم في المسلسلات التلفازية**، دار العاصمة، السعودية،1994، ص96.

[2] – سورة الشورى، الآية 45.

[3] – سورة الدخان، الآية 51.

[4] – سورة آل عمران، الآية 113.

[5] – سورة الأنعام، الآية 161.

[6] – سورة البينة، الآية 5.

[7] – صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون، **موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم**، دار وسيلة للنشر والتوزيع، ط1998،1 ص ص76 78.

[8] – سلطان عماد الدين، **بحث احتجاجات طلاب الجامعات**، منشورات المركز القومي للبحوث، القاهرة، 1971، ص2.

[9]– فوزية ذياب، **القيم والعادات الاجتماعية** ، دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة، 1966، ص21.

مصطلحات علم النفس، وأنها ركزت على الفرد بشكل كبير وأغفلت الجماعة ومعاييرها لذلك نسلط الضوء على تعريفات تهتم بذلك منها أنها "مجموعة من المعايير والأخلاق تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته يراها جديرة بتوظيف إمكاناته وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العلمي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة"[1].

إن القيم هي"مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولا من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته واهتماماته"[2].

وأنها "مجموعة القوانين والمقاييس التي تنبثق من جماعة ما تكون بمثابة موجهات للحكم على الأعمال والممارسات المادية والمعنوية وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة لما لها من صفة الضرورة والإلزام والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف عنها يصبح بمثابة خروج عن أهداف الجماعة ومثلها العليا"[3].

وأنها "مجموعة أحكام يصدرها الفرد على بيئته الإنسانية والاجتماعية والمادية وهذه الأحكام في بعض جوانبها نتيجة تقويم الفرد أو تقديره إلا أنها في جوهرها نتاج اجتماعي استوعبه الفرد وتقبله بحيث يستخدمها كمحكّات أو مستويات أو معايير ويمكن أن تتحدد إجرائيا في صورة مجموعة استجابات القبول والرفض إزاء موضوعات أو أشخاص أو أفكار"[4].

ويذهب عامر يوسف الخطيب إلى القول بأن القيم "هي عبارة عن معايير للحكم على سلوك الفرد في المجتمع والتي تعمل على توجيه سلوكه وتحدد استجابة في مواقف الحياة المختلفة يكتسبها الفرد في حياته كما يكتسب المعارف والمهارات والعادات والاتجاهات عن طريق الخبرة "[5] ، وإنه من خلال ما سبق من تعاريف يتضح أن :

- القيم عبارة عن أحكام يتشربها الفرد من خلال تفاعله مع بيئته مع المواقف والخبرات المختلفة.
- هذه الأحكام والمعايير لابد أن تلقى قبولا من الجماعة التي يعيش الفرد بداخلها ومن ثم تنعكس على سلوك الأفراد واتجاهاتهم واهتماماتهم.
- إذا لم يلتزم الفرد بهذه الأحكام والمعايير يصبح خارجا عن نطاق الجماعة.

---

[1]– علي خليل أبو العينين، **القيم الإسلامية والتربية**، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، 1995، ص34.

[2]– ضياء زاهر، **المرجع لسابق**، ص24.

[3]– أحمد ماهر البقري، **القيم الخلقية في الإسلام** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،1983، ص04.

[4]– فؤاد أبو حطب، **العلاقة بين أسلوب المعلم ودرجة التوافق بين قيمه وقيم تلاميذه**، قراءة في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي، إعداد وتقديم لوسيب مليكة،المجلد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 225- 243.

[5]– عامر يوسف الخطيب، **فلسفة التربية وتطبيقاتها**، مكتبة القدس، غزة، ب ط ،2003، ص91.

4.1.القيم في الاصطلاح التربوي:

أُعطي الكثير من الاهتمام لموضوع القيم واعتبر أحد المجالات الأساسية في التربية كونها مصدرا أساسي للأهداف التي تسعى التربية إلى تحقيقها في المتعلم، وأن فقدان القيم لدى الأفراد يؤدي إلى اضطراب السلوك ويوصل إلى الانهيار والتفكك داخل المجتمعات فكم من دول عظمى تفككت وانهارت بسبب تخليها عن قيمها ومبادئها ونظرا لأهمية القيم وأثرها على الفرد والمجتمع كان لابد من دراستها دراسة شبه واعية، وهناك أيضا اختلافات في تعريف القيم تراوح بين التحديد الضيق على أنها اهتمامات أو رغبات غير ملزمة إلى تحديد واسع يعتبر أنها معايير مرادفة للثقافة ككل[1]، وبعضهم ينظر إلى القيمة على أنها تفضيلات مثل (ثورنديك Thorndik) الذي يؤكد أن القيم هي "تفضيلات تكمن في اللذة والألم، أو الارتياح وعدم الارتياح الذي يشعر به الإنسان فإن كان حدوث شيء لا يؤثر مطلقا على لذة أو ألم أي فرد أيا كان حاليا أو مستقبلا، فإنه يكون عديم القيمة على الإطلاق"[2].

ومنهم من ينظر إلى القيم على أنها اتجاهات فيعرفها (ستانجر stanger) تعريفا يربط بين الاتجاه والقيمة لا يفرق بينهما إلا من حيث الشدة فهو يشير بصراحة إلى أن "القيمة مصطلح نستخدمه للدلالة على نوع من الاتجاهات، ولكنها أكثر تعميما من الاتجاهات ولا تختلف عنها إلا من حيث الشدة والعمق"[3]

وهناك من العلماء من ينظر للقيم على أنها معتقدات مثل (كريتش kruch) الذي يرى أن القيم طبقة هامة من المعتقدات يتقاسمها أعضاء المجتمع الواحد وخاصة فيما يتعلق بما هو حسن أو قبيح أو ما هو مرغوب أو مرغوب عنه"[4].

2) المقاربة النظرية في دراسة القيم:

إن القيم تتصل بكل مجالات الحياة الاجتماعية والنفسية والعقلية للأفراد والجماعات، ما جعل جل الفلاسفة والعلماء يقومون بدراسة موضوع القيم وهذا يعكس الاهتمام الكبير بتحليل طبيعتها.

---

[1]– ضياء زاهر، **المرجع السابق**، ص10.

[2]– مصطفى الخشاب، **علم الاجتماع ومدارسه**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1966، ص187.

[3] –Stanger R ,**psychology of personality**,3 rded,Megow-hillbook.co.inc.Ny,1961, p259.

[4]– علي خليل أبو العينين، **المرجع السابق**، ص25.

أيضا تلعب دورا بارزا في تحديد جوانب السلوك الإنساني وتوجيهه، ومن هذا المنطلق كانت دراسة القيم وما زالت محور خلاف أساسي بين الاتجاهات الفكرية لذا نجد في ميدان القيم جذبا في النظريات المتناسقة وخصبا في النظريات المتضاربة[1].

لذلك وانطلاقا من هذا التباين الجوهري في تحديد مدلول القيمة ليس ثمة تصنيف موحد لمواقف الفلاسفة والعلماء من نظرية القيمة، الأمر الذي حظيت معه هذه المسألة باهتمامات متعددة قصد محاولة بحث طبيعة القيم وتفسير مدلولها، وذلك لارتباطها بجوانب متعددة أخلاقية وسيكولوجية اقتصادية ودينية، فقد نجدها تتمثل إما في مدار تأملات الفيلسوف المثالي، وإما في المجال الدراسي السيكولوجي للتكوين النفسي للفرد، أو في إطار مشاهدات الباحث السوسيولوجي وافتراضاته، وفي هذا الصدد يقول (ريمون رويه Raymond Rowe): " لعل المرء لا يعجب من تشتيت المؤلفات التي تبحث موضوع القيمة بحثا قاصدا، إذا تفطن إلى أن نظرية القيم لم تنبثق عن جهد فيلسوف واحد وإنما تضافرت في صنعها طائفة من العقول الممتازة التي عملت بصورة متفرقة مبعثرة"[2]، وقد تعددت وتضاربت الآراء حول تفسير طبيعة القيم ومصدرها، حيث نجد نظريات تفترض أن قيمة الشيء كامنة في ذاته وتعبر عن طبيعته، وهي بذلك مستقلة عن ذات الإنسان، في حين تفسر بعض النظريات الأخرى قيم الأشياء بأنها تقدير ذاتي يشتق من ذات الشخص المتفاعلة مع خبراته، ومهما يكن من أمر هذا الخلاف والتعدد بين باحثي القيم فإنه يمكن التمييز بين الباحثين من حيث المنظور الذي يعتمده الواحد منهم في دراسة القيم وتحليل طبيعتها، لذى يجدر بنا في هذه الدراسة وتيسيرا للفهم أن نميز بين ثلاثة منظورات رئيسية في تفسير طبيعة ومصدر القيم.

1.2. المنظور الاجتماعي:

من خلال هذا المنظور فإن مفهوم القيمة هو ذلك الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه الذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك والقيمة تتضمن قانونا أو مقياسا له نوع من الثبات على مر الزمن في المجتمع، أو بعبارة أعم تتضمن دستورا ينظم نسق الأفعال والسلوك والقيمة "حسب كلاكون Clakon" مفهوم تجريدي للمرغوب فيه الذي يؤثر على اختياراتنا من عدة بدائل لطرق ووسائل وأهداف السلوك[3]، وبالتالي تشتمل القيم كل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة، إنها باختصار شديد الإطار المرجعي

---

[1]– مساعد بن عبد الله المحي، **القيم في المسلسلات التلفازية**، دار العاصمة، السعودية، 1994،ص96.

[2]– هلا محمد إبراهيم، **القيم والعادات والتقاليد في العائلة اللبنانية**، مجلة الدراسات العربية العدد04، بيروت، فيفري 1986، ص95.

[3]– فوزية ذياب، **القيم والعادات الاجتماعية** ، دار الكتاب العربي للنشر، القاهرة، 1966، ص52

للسلوك الفردي الجماعي[1]، ومن وجهة نظر أخرى "إن القيم من صنع المجتمع، وأنها تعبيرا على الواقع، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع وتعتبر عنصرا مشتركا في تركيب البناء الاجتماعي".ويحاول عالم الاجتماع عند دراسته للقيم أن يحللها ويفسرها ويقارن بين الجماعات المختلفة وتأثير القيم والسلوك[2]، لذلك فقد طرحت قضية سوسيولوجية القيم كأحد المحاور الرئيسية التي أشغل بدراستها العديد من الباحثين السوسيولوجيين، بحيث تجسد ذلك في كتاباتهم وبالرغم من وحدة المنظور لدى هؤلاء الباحثين في معالجتهم للقيم إلا أنهم يختلفون في تفسير طبيعتها وأسباب تغيرها، لذلك ظهرت على مسرح الفكر الاجتماعي اتجاهات فرعية تنطوي تحت لواء المنظور الاجتماعي محاولة تفسير طبيعية القيم ومصدرها، ولو حاولنا تحليل مدارس علم الاجتماع المختلفة لوجدنا ظهور مفهوم القيمة ضمنا أو صراحة كافة المدارس بداية من المدرسة الفرنسية وخاصة عند(أميل دوركايم Durkheim) ، الذي حدد مكونات الظاهرة الاجتماعية بأنها "نظم اجتماعية لها صفة الضغط والإلزام كما أنها تتكون من الرموز الاجتماعية والقيم والأفكار والمثل وتأكيده على مفهوم الضمير الجمعي في تحديد الضبط داخل المجتمع"[3].

أما المدرسة الانجليزية وعلى رأسها (هربرت سبنسر Herbert Spencer) وما طرأ على النظرية العضوية من تغيرات أدت إلى ظهور نظرية التطور التي تؤمن في أساسها بتعديل نسق التوقعات بين الوحدات ولو تناولنا هذا المفهوم بالتحليل لوجدنا أن ضمن التوقعات لابد وأن تكون القيم السائدة في المجتمع هي قيم مضيفين إليها عنصر طالما تجاهله الفلاسفة وبعض أصحاب المنظور السيكولوجي الذين وقفوا عند حدود المصادر الفردية وحدها يتمثل في أهمية المجتمع في نشأة القيم وتأثيرها على السلوك، ولقد كان لمختلف المنظورات السابقة العرض، منطلق مشترك مفاده أن الإنسان كائن اجتماعي أخلاقي أي لابد له أن يعيش مع غيره من الأفراد ويتفاعل معهم في مجتمع منظم، ذلك أنه تميز دون سائر الكائنات الحية بالتأمل العقلي وحرية الاختيار، إذ ينفرد بالتبصر والإدراك بما يحيطه ينزع بإرادته إلى الاستعلاء فوق حيوانيته و التطلع بعقله إلى مستقبل أفضل، فهو ينشر مُثلا عليا يدين لها بالولاء ويعمل على التحكم في أهواءه ونوازعه في ظل قيم عليا توجه سلوكه وتحكم علاقته الاجتماعية بغيره من الأفراد ولما كانت قدرات الإنسان قاصرة ومحدودة، وأن الأشياء لا تقوم بذاتها ولا تخلق نفسها بل الله خالقها ومقومها فهو الذي يعطي قيمة الأشياء والأفعال فإن مصدر القيم يُرد إلى قوة خارجة عن الإنسان والمجتمع، فالقيم تعلو فوق الإنسان وقدراته، إن القيم لابد أن تكون عامة ثابتة مطلقة وكلية، بحيث تنطبق على جميع الناس دون

---

[1]– عبد الهادي الجوهري وآخرون، **دراسات في التنمية الاجتماعية مدخل إسلامي**، المكتب الجامعي الحديث، الأزريطية، 1999، ص196

[2]– محمدد سعيد فرح، **البناء الاجتماعي والشخصية**، المطبعة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1980، ص ص380 381.

[3]– أحمد مصطفى خاطر، **الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع الريفي**، رؤية نظرية وواقعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1990، ص ص111 112.

استثناء، ولا تخضع لإرادتهم وأهواءهم الفردية والجماعية على السواء، وهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا سلمنا بأن مصدر القيم يعود إلى الله سبحانه وتعالى، يقول (جاك ماريتان Jacques Maritain)"إن أي مجتمع بشري يحتاج إلى مجموعة من القيم ذات المصدر الإلهي الذي يعلو على الإنسان، أي أن مصدر القيم لا يجوز أن يرجع إلى الإنسان نفسه وإلا فإنه سيكون طرفا وقاضيا في نفس الوقت فالله الصادق كما يقول ديكارت، هو الذي يصنع للحقيقة معناها ،ويجعل البحث عنها مشروعا فإننا على الرغم مما نتكبده فيه من متاعب ، لأنه مشروع يقرّبنا منه ويغنينا ويثري وجودنا وبهذا فإننا إذا أنكرنا وجوده تملكنا اليأس صار يظهر لنا أنّ التوهم يسود ميادين الحياة كلها".

ويشير (الربيع ميموني) في دراسة لنظرية القيم حيث يقول: "ويظهر لنا أيضا أن اعتبار القيمة مطلقة نسبية يبعد عنها النسبية الخالصة والتي تجعلها تبعية لغيرها ولا سلطان لها،كما يبعد عنها المطلقية المطلقة التي لا يمكن أن تكون صفة لها، ويضعها في مكانها الصحيح الذي يسمح لنا بتقديرها حق قدرها، ويجعل منها دليلا تهتدي على بنية من الأمر ومرضاة إلى من بيده الأمر كله"[1].

ووفق هذه الآراء فإن التسليم بأن الله هو مصدر القيم يعني:

أ) أن تتميز هذه القيم بالقداسة والهيبة، مما يجعل احترام هذه القيم أمرا نابعا من ذات الإنسان عن طاعة اختيارية صادقة لكسب رضاه.

ب) أن يصبح للالتزام الأخلاقي وللمسؤولية معنى.

ج) أن يتوفر للقيم سند حقيقي.

د) الإبقاء على حرية الإنسان وإرادته في اختيار القيم التي يرتضيها.

هـ) توفر شروط الاستقرار والثبات في المجتمع.

و) بقاء ذلك الحافز متجدد على العمل والاستقامة في ذات الوقت.

ي) توفر الميزان الثابت العادل للحكم على الأشياء والأفعال.

2.2. المنظور النفسي:

من وجهة نظر (ماكس فيبر Max Weber) فأن القيم:" هي مجموعة من التصديقات السيكولوجية المتولدة عن الاعتقاد الديني والممارسة الدينية التي تعطي توجيها للسلوك العملي الذي يلتزم به الفرد"[2].

---

[1]– مراد زعيمي، **النظرية العلم اجتماعية رؤية إسلامية**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، معهد علم الاجتماع، جامعة قسنطينة،1997، ص226.

[2]– نورهان منير حسن فهمي، **القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية**، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، 1999، ص196.

كما تُعرّف على أنها:" تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية مصممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا، والقيمة مفهوم مجرد ضمني غالبا ما يعبر عن الفضل أو الامتياز ودرجة التفضيل التي ترتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني"[1] أو بأنها :"حالات إدراكية واقعية توجه جميع أفعال الفرد في مختلف المواقف الفردية أو الجماعية، وأهم ما يميزها هو اتصالها بثقافة المجتمع وحضارته مباشرةً"[2].

حاول هذا المنظور أن يقدم إسهامات نظرية وإميريقية معتبرة في مجال معالجة القيم ومن ثم بلورة بعض جوانب طبيعتها من خلال محاولة الكشف عن حقيقة مهمة مفادها : أن القيم تلعب دورا بارزا في تكوين شخصية الفرد والتأثير في اتجاهاته المختلفة، وذلك بالنظر إليها كمحدد من محددات السلوك الإنساني، ووفقا لهذا المنظور السيكولوجي فإن التقويم عملية نفسية باطنية تخلع القيم عن الأفعال والأشياء الخارجية بمقتضى الرغبة والاهتمام التي تعد مصدرا لقيمة الأشياء والموضوعات، غير أن هذا المنظور أدى بأصحابه إلى الوقوع في الحتمية السيكولوجية، من الاعتبارات الأساسية في تحديد هذه التوقعات، والمدرسة الألمانية وعلى رأسها ماكس فيبر Max Weber كان لها اهتمام بتأثير القيم وتدخلها في تحديد مسار الحياة الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، أما المدرسة الأمريكية ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر كل من (سوروكين Sorokin) و(تالكوت بارسونز TalcottParsons) فسوف نجد أن الأول منهم حاول الوصول إلى تعميمات عن التغير الاجتماعي والثقافي من خلال تاريخ الإنسانية كمؤشر محدد للقيم ويعبر عن التفاعل على أساس أنه ظاهرة اجتماعية ثقافية تتكون من ثلاثة عناصر

- الشخصية كفاعل
- المجتمع باعتباره المجموع الكلي للمتفاعلين
- الثقافة وهي المجموع الكلي للمعاني والقيم والمعايير الناشئة عن الشخصيات المتفاعلة .

وبالتالي نبحث عن القيم من خلال تتبع الأشكال الثقافية، أما (تالكوت بارسونزTalcottParsons) فنجد في نظريته عن الفعل الاجتماعي تأكيده على أن الموجهات الدافعية أو القيمية هي إحدى أركان الفعل الاجتماعي ومن ثم تحقيق قيم في أدوار ومواقف، وهو ما يتضمنه الإطار المرجعي للفعل[3]، يكشف العرض التحليلي لإسهامات المنظور الاجتماعي في تفسيره للقيم وتحديد أبعادها أنه ينطوي على مجموعة من الاتجاهات المتباينة من

---

[1]– أحمد مصطفى خاطر، **تنمية المجتمعات المحلية، نموذج المشاركة في إطار ثقافة المجتمع**، المكتب الجامعي الحديث، الأزارطية، 1999، ص112.

[2]– عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ، **المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية**، سلسلة إسلامية المعرفة، التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المنهج والمجالات، مكتبة المعهد، القاهرة ط1، 1996، ص76.

[3]– أحمد مصطفى خاطر، **المرجع نفسه**، ص112 115.

حيث طريقة التحليل، والمتفقة من حيث تأكيدها على الإطار الاجتماعي الذي يحدد القيم، أي أن الفرد يستمد قيمه من نظم مجتمعه وعاداته وتقاليده، أي من ثقافته، فالقيم ليست إلى تعبيرا عن رغبات الأفراد في إرضاء المجتمع الذي ينتمون إليه، غير أنه يلاحظ في هذا التصور نوع من المبالغة في تجسيد شخصية المجتمع حتى توارت إلى جانبها شخصية الأفراد وبذلك فقد الفرد حريته وفعاليته، ولكن الواقع أحيانا يشهد بأن مواصفات المجتمع كثيرا ما تكون بالية مما يدفع الأفراد إلى القيام بثورة على العرف، والتحرر من القيم المختلفة للمجتمع تطلعا إلى تغييرها بقيم سليمة جديدة تصدر عن الفرد، ومع ذلك لا ينبغي أن ننظر إلى الفرد والمجتمع نظرة استقلالية كما لو كان كل منهما منعزلا عن الآخر، ذلك أن الحياة الأخلاقية هي حياة اجتماعية .

إن أصحاب المنظور الاجتماعي إذن مضطرون إلى دراسة القيم كما يبدو في مجتمع بشري يرتبط بمكان معين وزمان محدد، ويخضع لظروف بعينها، وبالتالي فإن القيم تتطور بتطور المجتمع الذي توجد فيه، وأن أحكام القيمة تقبل الحكم عليها بالصدق والكذب على أساس من الأدلة التجريبية[1] ، وبالتالي حاول الكثير من علماء الاجتماع الإعراب عن الأصول الاجتماعية والثقافية تلك الحتمية التي تسوق الفرد بحسب ما يضطرب به باطنه من رغبة موقوتة يندفع إلى إشباعها هنا تنتفي خاصية الالتزام، فلا معيار إلا ما يبعث عليه وجدان اللذة والألم[2] الأمر الذي يؤول بالمثل العليا إلى الاحتجاب بفعل تذبذب الرغبات والميول، وبالتالي فقدان مقياس أحكام القيمة ولذلك نقول أن الإنسان ليس عقلا خالص كما يصور المثاليون ولا حسا محضا كما يراه السيكولوجيين لكن وحدة عقلية وحسية من حيث أنه يتميز عن باقي الحيوانات بالتفكير والإرادة، ولا يكتفي بما تمليه عليه رغباته فقط فعندما يواجه موقفا ما فإنه يلجأ أيضا إلى الاحتكام العقلي مسترشدا بالقيم والمعايير التي تدين لها الجماعة بالولاء، والتي ينتمي إليها فيختار من بين البدائل ما يراه مرغوبا فيه ويتحاشى ما هو مرغوب عنه.

3.2. المنظور الفلسفي:

إذا كانت أشياء تعني الإنسان، وضع لها قيمة أو قدّرها ومن البديهي أن الأشياء لم تكن معظمها لا تقوم إلا من حيث أنها وسيلة لغاية ما، ولكن بعض الأشياء قيمتها في ذاتها أنها غايات في نفسها لا وسائل لغيرها وتسمى القيم من هذا النوع الأخير بالمثل العليا وهي وحدها موضع بحث الفيلسوف ، وقد جرى العرف باعتبارها ثلاثة : الجمال ، الخير والحق[3].

---

[1]– صلاح قنصوة، **نظرية القيمة في الفكر المعاصر**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981، ص ص65 66.

[2]– مراد زعيمي، **المرجع السابق**، ص223.

[3]– ناصر الدين الأسد، **المرجع السابق**، ص52.

تعد القيم إحدى المباحث الأساسية للفلسفة[1] ، والتي لا زالت إلى حد كبير محل خلاف بين المدارس المذاهب الفلسفية، حيث يقول (جون ديوى John Dewey):"إن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من حسية بأن ما يسمى قيما ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية أو تعبيرات صوتية، وبين الاعتقاد في الطرف المقابل بأن المعايير العقلية ضرورية، ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق"[2].

والقيم في المنظور الفلسفي تنقسم إلى ثلاثة أقسام تحتها شتى المعاني التي تضبط مسالك الإنسان في حياته وهي الحق والخير والجمال، كما ذكرنا سابقا، وفي مقابل ذلك تأتي هذه الأوجه الثلاثة التي تحلل من خلالها حياة الإنسان الواعية وهي: الإدراك والسلوك والوجدان، فالإدراك يفترض أن يكون إدراكا صحيحا حتى يكون السلوك سليما وهنا تبدوا قيمة الحق، فالإنسان بفطرته ينشد الحق أما السلوك فيقيس الإنسان صوابه بمقياس الخير الذي هو قيمة عنده ليس له عنها غنى حق وهو يقترف الآثام ويفعل الشر، هاتان قيمتان تمليهما عليه فطرته أما القيمة الثالثة هي حلقة وسطى تقع بين الإدراك من ناحية وبين السلوك من ناحية أخرى، وهو ما يطلقون عليه الحالة الوجدانية، وهي رغبة الإنسان أن يحس هذه الحالة بما يشبع فيه الطمأنينة والرضا وعلى أساس القيمة يختار ثيابه ومسكنه وأثاثه ومركوبه...الخ، والدارس لإسهامات أصحاب المنظور الفلسفي في تحليلهم للقيم يلاحظ انقسامهم إلى قسمين، ما إذا كانت قيم الأشياء تحدد بمعزل عن خبرة الناس بها الحياة الواقعية، أما أن قيمة الأشياء في حياة الناس تشتق من خبراتهم بها وهذان القسمان هما : اتجاه الفلسفة المثالية أو العقلية واتجاه فلسفة الطبيعية ،أما اتجاه الفلسفة العقلية فهي تقول باستقلال القيم وانعزالها عن الخبرة الإنسانية ففلسفة أفلاطون على سبيل المثال تجعل مصدر القيم الإنسانية خارجا عن الحياة والخبرة الواقعية للإنسان وأن مصدرها عالم المثل وهو عالم ثابت ومطلق، وكذلك كانت فيرى أن مصدر كل من الحق والجمال والأخلاق هو العقل، ذلك لأنه هو الذي يعطي للخبرات الحسية شكلها الخاص الذي ندركه، حيث إن التركيب الداخلي للعقل يحتوي مفاهيم هي مقولات الفكر وهي موجودة في العقل وجودا مستقلا عن الخبرة، ولاشك أن تقديس المثاليين للعقل باعتباره في نظرهم المصدر الوحيد للقيم، جعلهم يضعون قانون صوريا مقطوع الصلة بالواقع والخبرة الحسية، ويتصف بالثبات والمطلقية، كما أن نظرتهم هذه للإنسان من حيث وضع مبادئ عامة لسلوكه الإنساني أمر يفنده الواقع، لذلك فإن طبائع الأفراد تختلف باختلاف زمانهم ومكانهم وأن أحكامهم القيمية تتباين بتباين الوسط الاجتماعي والثقافي[3].

---

[1]– عمر محمد التومي الشيباني، **مقدمة في الفلسفة الإسلامية** ، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1995، ص30.

[2]– مساعد بن عبد الله المحي، **المرجع السابق**، ص31.

[3]– مساعد بن عبد الله المحي، **المرجع السابق**، ص32.

3. خصائص القيم:

رغم الاختلافات والآراء المتعددة ووجهات النظر المتنوعة لمفهوم ومعنى القيم وعلاقتها ببعض المفاهيم الأخرى إلا أن هناك مجموعة من الخصائص تشترك فيها القيم يمكن تحديدها على الوجه التالي[1]:

1.3. قيم ذاتية: والمقصود بذاتية القيم أنها تتعلق بالطبيعة النفسية للفرد وتشمل الرغبات والميول والعواطف... هذه الخبرات النفسية غير ثابتة وتتغير من لحظة إلى أخرى ومن شخص إلى آخر، والقيم في تناسب مع الرغبات وكلما ازدادت هذه الرغبات ازدادت القيم.

2.3. قيم نسبية: إن وجود القيم نسبي، فإذا زالت الأشياء وانعدم الأشخاص زالت القيم وانعدمت، حتى عملية تفضيل بعض القيم على الأخرى لا معنى لها، إلا بالنسبة للأفراد، ومن هنا كانت القيم وقتية وغير دائمة.

3.3.قيم ثابتة نسبيا: ثبات القيم واستقرارها وصلابتها سوف يظل نسبيا، فالقيم بكل أنواعها ليست ثابتة وبنفس القدر، لأن القيم تخضع لسُنّة التغير والحركة والتطور.

4.3. علو القيم: لدينا جميعا إحساس بعلو القيم وارتفاع قدرها وسموها.

5.3.كثرة القيم ووحدتها: يرجع تعدد القيم وكثرتها وتنوعها إلى كثرة الحاجات الإنسانية بمعنى أن وجود القيم بكافة أنواعها إنما هو استجابة للحاجات الطبيعة للإنسان وميولها العاطفية والاقتصادية والاجتماعية...الخ.

وعلى الرغم من تنوع القيم وكثرتها، فإن هناك انسجاما بينها واتحادا لا ينفصل لأن القيم تندمج وسط منظومة متكاملة تسمى بنسق القيم (valeues system) ويحدد (بنجتسون Benjtson) أهم خصائص القيم في أنها رابطة بين البناء الاجتماعي والشخصية، على اعتبار أن البناء الاجتماعي ينفذ بتأثيره إلى سلوك الآخرين من خلال ما يتحدد على أنه قيم للجماعة تفرض الامتثال[2].

ومن أهم خصائص القيم أيضا أنها رمزية لأنها موجهات ومحددات للسلوك كما يفسر السلوك في ضوءها أيضا[3].

إن القيم كليات عامة تحدد أساليب السلوك، وتدور حول انفعالات معينة وتضع معايير السلوك اللازمة، وهي أساليب تكيف اجتماعي وتتميز القيم بخصائص معينة منها.

1 –القيم تدخل في الأنساق الكبرى للفعل الإنساني وهي المجتمع والثقافة والشخصية.

---

[1]– نازلي إسماعيل حسين، **الإنسان والقيم**، المكتبة القومية الثقافية، القاهرة ،1975، ص36-37.

[2]– Bengtson ,v.l, values,**personnality and social structure an inter generational analysis**, american behavioral scientist, ,Vol16, 1973,pp880-912.

[3]– سعد جلال، **علم النفس الاجتماعي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1984،ص98.

2 –القيم عبارة عن تعميما généralisation من خلالها تتصل الأفعال المختلفة، ومن خلالها يمكن فعل معين بأن له معنى والقيم أيضا مفهومات تصويرية conceptualisation بمعنى أن القيم تشكل أوتصاغ في ألفاظ مطلقة ولكنها تطبق في حدود موقفية خاصة.

3 –القيم لها درجة من العمومية، ولا يمكن أن تعبر عن تجربة مفردة أو موقف مفرد، فالقيم دائما معاني عامة أو معايير أو تناسقات مع بعض البناء الداخلي.

4 –القيم هي دائما موضوعات مرغوبة، فالقيم ليست أشياء يرغبها الناس ولكنها ما يريده الناس ليشكل رغباتهم[1].

5 –ليست كل القيم ظاهرة وعمومية أو حتى شعورية، فنسق القيمة في ثقافة معينة قد يكون مستترا أو غير متعرف عليه أو غير متصور من الذين يمتثلون له.

6 –القيم ليست متساوية في الأهمية ولها درجات مختلفة من التأثير على الفعل وتقع في ترتيبات هرمية وينسب علماء الاجتماع أهمية خاصة للقيم الدينية والأخلاقية في العمليات التنظيمية والضبط الاجتماعي social control[2].

والقيم ضرورية في تنظيم السلوك طبقا لتفصيلات داخلية ومعرفية بدلا من الالتزام الشديد والتزمت تجاه الدوافع فالقيم توجه الحاجات الذاتية مع الحاجات الأوسع للمجتمع، فالمجتمعات تحدد قيما كوسيلة لتوازن حاجات الأعضاء التي هي ضد حاجات المجتمع وذلك لكي يحافظ المجتمع ويعزز من مكانته[3]، وتلعب القيم دورا ايجابيا في تحديد الأدوار الاجتماعية وكيفية أدائها ولذا فإن هناك تساند وظيفي بين الأدوار والقيم، والأدوار تخلق وتؤثر في القيم، والقيم تعدل الأدوار وللقيم فعالية بالغة على الحفاظ على البناء الاجتماعي والتشكيلي بطابع مميز وذلك على أساس أن القيم تعمل على إطراء السلوك وتنبيه أفراد المجتمع وتدخلها بطريقة مباشرة في تحديد المشكلات الاجتماعية وطرق مواجهتها والتصرف بشأنها.

نستخلص من ذلك أن القيم تتفق جميعا في مجموعة من الخصائص التي تميزها عن المفاهيم الأخرى المتشابهة معها فالقيم هي إنتاج المجتمع وهذا المجتمع هو الذي يحميها من خلال تنظيماته وجماعاته المختلفة كما أن هذه القيم لها

---

[1]– محمد أحمد بيومي، **علم اجتماع القيم**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص159، 164.

[2]- محمد أحمد بيومي، **المرجع نفسه**، ص164.

[3]–Borgatta edgar, **values theory and research in encyclopedia of sociology**,macmillan publishing
.co,N.Y,Vol 1,1992,pp222-223.

من الموضوعية ما يجعلها تؤثر في السلوك فتعمل على توجيهه بما يتفق مع السلوكيات الإيجابية في المجتمع[1]، والقيم المترابطة تساند بعضها بعضا وهي في هذا الترابط تأخذ محل البناء الهرمي أو ما يطلق عليه سلم القيم أو الإطار القيمي وهي تتحرك وتتغير أي أنها دينامية، لكن هذه الحركة وهذا التغير يتسم بالبطء النسبي بمعنى أنه يحتاج لفترة ليست بالقليلة حتى يمكن أن يؤثر في السلوك، وهذا البطء في حركة القيم يرجع إلى خاصية الثبات النسبي للقيم التي يجب أن تتماشى مع التغيير الطبيعي في الحياة، ورغم اختلاف القيم من ثقافة إلى ثقافة أخرى ومن زمن إلى زمن، إلا أنها تسعى إلى تحقيق أهداف أخلاقية فهي موجه للسلوك الجديد والمرغوب فيه من ألوان السلوك وغير المرغوب فيه.والقيم يمكن قياسها برغم ما قيل عن عدم أمكانية قياسها أو صعوبة ذلك بالنظر إليها كحقيقة سيكولوجية.ويرى دوركايم أن القيم يمكن قياسها، وذلك لأن القيم مرتبطة بحياتنا الاجتماعية التجريبية إذن يمكن قياسها ودراستها باعتبارها تقدير الأشياء لا على أساس طبيعة الأشياء نفسها[2].

4.مصادر القيم ومباحثها:

أصل القيمة أو مصدرها هي التساؤلات المعقدة المطروحة على الباحثين في القيم فهل مرادها إلى الدين أم إلى المجتمع، أم إلى الكون اللاشخصي أم إلى الفرد ذاته؟

إن كل إجابة عن هذا التساؤل ستكون بمثابة نظرية، أو طائفة من النظريات قد تلتقي حول مصدر من هذه المصادر، ثم تتفرق بحسب الانتماء الفكري لصاحب النظرية .ولهذا السبب ليس هناك تصنيف جامع لمواقف الباحثين المتعددة من نظرية القيمة فالتصنيفات تتباين بتباين محتوى القيمة، فتصنيفهم لقيمة الحرية مثلا يختلف عن تصنيفهم لقيمة العدل، كما يختلف عن موقفهم من قيمة المجال.. بل أنهم يختلفون حتى بالنسبة للقيمة الواحدة وبالتالي فإن كل من حاول تصنيف مواقف القيمة يعبر عن نظرته الخاصة من تصور القيمة وعن موقفه من مكانتها في مذهبه إن ما يعنينا الآن ليس هو تصنيف القيم وإنما مصادرها كما حددها الباحثون، ويمكن توزيع هؤلاء إلى فئات ثلاث أصحاب النظرة الفلسفية وأصحاب الموقف العلمي[3].

---

[1]– نورهان منير حسن فهمي، **مرجع سابق**، ص103.

[2]– إميل دوركايم، **علم الاجتماع والفلسفة**، ترجمة أمينة أحمد حسن، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1966، ص ص157 158.

[3]– محمد بلفقيه، **العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم– تأصيل الصلة** ، دار نشر المعرفة، الرباط، ط1، 2007، ص191.

1.4. الموقف الفلسفي:

ينطلق الفكر الفلسفي من النظرة الإنسانية إلى العمل الإنساني أي من واقع العمل ما ينبغي أن يمكن عليه لأن الفلاسفة يرون أن الإنسان هو من يحمل القيمة ومنها وبها يرتقي إلى المطلق عبر انخراط في الكون أفرادا وجماعات.

تحقيقا لهدف أفضل يدفع البشرية إلى تجاوز نفسها على مسار التمدن وتحقيق أمنية أن يكون الإنسان الراهن هو الإنسان المنشود، إلا أن نظريات الفلسفات القيمية متعددة وأبرزها: النظرية الانتقادية ونظرية الإرادة والنظرية الوجودية وعموما فإن هذه النظريات وغيرها يمكن إرجاعها إلى أربعة أصناف من المواقف "تتجلى لدى المواقف الطبيعية في ردها للقيمة واختزالها إلى نشاط طبيعي يخضع لحتمية صارمة تختلف نوعيتها باختلاف المواقف البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية، والتي تتبدى لدى المواقف المثالية في رد القيمة إلى وجود موضوعي مستقل عن الإنسان والتي تبرز لدى المواقف البرجماتية في رد القيمة إلى مجرد وسيلة والتي تظهر لدى المواقف الوجودية في رد القيمة إلى الحرية الذاتية المطلقة التي تخلقها مجددا كل لحظة.

– النظرية الانتقادية:

بعد أن كان الفكر الغربي قبل إيمانويل كانت Emmanuel Kant يتبع الأشياء ويسايرها، قام هذا الأخير بثورة انتقادية قلبت المنهج الأرسطي رأسا على عقب، فأصبح الفكر هو الذي يصنع العالم، ويفرض قوانينه على الوجود الحسي ذاته، ودون الخوض في نظرية المعرفة عند هذا الفيلسوف، حسبنا القول أن ينبوع الحق والخير والجمال لديه هو الفكر ذاته، وفي البنية الشكلية لهذه المقولات فالحقيقة ليست صفة إلزام مطابقة لنموذج خارجي بل إنه إلزام ضرورة كامنة في الفاعلية العقلية المحض وكذلك الحال في العمل الأخلاقي بحيث لا يمكن تعريف الخير ميتافيزيقي.

– نظرية الإرادة:

يقول شوبنهورSchopenhauer " أن الإرادة هي العنصر الأول لجميع الكائنات ، وما الذكاء إلا عنصر عابر هو أداة في خدمة الإرادة، الإرادة هي الشيء المطلق، وهي دعامة الأشياء كلها"ومن ثم فهو يخلص إلى القول بأن " كل ما يوائم رغبات إرادية فردية يسمى خيرا بالنسبة لهذه الإرادة وبينما تنتهي نظرية الإرادة المطلقة لدى شوبنهور إلى الزهد والرحمة والإيثار.تنقلب هذه الإرادة عند نيتشه Nietzsche كما المعنا إلى ذلك سابقا، إلى القسوة والعنف والتجاوز، وهي كلها مصدر القيم ، وهو بذلك قلب قائمة القيم قلبا، وجعل سافلها أعلاها ، لقد رأى أن الحياة ليست غريزة بل إرادة إنها ليست غريزة وجود بل إرادة قوة، ولهذا فإن الإنسان مقياس كل شيء

وبالتالي فإن فكرة الله زائدة، بل ضارة بحيث يجب استئصالها من وجدان البشر وعقولهم وإعادة الفضيلة الضالة إلى الأرض والتحرر من القيم التقليدية، ومنظومة القيم في نظره تختلف من إنسان إلى آخر ومن زمان إلى زمان، إن الإنسان هو الذي وضع قيم الأشياء ليحتفظ بذاته، وهو الذي أبدع المعاني وأسبغها على الأشياء".

2.4.مواقف الوجودية:

يمثل موضوع القيمة في الفلسفة الوجودية موقعا معتبرا، فهي تحتفل به احتفالا كبيرا " ولكنه احتفال مريب لأنها في الوقت ذاته تقول فيه أن الإنسان يتصرف وفقا لقيمه، ويقول إنه يتصرف ضد أي قيمة لأنه يخلقها كل لحظة فتنزلق من بين يديه كما ينزلق وجوده نفسه وماهيته أيضا فليس ثمة قيمة تلزم الفرد بل عليه أن يخلق ما يلزم من قيم وإذا ما خلقها فلن تكون وجودا تؤثر عليه والوجود الإنساني نفسه نقص وعوز والقيمة هي هذا النقص عينه وهيهات أن يشتغل هذا النقص، والقيمة لا يمكن أن تكون معيارا، وإلا وجد الإنسان نفسه ملزما إزاءها بل إن القيمة إذا تكررت وثبتت لم تعد قيمة لأن على الإنسان أن يخلقها كل مرة عند كل موقف فتتعدد القيم.

إن الوجودية حينما حولت الفرد إلى إلهه يخلق ثم ينقض ما خلق، أصدرت حكما بالإعدام على القيمة وأدخلت نفسها في العبث واللامعقول ثم إن الوجوديون إعتنو بتحليل القيمة بوجه عام أكثر من غايتهم بتحليل القيم النوعية فإن السبل التي توصلهم إلى القيم الاجتماعية والسياسية الجمالية والحقوقية هي سبل غامضة مبهمة[1].

– **نظرية الرغبة والميول:** يرجع أصحاب هذه النظرية القيمة إلى الرغبة، من بينهم سبينوزا Spinoza الذي يرى أن الإنسان يتتبع اشتهاءه، واشتهاءه يدخل فيي نزعة الكائن إلى البقاء في الوجود، فالخير عنده كل ما يعمل على حفظ جسمه والشر كل ما يضاد ذلك، وعلى هذا فإننا حينما نريد شيئا أو نشتهيه أو نرغب فيه، لا نفعل ذلك إننا نحكم بصلاحه بل على العكس أننا نحكم بالخيرية على شيء ما لأننا نريده ونشتهيه ونرغب فيه فالقيمة إذن ليست صفة خاصة بالأشياء بل القيمة هي نزعتي أو عاطفتي، وهي ظاهرة أولية تتيح لنا الكلام عن قيمة الشيء الذي تتطلع إليه هذه النزعة أو العاطفة.

– **النظرية الفرويدية:** تنطوي الحياة النفسية حسب فرويد Freud ، إضافة إلى جانب الشعور، على مجالين آخرين هما مجال اللاشعور ومجال ما قبل الشعور ويتألف اللاشعور من موجهات غريزية قوية تؤثر في حركة النفس كلها فكرا وعملا وأما مجال ما قبل الشعور فيتكون من عناصر يمكن أن تصبح شعورية عندما تسنح الفرصة، وهناك مواقع تعترض سير العناصر المتجهة صوب الشعور، تؤثر فيها في منطقة ما قبل الشعور تُخضعها لوظيفة نفسية مانعة مكتسبة بتأثير التربية الدينية والأخلاقية وهذه الوظيفة التي تسمى الرقابة هي التي تقف أمام نزعاتنا

[1]- محمد بلفقيه، **المرجع نفسه**، ص ص 192 193.

الأولية، وتوجه سلوكنا وتؤثر في جريان الفكر، وتطبعنا بطابع ما هو نتاج اجتماعي أو جائز شرعا، فتبدأ الخصومة بين الرغبات الأولى وبين سلطان المجتمع فتعمل الرقابة على إبعاد ما لا يقره المجتمع أي أنه يسعى إلى كبته والميول والرغبات التي تردها الرقابة وتعجز عن تصير شعورية تسمى الميول أو النزعات المكبوتة، وهي تسيطر على تصرفنا وتتحكم في أذواقنا، ويذهب فرويد إلى أن جل العقد اللاشعورية والمركبات الخفية ذات طبيعة جنسية، فهي تصدر عن مبدأ اللذة وتعبر عن غريزة خالدة فعالة هي الليبيدو، وهكذا فإن الحياة النفسية تنتظم في صراع بين "الأنا" وبين مثلها الأعلى، بين الغريزة أو الـ"هو" أي المعطى الطبيعي، وبين ما يجب أن يكون الذي يعبر عنه الهدف الاجتماعي وهنا تحدث عملية التوحيد وبها تتجسد القيم الاجتماعية وكلها قيم تعلو على الغريزة أو تضادها ومعنى هذا أن الكبت في نظر فرويد هو خالق القيم المقبولة اجتماعيا وأن القيم الدينية والأخلاقية والسياسية والجمالية، وحتى القيم النظرية، لا توجد بذاتها، وإنما هي محض إضفاء ومجرد إشارة دالة على نشاط الليبيدو والمكبوت، إن أراء فرويد، وكل من والاه تغلب الطبيعة على العقل وكأنها ترجع القيمة إلى أصل آلي معطى بدل أن تكون ابتكارا إنسانيا يتوخى تغيير الواقع الراهن شطر ما يجب أن يكون، ويظل من الثابت أن اعتقاد فرويد بأن الإضفاء أصل القيمة وأن القيم المختلفة تنتظم في تسلسل يرقى بالميول المكبوتة من الأدنى إلى الأعلى، وهذا يعني أن القيم إن كانت كلها أحوال إضفاء فإنها في آخر المطاف تتكافأ بعضها بعض فيمتنع تمايز بعضها عن بعض فيتعذر إذاك الكلام على أهداف يعلو بعضها بعضا[1].

– النظرية الماركسية:

إذا كان فرويد أراد حل التناقض الجدلي بين الطبيعة أي الاندفاعات الفيزيولوجية والنفسية وبين المجتمع أي الضغوط النفسية الاجتماعية التي تجمعها رقابة الأنا العليا بثورة تعتمد الطاقات الليبيدية على أساس علم النفس الأعماق، فإن كارل ماركس جاء بثورة تميز بنية دنيا على بنية عليا، وتسعى إلى حل التناقض الجدلي بعلم اجتماع الأعماق الهادف إلى "فضح" الصراع الطبقي المنبثق عن العامل الاقتصادي في المادية الجدلية التي تتضمن المادية التاريخية وتبيان مصدر القيم الإنسانية التي ليست هي أيضا سوى إضفاء ناجم عن واقع الاغتراب، إن الحادث الرئيسي المهيمن على التاريخ البشري في اعتقاد ماركس هو العامل الاقتصادي، ومنه خلصت الماركسية أنه "ليس ضمير الإنسان هو الذي يحدد طراز وجوده، بل إن طراز وجوده الاجتماعي هو الذي يحدد ضميره وأن الحقائق ومن ثم القيم هي من صنع التاريخ، أي من صنع البشر إن الاقتصاد هو حجر الزاوية في العلاقات الإنسانية أما الأوضاع السياسية والحقوقية ومختلف العقائديات الدينية والفلسفية والفنية الثقافية فإنها إضافية، أو بنيات فوقية

[1]– محمد بلفقيه، **المرجع نفسه**، ص ص193 194

تستند إلى البنية الاقتصادية وتنشأ عنها، فإذا أردنا موازنة نظرة ماركس وفرويد من الزاوية القيمية، على الرغم من تعارضهما، أمكننا القول أنهما يتفقان على اعتبار أن مصدر القيم هو الأنا الدنيا أي الـ"هو" أو الليبيدو في نظر فرويد، والبنية التحتية في نظر ماركس، وهذا الينبوع القيمي يلقى رقابة كبت وزجر يتحول بالتصعيد إلى إسقاط في قيم مثلى هي قيم الأنا العليا عند فرويد ويتحول في رأي ماركس بالثورة والصراع الطبقي إلى قيمة وحيدة عليا هي المطلب الشيوعي الأخير للقضاء على الانخلاع والاغتراب أي لتحرير العامل والشغيل والمجتمع والأرض، وفي كل الأرض.

– النظرية الاجتماعية:

رغم أن النظرة الاجتماعية إلى أصل القيمة ومصدرها تميّز بين أنماط متباينة، فإنه يمكن ردها إلى ثلاث نظريات أساسية، نظرية علم الاجتماع الصوري الألماني، ونظرية المدرسة الاجتماعية الفرنسية، ونظرية المدرسة التحليلية الأمريكية.يعتبر زيمل Ziml ، عالم الاجتماع والفيلسوف الألماني، أن القيم جميعا لها مصدر واحد هو المجتمع غير أنه يقصر مفهوم المجتمع على منظومة العلاقات العامة دون العلاقات النوعية، والمجتمع عنده ينجم على علاقات أولية من الأفراد: التعارض والمنافسة والسيطرة والتبادل، وهي علاقات تجدد باستمرار وهذا ما يجعله يولي اهتمامه الأكبر إلى مسألة الدمج الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية ويعتبر هذا الدمج وهذه التنشئة تنشأ القيمة، والقيمة تتجدد بالتدريج ، فقد تبدأ من الغريزة أو من الرغبة التي تلبى في الحال، أو من المنفعة المباشرة وهكذا توجد مسافة بين الفاعل والغرض يتخللها عدد من العوائق فالقيمة إذن لا تظهر إلا إذا كان موضوعها جمالي أو نافع أو غير ذلك على مسافة منا، وهذه المسافة هي التي تجعل التبادل ممكنا، ولا شك أن تصور زيمل للقيمة يرجع في المقام الأول إلى اعتنائه الخاص "بتحليل القيمة الاقتصادية من حيث تحديدها التدريجي بالعلاقات الاجتماعية ولاسيما علاقة التبادل وذلك أن اختلاف رغبة الأشخاص في الحصول على ما يريدون[1] يقيم علاقة بين رغبات متقابلة، أي أن الاختلاف هو الذي يعطي قيمة للأشياء، وعليه فإن المال قيمة وظيفية ولا تختلف عن هذا أي قيمة من القيم".فيما كان علماء الاجتماع الصوريون يسعون على خطى زيمل إلى (نسبية–اجتماعية) فإن المدرسة الفرنسية وزعيمها دوركايمDurkheim الذي عاصر زيمل يقول بنوعية الواقع الاجتماعي ويفسر الحادث الاجتماعي بحادث اجتماعي، يرفض دوركايم الاعتقاد بأن القيمة خاصة باطنة في الشيء تؤثر في الذات يعترض على القول الذي يزعم أن الذات هي التي تعطي الشيء قيمته، فهو يعطي الأهمية لاستقلال الواقع

[1]– محمد بلفقيه، **المرجع نفسه**، ص ص 194 195

الاجتماعي ويرد القيمة إلى "الفكر الجمعي الذي يغير كل شيء يمسه ويتصل به، وهذا العقل الجمعي الذي هو شيء خارجي يجعل من الفرد مجرد جزء من جهاز أكبر، وتكوين أشمل هو المجتمع.

– النظرية الابستومولوجية:

في مؤلف تحت عنوان "فلسلفة القيم" طرح ريمون روايي Raymond Roye موضوع القيم طرحًا ابستومولوجيا اتجه فيه من النسبي إلى النسبي، وينطلق بحثه من توضيح علاقة الواقع بالقيمة، وهو يبين أن التفضيل حادث إنساني راهن، ومعنى هذا أن القيمة ترتبط بالشعور القادر على الإدراك إلا أنها مع ذلك لا تتخذ هيئة كائنات حالية يمكن تعيين وجودها بدءًا ونهاية لأنها تقع على هيئة ذوات (مثل التساوي، التباين، الثنائية...) خارج الزمان، وهذه الذوات لا تتحقق في الزمان إلا عند توفر شروط ظهورها فالقيمة والذات كلتاهما تنتميان إلى مجال الممكن وكلتاهما تحتاجان إلى أن تتجليا في انجاز وتجسد، ويرى روايي أن القيمة تفترض في الغالب تحقق نمط قد يكون تاريخيا نظرا لارتباط القيمة بالثقافة، ولهذا تتحقق القيم سويا حين يتقيد التحقق بأنماط تلك القيم فالثقافات هنا "أشبه بتُرع قيمية تنساب فيها القيم الراهنة"، ويقول روايي "من الطريف أن نشاهد التشابه العام بين حركة توزيع الحياة وبين تطوير القيم في الترع، فالنقاط الراهنة تنشأ من روافد كثيرة" إذن يرى هذا الباحث أن الثقافة بروافدها هي مصدر القيم[1].

5. تصنيف القيم:

أثارت مسألة تصنيف القيم العديد من المشكلات نظرا لتنوع وجهات النظر أو التوجهات التي يتبناها الباحثون ولا يوجد اتفاق على تصنيف معين.وترتبط القيم ارتباطا وثيقا بأنماط السلوك والأدوار الاجتماعية مثلما ترتبط تماما بكل أنساق الحياة، بل أنها تعد ضمان استمرارية التفاعل بين الأفراد المجتمع وجماعاته لأنها توفر قدرا من التوقعات التي يتفاهمون على أساسها ويخضعون تصرفاتهم لها، ويعتزون بالحفاظ عليها والدفاع عنها ونبذ المشوه لأنماطها، فهي تعتبر إطارا مرجعيا لسلوك الفرد في المواقف المختلفة إذ تحركه في اختيار نوع السلوك وأهداف الحياة كما تحدد له ما يجب أن يقبله[2].لذا فإن البحث الاجتماعي لموضوع القيم يثير أهمية طرح مسألة تصنيف القيم ولقد كان للاختلافات الجوهرية في تحديد مفهوم القيم وتفسير طبيعتها أن انعكس أيضا على المهتمين بدراستها عند محاولة تصنيفها فهناك من يرى أنه من العسير وضع تصنيف محدد للقيم هذا يعود إلى الفشل في توضيح الاختلافات الموجودة بين مختلف أنماط القيم نتيجة للتعقيدات المتضمنة في مفهومها الأمر الذي أدى بالبعض إلى

---

[1]– محمد بلفقيه، **المرجع نفسه**، ص 195-196

[2]– أحمد مصطفى خاطر، **الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع الريفي**، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث،1990 ، ص ص104 105.

تجنب تصنيفها، وذلك لعدم التمكن من الإحاطة بكل الأنماط القيمية التي يمتثلها الأفراد والمجتمع وفي هذا المعنى يقول (سورلي surly) من المستحيل أن تكون هناك قاعدة يمكن على أساسها تحديد كل أنواع القيم، لكن هذا الرأي لا يقره البعض الآخر من المهتمين بدراسة القيم حتى وإن كان موضوع تصنيف القيم يبدوا للقارئ كمسألة أكاديمية، ذلك أنه من الصعوبة بمكان القيام بدراسة القيم ميدانيا دون اللجوء إلى تصنيفها ولذا فقد اهتم الكثيرون من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية بهذه المسألة، قد أصبح تراث هذه العلوم يتوفر على قدر من محاولات تصنيف القيم وأن هذا التنوع في التصنيفات يعود بالدرجة الأولى إلى الاختلاف في وجهات النظر والتباين في المداخل الفكرية، لذا فإن تصنيف القيم يعتمد على مبادئ تصنيفية مختلفة ترتبط بالضرورة بطبيعة المداخل المتباينة للتحليل، ومهما يكن من أمر، فإنه يمكننا إلقاء الضوء على بعض نماذج التصنيف المختلفة في التراث النظري ،بهذا يمكن استخلاص عدة محاولات لتصنيف القيم تعرض لأهمها فيما يلي: هناك من العلماء من صنف القيم وفقا للانقياد موضوع البحث أو وفقا لطبيعة المنفعة أو عن طريق العلاقة بين الممتثل والمستفيد أو وفقا للعلاقة التي تصنفها القيم نفسها على الآخرين، وهنا يرى بعض علماء الاجتماع أن القيم ليست متساوية في الأهمية، أي لها درجات مختلفة من التأثير في الفعل وبالتالي فهي تقع في ترتيبات هرمية ومن ثم فإن تصنيفها يخضع إلى طرق مختلفة، وكل طريقة تعكس أهمية خاصة لبعض الصفات أو الجوانب القيمية[1] وهناك من العلماء من قدم تصنيفا للقيم مستندا إلى طبيعتها وخصائصها كتصنيف (جوليتلي golightly) الذي ميز بين القيم الأساسية والقيم الفرعية وتصنيف (كيرت لوريس c.luries) حيث صنف القيم إلى جوهرية طارئة، أما (كلاكهون kluckhon) فقد قدم تصنيفا يشير إلى وجود قيم عامة في المجتمع ككل وقيم خاصة بجماعة أو جماعات اجتماعية معينة، وهذا التصنيف يستند إلى معيار درجة انتشار القيم في المجتمع كما تم تصنيف القيم بالاستناد إلى اتجاهها المرتبط بالنمط البنائي للمجتمع كما فعل (روبرت ردفيلد) عندما ميز القيم على أساس نوع المجتمع الشعبي القديم الذي تسوده القيم التقليدية المحافظة والمجتمع الحضري الذي تسوده القيم العقلية العلمانية، كما يوجد هناك من العلماء من صنف القيم بناء على وظائفها الاجتماعية أي ربط كل قيمة بنظام اجتماعي معين كما فعل (أميل دوركايم وريدير) وغيرهما من أنصار الاتجاه البنائي الوظيفي في علم الاجتماع[2] ،كما قدم (نيكولاس ريتشر) محاولة تتضمن عرض مختلف أسس تصنيف القيم على النحو التالي:

[1] –حميد خروف، **فعالية القيم في العملية التربوية ، رؤية سوسيولوجية**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد 10،1998، ص148.

[2]– عبد الباسط محمد عبد المعطي وغريب سيد أحمد، **البحث الاجتماعي** ، دار الكتب الجامعية، مصر، ص ص175-177.

1- التصنيف على أساس القيمة : وهنا يتركز الاهتمام على الأشخاص الذين يتبنون قيمة معينة أي أن هذا التصنيف لا يهتم بالقيم في ذاتها من حيث محتواها أو موضوعها وإنما يسلم بوجود بعض القيم كمعطيات، ومن ثم يصبح التساؤل الرئيسي من هم أولئك الذين يحتضنون قيمة معينة وما هي خصائصهم.

2- التصنيف في ضوء موضوعات القيم: أي أن هذا التصنيف يقوم على أساس طبيعة الموضوعات أو الظواهر التي تحظى بالتقويم.

3- التصنيف على أساس الأغراض أو الأهداف : ويقصد بذلك تصنيف القيم وفقا للغرض الإنساني النوعي الخاص الذي يتحقق بوجوده قيمة معينة.

4- التصنيف على أساس الفائدة أو المنفعة: فالقيم ترتبط بفائدة أو منفعة يحققها أولئك الذين يحتضنونها سواء كانت هذه المنفعة تتعلق بإشباع حاجة أو اهتمام أو مصلحة من ثم يجب البدء بتصنيف الفوائد أو المنافع الخاصة أولا، وأن أفضل تصنيف في هذا الصدد هو تصنيف الفوائد أو المنافع الخاصة أولا وأن أفضل تصنيف هو تصنيف الحاجات والرغبات والاهتمامات الأساسية للإنسان.

5- التصنيف على أساس العلاقة بين محتضن القيمة وبين الفائدة: وهنا يلاحظ عموما أن الشخص يحتضن قيمة ما لأنه يرى في وجودها فائدة معينة بالنسبة له أو بالنسبة للآخرين وهذا ما يعرف باسم توجهات القيم ويمكن الحصول في هذه الحالة على تصنيف من النوع الآتي:

أ- القيم ذات التوجه الشخصي (الذاتي) النجاح- الراحة- الخصوصية

ب- القيم ذات التوجه نحو الآخرين أ) القيم ذات التوجه الجماعي الداخلي مثل:

- القيم الأسرية (التوجه نحو الأسرة)
- القيم المهنية (التوجه نحو المهنة)
- القيم القومية (الاعتزاز بالقومية)
- القيم المجتمعية (العدالة الاجتماعية)

ج- القيم ذات التوجه الإنساني: مثل القيم الجمالية أو القيم الإنسانية بصفة عامة

7 - التصنيف على أساس العلاقة بين القيم ذاتها: يعتمد هذا التصنيف على مدى ارتباط القيم بعضها ببعض فهذا النوع من التصنيف يثير تدرج القيم وفقا لمدى عموميتها أي أن هناك ما يسمى بالقيم الوسيطة وأخرى لذاتها أو ما يسمى بالقيم الغائبة[1].

[1] – Nicholas risher, **introduction to value theorie**, N.j Englewood chiffs,1969, pp13-19.

ويفترض أن الناس يهتدون أساسا بواحدة أو أكثر من القيم الست الشهيرة الآتية:

أ- القيم النظرية: ويقصد بها اهتمام الفرد في اكتشاف الحقيقة ضمنيا في سبيل ذلك اتجاها معرفيا صرف نحو العالم المحيط به لموازنة الأشياء وفق أهميتها للقوانين التي تحكم الموجودات بقصد معرفتها من دون النظر إلى قيمتها العلمية والنفعية أو الجمالية وتظهر هذه القيمة لدى أرباب الفكر والفلاسفة[1].

ب- القيم الاقتصادية : ويقصد بها اهتمام الفرد بما هو نافع ماديا ويكون العلم وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها عن طريق الإنتاج والتسويق واستهلاك البضائع واستثمار الأموال وهي تظهر لدى رجال الأعمال والمال[2].

ج- القيم الجمالية : ويقصد بها اهتمام الفرد بما هو جميل من حيث الشكل والتناسق والتوافق ذلك لأنه ينظر إلى العالم المحيط به نظرة تقدير له من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي لشخص ذو القيم الجمالية يسعى وراء الشكل والتناسق ويحكم على خبرة من حيث التماثل والتناسق[3].

د- القيم الاجتماعية: ويقصد بها اهتمام الفرد بغيره من الناس لأنه يحبهم ويميل إلى مساعدتهم ويجد في كل ذلك إشباعا لرغباته، والذين يتميزون بهذه القيمة يتصفون بالحنان والإيثار بمشاركة الآخرين في مشاعرهم.

هـ- القيم السياسية: ويقصد بها اهتمام الفرد بالحصول على القوة لهذا فهو يهدف إلى السيطرة والتحكم بالأشياء ويتصف أيضا بقدرته على توجيه غيره والتحكم في مصائرهم لأنهم يهتمون أساسا بالقوة ويعبرون عن أنفسهم بالرغبة في السيطرة مهما كانت مهنتهم[4].

و-القيم الدينية: ويقصد بها اهتمام الفرد بما وراء العالم الظاهري والرغبة في معرفة الناس أصل الإنسان ومصيره وذلك لأنه يرى أن هناك قوة تسيطر على العالم الذي يعيش فيه وعليه فهو يحاول أن يصل نفسه بهذه القوة لأنها تعبر عن معتقدات ومشاعر دينية[5].

6. أشكال القيم:

---

[1] – يوسف محمود الشيخ .عبد الحميد جابر،**سيكولوجية الفروق الفردية**، دار النهضة العربية، القاهرة،1964 ، ص29.

[2]– سيدني جوارد، **الشخصية بين الصحة والمرض** ،ترجمة: حسن الفقي وسيد خير الله ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة،1973، ص106.

[3]– فؤاد أبو حطب، **العلاقة بين أسلوب المعلم ودرجة التوافق بين قيمه وقيم تلاميذه**، المجلة الاجتماعية القومية، العدد1،مج11، القاهرة،1974 ،ص56.

[4]– عبد الكريم علي اليماني، **فلسفة القيم التربوية** ، دار الشروق للنشر والتوزيع، فلسطين، ط1، 2009،ص95.

[5]– حسين فيصل القدي، **اتجاهات المراهقين وقيمهم في قطر وآثار العوامل الثقافية والاجتماعية** ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية التربية القاهرة،1995،ص106.

معظم المشتغلين بالقيم يميزون بين قيم داخلية لا تسعى إلى تحقيق نهاية معينة لأنها هي الغاية في حد ذاتها وقيم أخرى تعتبر كآلة لتحقيق نهاية معينة فهي وسائل في اعتبارها أسباب لتحقيق قيم داخلية وتوصف الأعمال بأنها خيرية أو لها قيمة بإرجاعها لتلك القيمة الخارجية التي هي بمثابة المثال لكل قيمة، معظم القيم الداخلية أدوات التجربة قيمية ذاتية، ومعظم الفلاسفة يعترفون بثلاثة قيم وهي الخير والحق والجمال، والبعض يضيف قيمة المقدس يجعلها من ضمن القيم الداخلية، وهناك قيم أخرى ينبغي أن تضاف إلى قائمة القيم مثل الحب واللعب الاجتماع والعمل والاعتناء بالجسم ، وقد نرفض الحق كقيمة لبعض التساؤلات منها كيف يعتبر الحق قيمة مادام بعض الحق محايدا والبعض الآخر لا قيمة له ولكن محبة الحكمة رغم نتائجها يبدو أنها تؤكد قيمة الحقيقة لأن محبة المعرفة تنصب على معرفة الحقيقة، والمعرفة في ذاتها فضيلة مضادة للجهل وهو رذيلة وشر، ويبدوا أن هناك تساؤلات حول المقدس أو القيمة الدينية ما إذا كانت نمط وحيدا أم هو وسيلة أو وجهة نظر نحو القيم الأخرى، إن المقدس يجمع بين الاثنين القيمة ووجهة النظر بقيمة القيم الأخرى، لقد كان هناك شبه إجماع بين الفلاسفة كما مر بنا بأن القيم ثلاث وهي الحق ،الخير،الجمال يبدوا أن التفسير الثلاثي للقيم كان ذا نزعة مسيحية راجعة إلى فكرة التجسيد في الديانة المسيحية والتي أكدها هيجل في جدليته الثلاثية فالجوهر الأول هو الله يمكن أن يتبدى في أقانيم ثلاث هي الأب، الابن، وروح القدس وهي تقابل في الأفلاطونية المحدثة أو ما يسمى بنظرية النقيض بالعقل الأول والنفس السمائية والجسم السمائي ولعل المقدس يتبدى هنا في قيم ثلاث وهي الحق الخير،الجمال، ولعل كمبل (campbell) كان على حق عندما قال: "عادة العقل قد أفصح عنها بواسطة تقليد طويل والذي أخذ يغرينا ويدفع بنا لنأخذ به على أساس أنه حقيقة قائمة، وذلك بأنه الحق والجمال والخير تكون نوعا من التثليث المقدس لقيم داخلية، وحيث يجعلنا كذلك نعتقد في موضوعية هذا النظام من القيم، وتقبل القيم من حيث معياريتها الموضوعية ولا تقبل من ناحية أخرى قصرها على الحق والخير والجمال بل تضاف إليها قيمة أخرى رابعة وهي المحبة، وفي الوقت ذاته لا نقف معارضين إذا حاول آخرون إضافة قيم أخرى ما دامت تلك القيم تجد قبولا عند الإنسان لأنها تجلب له الخير في ذاته ولغيره من أفراد جنسه ونستبعد من دائرة القيم أي دلالات أو مسميات يفترض في أنها قيم وتلقى قبولا عند الأفراد غير أن مردودها سلوكا يكون سببا للشر والأذى للآخرين[1].

المبحث الثاني: القيم الدينية

[1]– محمد محمد بالروين، **الإنسان بين القيمة والنمطية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1994، ص ص30 31.

1. مفهوم القيم الدينية:

تُسمى القيم الروحية، وبما أن جميع القيم المراد دراستها تقوم وفقا لمبادئ وأخلاق الدين الإسلامي فيمكن تسميتها قيم دينية إسلامية. تعرف نورهان فهمي القيم الدينية بأنها: "تشكل الإطار المرجعي لضبط السلوك وترشيد علاقة الإنسان بذاته والمجتمع وتشمل العبادات والإيمان بالقوى الغيبية والثقافة الدينية إدراك أهمية الدين في الحياة والتعاون ودعم القيم الدينية يقصد بها ارتقاء القيم الروحية التي تنعكس عمليا على سلوك الفرد من حيث الالتزام بالأدوار والمسؤوليات والواجبات الفردية والاجتماعية"[1].

ويعرف ماجد الجلاد القيم:"بأنها مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية راسخة يختارها الإنسان بحرية بعد تفكر وتأمل ويعتقد بها اعتقادا جازما تشكل لديه منظومة من المعايير يحكم بها كل الأشياء بالحسن أو القبح، وبالقبول أو الرد، ويصدر عنها سلوك منتظم يتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز[2].

يعرف (أحمد الخشاب) القيم الدينية :"تلك القيم التي تكرم الفرد بصفته إنسانا وتحمي الجماعة بصفتها كائنا عضويا حيويا ينشد كمال ذاته واتخذت من المضمون الروحي للنظام الاجتماعي أساسا لكل تغيير جذري يهدف إلى تحقيق النمو الإنتاجي والعمل الإنساني الذي ينطوي على تراثنا الروحي"[3].

ويعرفها (إسماعيل الكافي) :"القيم الدينية بما تتضمنه من قيم سياسية كالمساواة والاستقامة، القوة والعلم والتمسك به والعمل الجاد المنتج ... كلها قيم تغرس في الفرد شعورا بقوته الإنسانية قوته الروحية وقوته السياسية وتدفعه إلى العمل الجاد من أجل تحقيق ذاته وحماية جماعته وتدعيم وطنيته وتقوية عقيدته، والقيم الدينية لها دور هام في تدعيم التماسك بين أفراد المجتمع وبالتالي تدعم الوحدة الوطنية به"[4]

واشتملت التعاريف على أن القيم الدينية : أ) توجه السلوك الإنساني. ب) مصدرها الدين.

ج) تشمل جميع جوانب الحياة الضرورية للأفراد والمجتمع . د) تمتاز بالثبات والقوة والتأثير.

ومفهوم القيم الدينية أنها ضوابط السلوك الإنساني توجهه وتضبطه وهي ضرورية للفرد والجماعة، تنظم جميع جوانب الحياة وتشتمل الإيمان العبادة، النظافة، الصبر، الأمانة العلم الأخوة، الصدق، التعاون، الطاعة، فتمتاز القيم الدينية بهيمنتها على جميع القيم الأخرى كما أنها تنبثق من مصدر ديني إسلامي أساسه الإيمان بالله.

---

[1]– نورهان منير حسن فهمي، **مرجع سابق**، ص ص36-37.

[2]– ماجد زكي الجلاد، **تعلم القيم وتعليمها** تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريب القيم، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 2005-2007 ص33.

[3]– أحمد الخشاب، **علم الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العلمية**، مكتبة القاهرة الحديثة، بدون سنة، ص400.

[4]– إسماعيل عبد الفتاح الكافي، **موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية**، مركز الإسكندرية للكتاب، 2005، ص42.

2. أهمية القيم الدينية:

للقيم أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع لأنها تمثل ركن أساسي في تكوين العلاقات بين الأفراد وتسهم بشكل فعال في تحديد طبيعة التفاعل بينهم إضافة إلى أنها تشكل معايير وأهدافا تنظم سلوك الجماعة وتوجهه كما أنها للفرد بمثابة دوافع محركة لسلوكه لهذا السلوك وأنها من الأبعاد المكونة لشخصيته فهي تؤدي دورا فعالا في تكامل الشخصية المسلمة وتصل بها إلى كل تقدم ورقي[1].

وقد عرض ماجد زكي الجلاد أهم القضايا التي توضح أهمية القيم للفرد والمجتمع .

أ) أهمية القيم للفرد:

تتضح أهمية القيم للفرد في القضايا الرئيسية الآتية:

1- **القيم جوهر الكينونة الإنسانية:** تضرب القيم جذورها في النفس البشرية لتمتد إلى جوهرها وخفاياها وأسرارها وهي تشكل ركنا أساسيا في بناء الإنسان وتكوينه، فبالقيم يصير الإنسان إنسانا وبدونها يفقد إنسانيته ويرد إلى أسفل سافلين، ويصبح كائنا حيوانيا بهيما تسيطر عليه الأهواء وتقوده الشهوات فينحط إلى مرتبة يفقد فيها عنصر تميزه الإنساني الذي وهبه الله له .

2- **القيم تحدد مسارات الفرد وسلوكياته في الحياة:** ينبع السلوك الإنساني من القيم التي تنشأ بدورها عن التصور والمعتقد والفكر فتفكير الإنسان في الأشياء والمواقف التي تدور حوله وبناء تصوراته عنها هو الذي يحدد منظومته القيمية ومن ثم تصدر أنماط السلوك وفق هذه المنظومة وبناء على ذلك تأتي أهمية القيم كمنظمات لسلوك الأفراد فيما ينبغي فعله والتحلي به، وفيما ينبغي تركه والابتعاد عنه.

3- **القيم حماية الفرد من الانحراف والانجراف وراء شهوات النفس وغرائزها:** تعتبر القيم كالسياج الذي يحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي وبدون هذا السياج يكون الإنسان عبدا لغرائزه وأهوائه وشهواته التي لا تقوده إلا للدمار والفناء وعندما تضعف قيم الفضيلة في النفس تسيطر الرغبة والغريزة وتظهر كأنها سيدة المكان والزمان تجرف الإنسان في تياراتها المتضاربة فلا يدري في أي مكان هلك[2].

---

[1]- وضحة علي السويدي، **تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر**، برنامج مقترح ، دار الثقافة، الدوحة،ط1 1989،ص76.

[2]- ماجد زكي الجلاد، **مرجع سابق**، ص ص39 46.

4- **تزود القيم الإنسان بالطاقات الفاعلة في الحياة وتبعده عن السلبي:** القيم هي من تحدد لك أهدافك في الحياة ومنطلقاتك إليها، وهي التي تشعرك بالنجاح والانجاز والتقدم وتبعث في نفسك السعادة وتبعد عنك التعاسة والفشل وهي التي تعزز ثقتك بنفسك.

ب) أهمية القيم للمجتمع:

تتضح أهمية القيم للمجتمع في النقاط الرئيسية الآتية:

1- **القيم تحفظ للمجتمع بقاءه واستمراريته:** إن قوة المجتمعات وضعفها لا تتحدد بالمعايير المادية وحدها بل بقاؤها ووجودها واستمراريتها مرهون بما تمثله من معايير قيمية وخلقية فهي الأسس والموجهات السلوكية التي يبنى عليها تقدم المجتمعات ورقيها، والتي في إطارها يتم تحديد المسارات الحضارية والإنسانية، ورسم معالم التطور والتمدن البشري، وفي حالة اختلال الموازين وفقدان البناء القيمي السليم فإن عواقب ذلك لا محالة وخيمة تؤول بالمجتمع إلى الضعف والتفكك والانهيار قال تعالى: "**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**"[1] وقال تعالى:" **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**"[2].

2- **القيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه:** لأن القيم تشكل محورا رئيسيا من ثقافة المجتمع وهي الشكل الظاهر البين من هذه الثقافة التي تعكس أنماط السلوك الإنساني الممارس فيه، ونظرا لتغلغل القيم في جوانب الحياة كافة فإن هوية المجتمع تشكل وفقا للمنظومة القيمية السائدة في تفاعلات أفراده الاجتماعية، فالمجتمعات تتمايز وتختلف عن بعضها بما تتبناه من أصول ثقافية ومعايير قيمية تشمل نواحي الحياة المختلفة وتظهر القيم كعلامات فارقة وشواهد واضحة لتمييز المجتمعات عن بعضها.

3- **القيم تحفظ المجتمع من السلوكيات الاجتماعية والأخلاقية الفاسدة:** تؤمن القيم للمجتمع حصنا راسخا من السلوكيات والقيم والأخلاق التي تحفظ له سلامته من المظاهر والسلوكيات الفاسدة مما يجعله مجتمعا قويا بقيمه ومثله، تسوده قيم الحق والفضيلة والإحسان وتحارب فيه قيم الشر والفساد فالقيم الدينية لها أهمية بالغة تتمثل في:

* ضبط السلوك والرقابة عليه وهي ضرورية للفرد وللجماعة، فإن فُقدت حدث الخلل والانحراف في السلوك.

---

[1]- سورة الأعراف، الآية 96.

[2]- سورة النمل، الآية 112.

* كما أن المجتمعات تعمل على تنمية وغرس القيم الدينية في نفوس أفرادها عن طريق مؤسساتها، هي مجتمعات تعمل على الازدهار والتطور والرقي وينتج عن ذلك انسجام في الحياة[1].

3. القيم عند الصوفية:

للصوفية في الإسلام فلسفتهم المبنية على الارتقاء الروحي فهم يحلقون في روحانية ولكنها في آخر المطاف تقلب منحنى سلم القيم تجعله سلما دائريا أول حلقاته هي المحبة جهادا للنفس وآخر حلقاته هي المحبة وصولا للوصل ومن أهم شخصيات الصوفية والذين اهتموا بالقيم الأخلاقية هم:

1.3 أبو طالب المكي:

يعالج أبو طالب المكي (386هـ) أمر النفس معالجة دينية واضحة فيسند رأيه بالآيات القرآنية الكريمة لكن مع هذا لا تخلوا نظراته من مسحة فلسفية أفلاطونية، وهو يرجع صلاح أخلاق الإنسان إلى صلاح النفس وبهذا فهو يحث على الابتعاد عن الهوى، والنفس عنده مجبولة عن الحركة .

على الرغم من أن النفس عند أبو طالب المكي واحدة إلا أنه يقول أنها مبتلاة بأوصاف أربعة متفاوتة أولها معاني صفات الربوبية نجد الكبر والمدح والعز والغنى، ومبتلاة بأخلاق الشياطين مثل الخداع الحيلة والحسد والظنة ومبتلاة بطبائع البهائم وهو حب الأكل والشرب والنكاح وكذلك فهي مطالبة بأوصاف العبودية مثل الخوف والتواضع والذل، وكذلك يقسم النفس إلى قسمين منهم من تغلب عليه النفس الأمارة بالسوء الموافقة للهوى والمخالفة للمولى ومنهم أولو النفس المطمئنة وهم عباد الرحمن أصحاب العلم والحكمة ولهذا فهو يحث الإنسان على الابتعاد عن طاعة النفس الأمارة بالسوء وأتباع النفس العاملة التي تقوده إلى صفات الربوبية وتضعه في مصاف الروحانيين، ولهذا فهو يصف الطريق الأخلاقي بخلاص النفس من عبودية الهوى إلى طريق الكمال وذلك بأن يملك انسياق نفسه ويسخرها ويتسلط عليها أن تسلط عليه لأنه يقول إن لم تملك نفسك ملكتك وإن لم تضيق عليها اتسعت عليك فأن أردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها وأحتسبها عن معتاد بلاها فإن لم تمسكها انطلقت بك، وإن أردت أن تقوى عليها فأضعفها بقطع أسباب هواها وحبس مواد شهواتها وإلا أبت عليك فصرعتك[2].

2.3 الغزالي:

هو محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (505-450هـ) إن قراءة فكر الغزالي من الزاوية القيمية يوضح لنا موقفا أولا هو موقف فلسفي مألوف لدى الفلاسفة المسلمين أمثال الكندي والفارابي وابن سينا ومسكويه، وفي

---

[1]– ماجد زكي الجلاد، **المرجع نفسه**، ص46.

[2]– محمد بن أبي الحسن المكي أبو طالب، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف المريد إلى مقام التوحيد**، القاهرة، ط1950،1،ص 174-178.

هذا الموقف من مواقف شخصية الغزالي يبدو لنا أبو حامد فيلسوفا مسلحا، أرسطو طاليسا وأفلاطونيا معا في ميدان العلم وقد انتهى إلى إقرار قيم أصلية أساسية أو فضائل تضم كل واحدة منها قيما فرعية أو جزئية بعضها إيجابي مرموق، وبعضها سلبي مذموم وهي جمعها تقدم لائحة كاملة عما أقره فلاسفة الإسلام القدامى من حكمة وشجاعة وعفة واعتدال[1].

إن جوهر الأخلاق عند الغزالي هي أخلاق التصوف وذلك لأنه لم يجد بغيته في الفلسفة وعلم الكلام لذلك كتب كتاب المنقذ من الضلال فتجاوز بذلك طريق الفلاسفة، بعد ما لم يجد ضالته عندهم لأن الحقيقة برأيه نصلها عن طريق الذوق والعمل[2].

فالغزالي مع التصوف الجاد الملتزم بأدب الدين وأدب العقل، لأن التصوف في حقيقته كما أبان منه وعرفه شيوخ الطريقة المعتمدين خلق أدب، طهارة ونقاء وتصفية ومجاهدة وتخلية عن كل خلق رديء وتحليه بكل أدب رفيع[3].

3.3 الحافظ ابن أبي الدنيا:

هو عبد الله محمد أبو بكر القريشي (208-281هـ) وقد ألف العديد من الكتب منها كتاب الإخوان الشكر المرض والكفارات، مكارم الأخلاق، الهم والحزن، الحلم، الهواتف....

وفي كتابه مكارم الأخلاق قد اعتمد ابن أبي الدنيا على أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن عقبة بن عامر قال لقبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبادرته فأخذت بيده أو بدأني فأخذ بيدي فقال يا عقبة ألا أخبرك فضل أخلاق أهل الدنيا وأهل الآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك، وكذلك في حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم "لن ينال عبد صرح الإيمان حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويغفر لمن شتمه ويحسن لمن أساء إليه"، أما مكارم الأخلاق فهي عشرة عند ابن أبي الدنيا معتمد على قول عائشة (رضي الله عنها) إذ قالت: إن مكارم الأخلاق عشر صدق حديث وصدق البأس في طاعة الله وإعطاء السائل ومكافأة الصنيع وصلة الرحم وأداء الأمانة والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقري الضيف ورأسهن الحياء"[4]

4.3 ابن عربي:

---

[1]– أبو حامد الغزالي، **ميزان العمل**، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط1، 1964، ص64.

[2]– المرجع نفسه، ص154.

[3]– عبد الحميد عرفان، **الإمام الغزالي رائدا الثقافة الإسلامية** ، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد243، بغداد، 1991، ص47.

[4]– عبد الكريم علي اليماني، مرجع سابق، ص56.

ولد ابن عربي سنة (560هـ) بمدينة مرسية بالأندلس وأرتحل طالبا للعلم إلى الشرق وتوفي في دمشق عام (638هـ) وترك مؤلفات عديدة منها كتابه الضخم (الفتوحات المكية) وكتاب (فصوص الحكم) وقد أقام نظريته الأخلاقية على نظرية الوجود فوضع فكرة الإنسان الكامل بفكرة أفلاطون بالتشبيه بالله، الإنسان الكامل عنده قمة الروح الأعظم وملك الحياة والقطب فتارة العلم الأعلى والعرش والعقل الأول[1].

وقدم ابن عربي لدراسة الأخلاق بدراسة للنفس أسوة بأسلافه الفلاسفة فالنفس تحديد هي الجوهر الروحاني المنير بطبعه الذي يعطي الجسم الحياة عندما يتصل به والذي يتخذه آلة لكسب العلوم أو النفس وفي الجسم بعد أن يتم خلقه ويصير مستعدا لها، وليست كل النفوس سواء في الكمال أو في حبها للأجسام فتعلقها بها وكلما زاد هذا الحب والتعلق بالجسم انكشف المظلم بأصل خلقته كان بعدها عن الكمال وإذ يكون كمالها في أن تجتهد في الخلاص من أسر الجسم والشهوات وفي كسب المعارف والعلوم، والأخلاق جمع خلق في رأيه كلها جبلية فطر المرء عليها بمعنى أن الرجل الحليم العف اليد واللسان مثلا يجب أن يوصف بهذين الخلقين من ناحية فطرته لأن ذلك كان مركوزا فيها، لأنه صار حليما عفيفا حتى رأينا أفعال الحلم والعفة تصدر عنه بسهولة ويسر، وابن عربي يؤمن بهذا إيمانا لا ريب فيه إذ يقول الصحيح في هذه الأخلاق الإلهية أنها كلها من جبلة الإنسان فجمع ما يظهر من مكارم أخلاق وسفاسف أخلاق كلها في جبلته، وكما يؤمن بهذا يؤمن أيضا بأن الله قدر لكل من خلقه منزلة لا يعدوها فمنهم المؤمن ومنهم المنافق ومنهم الولي ومنهم العدو وهكذا ليس لمخلوق كسب في تحصيل مقام لم يخلق له وذلك تقدير العزيز العليم[2].

4. اكتساب القيم وتعليمها:

تبدأ عملية اكتساب القيم منذ الصغر وبتأثير الوالدين فالفرد يعتمد في تكوين ذاته المثالية على الوالدين ويكتسب الأبناء قيم الآباء من خلال عملية التنشئة الاجتماعية تختلف القيم التي يكتسبها الأبناء باختلاف الطبقات الاجتماعية لآبائهم الذين يهتمون بدورهم بالنتائج المباشرة لسلوك أبنائهم أكثر من اهتمامهم بالدوافع التي تكمن وراء هذا السلوك[3].

فالقيم تكتسب من خلال عملية التطبيع الاجتماعي للفرد منذ مولده وحتى خلال تفاعله الاجتماعي مع الآخرين في المجتمع، وهي جزء ما يسمى بالتكوين النفسي والاجتماعي للفرد والفرد يكتسب نسق القيم من الجماعة التي

---

[1]– ناجي التكريتي، **الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام**، دار الشؤون الثقافية، ط3، بغداد، 1988 ، ص62.

[2]– عبد الكريم علي اليماني، **مرجع سابق**، ص ص267-268.

[3]– عبد الرحمن العيسوي، **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية** ، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ب ت، ص211.

يعيش فيها وينتمي إليها بفعل الاحتكاك الدائم أي بتأثير عملية التنشئة الاجتماعية [1]، فاكتساب القيم الدينية هي عملية مشتركة بين جميع مؤسسات التنشئة والتي تقع على عاتقها مسؤولية التربية الصحيحة والمتمثلة في توجيه وضبط السلوك، ومن أهمها الأسرة، المسجد، المدرسة، الزاوية.

1- الأسرة: هي أول مجتمع يقضي فيه الفرد حياته الأولى ويرتبط بها عضويا وعاطفيا في صغره وكبره وفيها يتشرب القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية مما يؤكد دورها الواضح في التنشئة الخلقية وتهذيب السلوك لذا فمن الضروري أن تحرص الأسرة على كل ما يؤدي إلى النهوض بأبنائها بما فيه خير وصلاح[2].

والأسرة الصالحة مسؤولة على أن يكتسب أفرادها القيم الدينية عن طريق القدوة، وهذا يستلزم أن يكون الكبار على قدر كبير من الالتزام بالدين وانضباط في ممارسة العبادات واتصاف بالأخلاق الحميدة الكريمة التي يلاحظها الأطفال في كل وقت وفي كل قول وفعل .فالنظام الأسري المسؤول الأول عن اكتساب الأبناء لقيمهم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية قد تصل علاقة الأبناء بأسرهم إلى نقطة حرجة في بداية مرحلة الشباب نتيجة القيود التي يفرضها الآباء وشعور الأبناء بتجاوز مرحلة الطفولة، فالأسرة تكسب أفرادها قيما معينة ثم تقوم جماعات أخرى التي ينظم إليها الفرد خلال حياته الاجتماعية في مراحل عمره المختلفة بدور مكمل لدور الأسرة[3]، فدور الأسرة في تعليم القيم دور مهم وكبير لكن لا يمكن إغفال جهات أخرى تقوم بنفس الدور كالمسجد والمدرسة إذن المسؤولية مشتركة بين الجميع وكل جهة تكمل الجهة الأخرى.

2- المسجد: يلعب المسجد دورا كبيرا في تكوين الشخصية الإسلامية القائمة على العلم والعمل ولا يقصد في المسجد جدرانه وكسائه بل المسجد المتجسد في العلماء الحكماء الذين زكوا أنفسهم وتعلموا دينهم ثم قاموا ليعلموا الناس كما أمرهم الله بالحكمة والموعظة الحسنة[4]، والمسجد من أهم المؤسسات التي تهدف إلى تربية النشء تربية دينية، تقوم على تقوية الإيمان في النفوس وعلى بيان أثر الالتزام بالقيم الدينية على السلوك خاصة وأن المسجد يتوفر على جميع المقومات لذلك العمل من ملقن لهذه القيم المتمثل في الإمام ومتلقي لهذه القيم هم جماعة المصلين والمكان وهو المسجد الذي وجد أصلا ليكون مكان لاكتساب العلم والاطلاع على أمور الدين من حلال وحرام وخطبة الجمعة والدروس التي تلقى في المسجد يجب أن تكون مواضيعها مستمدة من الواقع

---

[1]- نورهان منير حسن فهمي، **مرجع سابق**، ص ص107 108.

[2]- وضحة علي السويدي، **مرجع سابق** ، ص82.

[3]- نورهان منير حسن فهمي، **مرجع سابق**، ص111 112.

[4]- أسعد أحمد جمعة وعارف أحمد جمعة، **دراسات في علم الاجتماع الإسلامي**، دار العظماء،مصر،ط1، 2008،ص120.

المعاش للناس وبذلك يتجسد الدين في واقع وحياة الناس والمسجد هو البيئة التي تتربى فيها النفوس وتتهذب فيها الحواس وتتآلف فيها النفوس ويتآخى الأفراد والجماعات وتقوى فيها أواصر القربى والتعارف والتراحم[1].

3- المدرسة: لكي تقوم المدرسة بدورها كمؤسسة تربوية قيمية فإنها مطالبة بتوفير الخبرات المتنوعة لتنمية القيم لدى الناشئة وإتاحة الفرص أمامهم للتعرف عليها والوعي بها، إذ أن المسألة ليست مجرد تقديم للقيم واستيعابها نظريا وإنما كيفية بناء هذه القيم وتعزيزها في نفوسهم وكذلك الاهتمام بتوفير مواقف علمية لممارسة هذه القيم فلا يكتفي بأساليب الوعظ التلقيني بل لابد من توفير المواقف الحية التي يعيشها الناس في المدرسة لتعزيز قيمه[2].

فيعتبر دور المدرسة مكمل لدور الأسرة وحتى تقوم المدرسة بهذا الدور لابد أن يكون جميع المسؤولين في المدرسة قدوة للتلاميذ في الالتزام والانضباط من جهة ومن جهة أخرى يجب أن يكون للمعلم الخبرة والمعرفة الكافية لتنمية القيم الدينية للتلاميذ.

4- الزاوية: أساس النظام داخل الزاوية هو الاحترام والتقدير للأعراف المستمدة من الدين الحنيف، الشريعة ومبادئ الفضيلة والسلوك القويم فضلا عن تعليم القرآن والفقه والنحو ومبادئ الحياء والصرامة والجد إضافة إلى صفتين أساسيتين لطلاب العلم في الزاوية وهما الصبر والقناعة وهما خير زاد يتزود به الطلبة في الزاوية[3].

فنظام الزاوية قائم على محاربة ما ليس من قيم الدين الإسلامي الحنيف والأخلاق الفاضلة للمجتمع المتوازن بمبادئ العدل والقوة عملا بمحكم تنزيله تعالى:" **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**"[4]

---

[1]- زكريا بشير إمام، **أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم القضايا والنظريات**، روائع مجدلاوي، ط1، 2000، ص170.

[2]- حامد زكي الجلاد، **مرجع سابق**، ص64.

[3]- محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، دمشق، 1989، ص111.

[4]- سورة الأنفال، الآية 60 .

خلاصة:

من خلال ما سبق يتضح أنه ما من مجتمع يخلو من دين، ولم يكن الدين أبدا منفصلا عن الحياة الاجتماعية ففي كل الديانات سواء كانت من قبيل الوحي الإلهي أو من وضع البشر نجد اختراقا دينيا للنظم الاجتماعية، يؤثر في القيم والأخلاق والعادات والتقاليد والآداب مع تفاوت في الشمول والعمق ويبقى الدين حتى في صورته البشرية الأسطورية مطلبا فطريا وضرورة اجتماعية لأنه يلبي حاجة الإنسان الفطرية بالاعتقاد، ولأنه كذلك يمثل أكبر عامل ضبط اجتماعي يضمن تماسك المجتمع واستقرار نظامه والإسلام وحده من بين كل الديانات التي عرفتها البشرية يملك من بين ما يملك من الخصائص والمميزات خاصية التوحيد الخالص التي تجعل منه الدين الحق المناسب للفطرة البشرية لما جاء الإسلام يحتوي العقيدة والشريعة والعبادة دون فصل بينهما فهو بذلك يمثل منهجا شاملا للحياة وقد أقام في الوقت ذاته منظومة أخلاقية وقيمية تستجيب لمطالب الفطرة البشرية.

فالأخلاق الإسلامية ترتفع بالإنسان إلى مستوى التكريم الإلهي، وتعمل على تناسق مصالح الفرد وتكاملها مع مصالح المجتمع وهيئاته ومؤسساته بهدف تحقيق الأمن والسعادة للفرد وللمجتمع على السواء، والقيم الإسلامية تجعل منه إنسانا كاملا والذي تصير حياته روحانية موقوفة على خدمة المطلق والجهاد في سبيله.

بالتالي فإن ارتباط القيم بالدين ليست رغبة ذاتية أو حلا فلسفيا، وإنما هو حقيقة واقعية فالدين هو مصدر القيم وإذا أخذنا الدين الإسلامي كمثال توضيحي عن العلاقة بين الدين والقيم فإنه يمكننا القول أن في النظام الإسلامي تؤدي القيم الإسلامية دورا كبيرا على النظم الاجتماعية، فالنظم الأخلاقية يجب أن تُؤسس على القيم الإسلامية والنظام الحربي له جزاء ديني ويعتبر واجبا دينيا والنظم التعليمية يجب أن تعكس القيم الإسلامية والنظام الأسري محكوم بالقيم الإسلامية وبناءا على ذلك فإن كل أنشطة الإنسان المسلم سواء على مستوى الشخصي أو الاجتماعي من المتوقع أن تعكس القيم الإسلامية، ففي الإسلام نسق قيمي موحد يحكم كل جوانب الحياة الاجتماعية وأن هناك علاقة وثيقة بين القيم والاعتقاد وبين الواقع الاجتماعي، فالمجتمع الإسلامي يجب أن يعكس القيم الإسلامية وتوجيه المجتمع الإسلامي نحو هذا الاتجاه هي مسؤولية كل مسلم مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثاني

تاريخ حركة التصوف والطرق الصوفية والزوايا

تمهيد

المبحث الأول: حركة التصـــــــــوف

المبحث الثاني: الطـــــــــرق الصوفية

المبحث الثالث: ظهـــــــــور الزوايا

خلاصة الفصل

تمهيد:

إن التصوف كان ولا زال ظاهرة عالمية يدفع إليها حالة السأم والإحباط الدنيوي مما يؤدي إلى سعي المتصوف إلى صراع مع الذات للوصول إلى عالم خاص بديل ينعزل فيه منصرفا إلى الزهد والتعبد، ويسمو من خلاله بالعلاقة بينه وبين الله إلى ما لا يستطيعه البشر العاديون، وللمتصوفة في المجتمع العربي الإسلامي انعكاس تاريخي للواقع أي نتاج علاقات اجتماعية محددة في ظروف معينة، قوام معتقد بأنها تدفع النفس للانشغال بالروحانيات دون الماديات والاهتمام بالجوهر دون العرض، والإيمان بالباطن دون الظاهر، وهي بهذا المعنى نوع من الرفض والتمرد السلبي على واقع مجتمع بسائر مكوناته، وقد يكون هذا الرفض أكثر ثورية من سواه في بعض المراحل التاريخية أو كابحا حقيقيا للانتقال إلى قوة مادية تحقق غاياتها في الرفض الثوري في مراحل أخرى، وبخاصة عندما يظل متشرنقا في حدود السلبية مقتصرا على نوع من التحدي اللاهوتي، عندها وفي هذه الحدود لا تصير مثل هذه التوجهات للسلطات القائمة تهدد الحب الإلهي ويخشون الفتن في معارضة الحاكم ويرفضون المعارضات التي اصطبغت بطابع ديني مذهبي، المتصوفة صنفوا كمدرسة من مدارس السنة رغم الفارق الكبير بين كل الفرق للعبادة في نطاق الشريعة بل أقروا بأنها تثبيت للإيمان وإثراء العقيدة ووضع النفس والروح على طريق الصواب وانصرف عدد من المفتين إلى الإكبار من شأن المتصوفة والتقرب إليهم وسؤالهم العون والمشورة[1]، أما إذا قام الصوفي بإشهار آرائه أو مارس شحنا انفعاليا يستقطب الأتباع، فإن ذلك يثير الحفيظة ويقتضي الكيد نتطرق وفي هذا الفصل لحركة التصوف، تاريخها وظهورها في المشرق العربي وأهم شخصيات التصوف المعروفة وظهور التصوف في المغرب العربي، وإلى الطرق الصوفية وعوامل نشأتها خصائصها ثم وظائفها وأهم هذه الطرق فأنواعها ثم ظهور الزوايا تعريفها نشأتها ثم انتشارها عبر القطر الجزائري إلى أنواع هذه الزوايا ووظائفها .

[1]– فاضل الأنصاري، **قصة الطوائف الإسلامية بين المذهبية والطائفية**، دار الكنوز الأدبية، لبنان، ط1،سنة 2000،ص132.

المبحث الأول: حـــــركة التصوف

1.كرونولوجيا ظاهرة التصوف

إن المتتبع لتاريخ حركة التصوف في الإسلام، يلمس بأنها قد بدأت مع حركة الزهد في القرن الأول الهجري على يد شخصيات معروفة بزهدها السلبي وحصر طاقاتها في العبادة لله، لكن نموها الأكثر اتساعا وتطرقا قد ترافق مع تطورات سلبية اجتماعية فكانت نوعا من التعبير عن موقف سياسي سلبي حيال الأحداث والتي تتمخض في صلب المجتمع وهو في أوج حركته نحو التكون الكامل النوعي بسرعة هائلة وقد ظل التصوف في الحكم الأموي أقرب إلى حركة التزهد المسلكي، ومعارضة للأوضاع الاجتماعية والسياسية القائمة، قبل أن يتحول إلى موقف فلسفي له مقولاته ومناطقه الدينية والسياسية والإيديولوجية، ونجد معتقدات التصوف عند الكثير من المتصوفة الأعلام الذين ذاعت أسمائهم مثل "مالك بن دينار" المتوفى عام (131هـ) ، و"عبد الله المحاسين" المتوفى عام(165هـ)، ورابعة العدوية" المتوفاة عام (185هـ) و"معروف الكرخي" المتوفى عام (200هـ)، و"ذو النون النصري" المتوفى عام (245هـ)، و"الجنيد البغدادي" المتوفى عام (297هـ)، و"أبي نصر السراج" المتوفى عام (378هـ) و"عبد القادر الجيلاني" المتوفى عام(521هـ) و"أحمد الرفاعي"المتوفى عام (578هـ)، ومع أبي هاشم الكوفي الصوفي، فقد أضاف أن جمع الصوفي على صوفية قد ظهر سنة (199هـ) بمناسبة فتنة صغيرة في الإسكندرية بعد أن كان مقتصرا على من في الكوفة حتى إذا مرت عن ولادته خمسون سنة فيها صار يطلق هذا الاسم على كل صوفية العراق، أما في خراسان وجهاتها فقد كان الاسم الغالب على "الصوفية والملامتية" وأحمد علي حسين "أحمد البدوي" المتوفى عام (675هـ) ، وأبي العباس المرسي المتوفى عام (686هـ) فضلا عن الحسين بن منصور الحلاج، المتوفى عام (311هـ) ، هذا ويعتبر جبور عبد النور في التصوف عند العرب : أن لبس الخراقة لا أثر له في الإسلام، وقد أخذه الصوفية عن الديانة البوذية وشروطها –كما يقول– الزهد في الدنيا، وحياة الفقر، وحلق الرأس ولبس الخرقة الصفراء [1]، ويذكر عبد الرحمان بدوي : أن اسم التصوف أصبح منذ القرن الرابع هجري، علما على جميع الصوفية المنتشرين في العالم الإسلامي، ويعطي الجنيد وهو أحد أقطاب الصوفية بعض تعريفات للصوفية، فعندما سأله أحدهم عن ماهية التصوف قال له: "التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة"، وعن المتصوفة يقول: إنهم أهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم، ويعتبر الصوفي "كالأرض يطرح فيها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح"، وعن التصوف أيضا يقول:"التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع وعمل مع أتباع"...وأما أبو بكر الشبلي فيرى في التصوف:"أنه الجلوس مع الله بلا هم ... وأن الصوفي هو الذي

[1]- فاضل الأنصاري، **المرجع السابق**، ص ص132. 133.

ينقطع عن الخلق فيتصل بالحق... وأن الصوفية هم أطفال في حجر الحق"، ويفرق الحسين بن منصور الحلاج بين الصوفي والمتصوف، عندما يرى أن "من أشار إليه فهو متصوف، ومن أشار عنه فهو صوفي فالأول لا يزال يفرق بين الرب والعبد، والثاني قد اتخذ الآلهة حتى صار يتكلم عنها وباسمها"، أدت العزلة والتزهد إلى تباين التأطير في البحث عن الحقيقة فقد تنوعت الطرق الصوفية، إلى ما يصعب عده، تبعا للظروف التي مر بها المتصوفة، أو الملابسات التي أحالتهم وهم في سعيهم إلى الوصول إلى معرفة كاملة بالوجود، كما تنوعت الشعائر وطرائق الذكر لديهم للتواصل مع تلك الكينونة بتحصيل مشاعر اللذة التخيلية من أوضاع الألم الجسدي والسمو بالقيم إلى مستوى نفسي، الأمر الذي أدى بدوره إلى تحولات جذرية في حركة التصوف "الدروشة" التي أنهت عصر المتصوفة العظام، وبالغت في استئصال الطرائق، وسلكت دهاليز تغيب عقول العامة في ممارسات لاعقلانية بعضها أقرب إلى الشعوذة والتحريف، وإذا تلاءم هذا التحول مع طبيعة السلطة التي تعاقبت في عهود الاحتلالات المتوالية للمنطقة العربية، لصرف الناس عن مظالم الحكم وعسف الحكام، فإن الدروشة بتعدداتها وجدت رعاية وتشجيعا في تلك العهود، بل وسعت بعض الدول، سعيا حثيثا لإدخال طرق الدروشة وممارساتها في صلب المذهب الذي تتبناه[1].

عندما نتكلم عن التصوف أو مذهب الصوفية (*sufism*) ، ندخل في ناحية من نواحي الفكر الإسلامي بلد الحضارة الإسلامية، ذلك أن كلام الكثيرين الذين كتبوا فيه يحرك نفوسنا، كما أن براعة أوصافهم تثير إعجابنا غير أنه لا يمكن أن تكون فكرة حقيقية عن غزارة هذا الميدان إلا إذا تعرفنا على النصوص، ولقد قدمت نظريات متعددة حول أصول هذه الحركة في الإسلام ، فقيل أصلها من الرهبانية السريانية أو الفيدانتا* (Vedanta) الهندية، لكن أمكن إثبات أنه لا يمكن التمسك بالافتراضات التي تذهب إلى اقتباس المسلمين التصوف عن أصول أجنبية، إذ أنه منذ بداية الإسلام أحس نفر من المؤمنين المتحمسين بالدافع إلى التأمل في القرآن عن طريق المداومة على تلاوته أو "التعمق " (Intériorise) في روحه إذا صح هذا التعبير، فالقرآن يتضمن عددا من العناصر المتعلقة بالزهد والتصوف، وبعض الآيات القرآنية تذكر الناس مرة أخرى أن الله حاضر معهم، وبالخوف من الحساب [2]، وزوال كل الأشياء الإنسانية، وجمال الفضيلة وما إلى ذلك وهناك آيات أخرى تعطي النفس

---

[1]– فاضل الأنصاري،**المرجع السابق**،ص135

* Vedanta: الفيدانتا: أجزاء من الأوبلنشاد، أي المحاورات الفلسفية في أنهار الهند الدينية القديمة.

[2] – شاخت وبوزورث، **تراث الإسلام** ترجمة فؤاد زكريا، ج2، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1988، ص91.

المتدينة الفرصة للوصول إلى لب العقيدة، وهكذا نجد سلسلة من الآيات التي تذكر الإنسان برسالته وتؤكد على حاجته إلى أن يقيم في قلبه صرحا عامرا بالتقوى والإيمان ، وتعود نشأة التصوف في العالم الإسلامي بصفة عامة إلى ما ترتب عن الفتوحات من اتساع رقعة الدولة الإسلامية وازدياد الثروة لدى الفاتحين مما أدى إلى الغنى الفاحش والترف والبذخ وبالتالي الانحراف والخروج عن مبدأ هام من مبادئ الإسلام وهو البساطة[1].

2. نشأة الصوفية في المشرق العربي:

على ضوء سيرة الصدر الأول و حقائق التاريخ الإسلامي بالإضافة إلى سلوك وحياة علماء السلف فضلا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وطوال مرحلة الخلفاء الأربعة لم تكن ظاهرة التصوف وما تمثله من منطلقات ومظاهر تمثل سلوكا معينا متميزا تقوم به جماعة من المسلمين دون غيرهم، والمحاولات أو المواقف التي كان فيها بعض المسلمين قبل إسلامهم ثم أرادوا التنطع والغلو في تناولهم لتعاليم وتوجيهات الإسلام أو أرادوا التفرغ الكامل والزهد والاعتكاف عن ضروب الجهاد كل أيام عمرهم، كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن ذلك الإقبال أو هذا الانضواء والانطواء والعزلة، هذا ولم يكن الإسلام في حاجة إلى أن تنشأ فيه ظاهرة التصوف ولا يكون بين أهله من يحاول التمييز بسلوك ينفرد هو به دون غيره أو يذهب ليفسر شططا من بعض أمور العقيدة، على ضوء ما يروق له في ظل ظروفه الخاصة، أو على ضوء ما بدر منه فالمسلمون جميعا أهل تقوى وزهد وعكوف على الطاعات منقطعين لله تعالى ، إذا ما انتهوا من كدهم وكدحهم في الدنيا على ضوء ما أمر به الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن بينهم من يريد أن يستقل بسلوك أو ينهج في التعبد ويخرج به عن نطاق ما في كتاب الله والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا أن بعض الصحابة لم يكتفوا بالقيام بواجباتهم الدينية واحترام تعاليم القرآن فقد قرروا إقامة علاقة خاصة مع الله، وتحرير أرواحهم من الروابط الجسدية عن طريق الإكثار من الصوم والاعتكاف والتأمل والزهد من متاع الدنيا [2].

ولم يشهد القرن الأول الهجري كثرة ما حدث فيه من انقسام الأمة الإسلامية إلى فرق سياسية وخاصة بعد مقتل علي رضي الله عنه، ولم يشهد هذا القرن تسميات للدلالة على سلوك البعض من القبيل الصوفي كدلالة معينة على سلوك البعض واتجاههم نحو الزهد والتقشف والانقطاع الذي يعتبره المتصوفة أساسا تاريخا عندهم بدأ مبكرا بل كان أكرم وأشرف ما يتمنى الورع التقي الذي هو المسلم المتلزم بأحكام كتاب الله وسنة نبيه ولم تكن اصطلاحات وتسميات : صوفي، وزاهد وعابد ومنقطع وصاحب مقام كذا وكذا مما لم يعرف في عصر صدر

---

[1]- شاخت وبوزورث، **المرجع نفسه**،ص92.

[2]–Amin Hussein, **le livre du muslman désemparé pour enter dans le 3 éme Millénaire** ,traduction Richard Jacquemond, Editions casbah, Alger,1997,p71

الإسلام قد نشأت بعد،غير أن بعض المؤرخين يرون أنه لما فش الإقبال على الدنيا في أواخر القرن الثاني الهجري وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة المتاع الدنيوي، قيل للخواص من المسلمين ممن لهم شدة عناية بأمر الدين (الزهاد أو العباد) ، ثم لما اشتد ساعد الفرق السياسية وانقسمت فيما بينها وخرجت متأولة بعيدة عن منهج والتزام أهل السنة والجماعة من العلماء وجمهور الأمة، ونشب الصراع الفكري بين هذه الفرق دست كل فرقة على غيرها، أخبار مجموعة من الزهاد والعباد الذين أحيطت سيرتهم بهالة من التقديس والتكريم دون أن يعرف أحد من الذين انتهت إليهم سيرتهم عنهم شيئا أو أن يقفوا لهم على تراث أو رأي، الأمر الذي أدى إلى أن ينتحي في ظل الصراع جانبا منه مجموعة من العباد أطلقوا على أنفسهم أو أطلق عليهم اسم (المتصوفة) بحكم ما ميز مظهرهم وهو لبس الصوف في أغلب الأحوال، ومع ذلك لم يذع اسم (المتصوفة) ويشتهر على الألسنة ويتداول كمنهج في التبتل والانقطاع أو العبادة يخالف ما عليه جمهور الأمة قبل المائتين من الهجرة[1]، هذا ويقول عمر رضا كحالة ورد لفظ (الصوفي) لقبا مفردا في النصف الثاني للهجرة إذ نعت به جابر بن حيان الكوفي[2]، وكما يعرف ابن خلدون التصوف على أنه " العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة" ويقول أيضا ابن خلدون في هذا الصدد " فلما فش الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة" ، زد على ذلك سوء توزيع الثروة الذي أدى إلى فقر الأغلبية وغنى الأقلية وانغماس هذه الأخيرة في الملذات والتبذير وما نشأ عن ظاهرة الفقر والحقد وفساد الأخلاق والطباع والثروات وانتشار نزعة التصوف الناتجة عن الاحتجاج على الأوضاع السيئة أو الفشل في الحياة، والصراع على الخلافة بين العلويين والعباسيين واعتزاز الأولين بأنهم أكثر قرابة للرسول صلى الله عليه وسلم وبالتالي فهم الأشراف الحقيقيون، فكان هذا الشرف بالنسبة إليهم مصدرا للاعتزاز ومبعثا لتقدير الناس، فكانت تجري لهم أرزاق خاصة وتسند إليهم المناصب الرفيعة كنقابة الأشراف[3]، وهذه الظاهرة منتشرة في مختلف الأقاليم الإسلامية شرقا، وهناك عوامل أخرى تتمثل في ظهور المعتزلة وانتشار فكرة خلق القرآن التي روجوا لها ، ومحاولة المأمون إرغام الناس عليها، وتصدي الأشعري ثم الغزالي في الرد عليهم، وانحطاط منزلة رجال الدين وخوف هؤلاء من تدهور تعاليم الدين وخاصة عند انتشار الزندقة والفلسفة بسبب كثرة العصبيات الجنسية خصوصا في العهد العباسي يضاف لذلك شيوع التعصب لمالك والشافعي والحنفي والحنبلي، وتشدد أتباعهم في التمسك بمذهب واحد

---

[1] - عبد الله الأمين، **دراسة في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة**، دار الحقيقة ، بيروت، ط 1 ،1986، ص243.

[2] – عمر رضا كحالة، **الفلسفة الإسلامية وملاحقاتها**، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1394هـ- 1974م، ص145.

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار الكتاب العلمية، لبنان، ط1، 1993، ص517.

و معا، وقد انتقلت هذه المذاهب إلى المغرب العربي أيضا حيث وجد في المغرب المذهب الشيعي مع الفاطميين والشيعة من جهة العقائد والحنفي والمالكي من جهة الفقه وظل الصراع شديدا بينهما حتى انتصر أخيرا المذهب المالكي في الفقه وفي الدين و العقائد، بالرغم من عودة المذهب الحنفي مع العثمانيين إلى الجزائر[1] وعلى أساس هذه الأفكار نستطيع أن نتبين بوجه عام **ثلاث فترات كبيرة في التاريخ العام للتصوف:**

الأولى تغطي القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام (أي القرن السابع إلى القرن التاسع للميلاد)، وهي فترة يمكن أن ندعوها فترة الصراع من أجل البقاء، وكان التصوف خلالها يبحث عن حقه في الوجود وفي التغلب على بعض الأحكام المسبقة التي كانت تعارضه بتشجيع من السلطات الرسمية التي تغلب عليها الحساسية والتشكك .

والفترة الثانية تتميز بمحاولة التوفيق بين التصوف وخصومه، وانتصر بفضل الإمام الغزالي في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي.

والفترة الثالثة تتميز بانتشار المؤلفات الكبرى في التصوف (وتشمل الفترة الواقعة بين القرنين السادس والتاسع للهجرة، الثاني عشر والخامس عشر للميلاد) كما تتميز بدخول التصوف في عصر التدهور ابتداء من القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وسنتحدث عن الفترات بإيجاز شديد.

الفترة الأولى كما قلنا هي فترة البحث، إذا كان عنصر الزهد سائدا بين أصحاب الرسول، ويتمثل ذلك في الصوم الاعتكاف والتفكر وأصبح الزهد في القرنين الأول والثامن للميلاد أكثر قوة وتنوعا، إلا أن الزهاد لم يكونوا قد انفصلوا بعد عن الجماعة فكانوا يعيشون بينها ويقومون بمهمة الوعاظ أو "المراقبة" لأحوال المجتمع، ففي البصرة بصفة خاصة ازدهرت جماعة من الوعاظ عرفوا "بالقصاص" كانوا يحدثون الناس أينما كانوا ويقصون عليهم حكايات في أسلوب نثري مسجوع، ومن بين هؤلاء الزهاد الذين وهبوا أنفسهم للعبادة نجد بعض مقرئي القرآن الذين كانوا يخطبون في الناس ويحضونهم على التوبة، وقد عرف هؤلاء باسم "البكائين" في حين كان الوعاظ يقومون بمهمتهم في حماس شديد ويسهبون في التذكير بقرب قيام الساعة[2]، ومما أثر في التصوف وأدى إلى تطوره اكتظاظ الخلافة الإسلامية بمختلف العصبيات الجنسية والطوائف الدينية مما جعل المملكة الإسلامية مسرحا للحزازات الناشئة بينها من أجل المناصب والامتيازات فأثر بالتالي على السياسة والدين والعلم ونشأت عنه مؤامرات سرية وقتال صريح أحيانا، وفي خضم هذه الحركات التي تموج بها الخلافة الإسلامية وما تحمل هذه

---

[1] – مختار الطاهر فيلالي، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، ط1، 1976، ص13.

[2] – شاخت وبوزورث، **المرجع السابق**، ص96.

الجنسيات من عادات وفلسفات مختلفة فارسية، هندية، يونانية تأثر الإسلام والمسلمون بهذه الديانات القديمة سواء منها السماوية أو الوضعية فتسربت إليه عادات واتجاهات جديدة كالقول بالحلول ووحدة الوجود، والفناء في الله وغير ذلك من الفلسفات، وهناك سبب آخر يتمثل في الفراغ الذي يسمح بالانعزال واتخاذ التصوف وسيلة لملئ الفراغ وإيجاد الراحة النفسية والطمأنينة وبالتالي الابتعاد عن الأوضاع الاجتماعية المتدهورة وأن الفروق الفردية قد تقوم بدور هام في ذلك حيث نجد البعض يعتمدون على قلوبهم أو عواطفهم وأذواقهم، وليس على عقولهم الصوفية من هذا النوع فهم يعتمدون على الذوق والكشف والإلهام[1]، ولتقريب الفهم نؤكد استنادا إلى ما ذكره ابن خلدون ولو بطريقة غير مباشرة أن الإنسان البدوي هو أكثر قابلية واستعداد للتصوف، فنظرا إلى حياة التقشف والخشونة التي يعيشونها يخضعون في الميدان السلوكي إلى نفسانية خاصة بهم، وهكذا فإن بنيات الفرد النفسانية تخضع في نظر ابن خلدون كما أسلفنا الذكر إلى المحيط الجغرافي والاقتصادي خاصة، وهو المحيط الذي يحدق بالفرد ويضغط عليه، وباختصار فهناك تكافؤ في القوى بين الإنسان والطبيعة ويتحكم في هذا التكافؤ أساسا شعور بالحرمان والعداء وهو شعور غالبا ما يكون كامنا[2]، وقد ساعد على تطور التصوف ظهور شخصيات قوية من المتصوفة أسسوا منهجا وطريقا معينا للتصوف، ووضعوا له مقامات ومراتب لابد للسالك أو المريد من إتباعها، وأصبح للتصوف فلسفة خاصة واتجاه معين فقد وضع ذو النون المصري فكرة المقامات والأحوال مرتبا إياها على مراحل منها (التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا)، أما الأحوال فمنها (التأمل والقرب والمحبة والخوف والرجاء والمشاهدة) وتحصل المقامات في نظره بمجهود الشخص، أما الأحوال فتوهب من الله ولا حكم للإنسان عليها.

3.من أهم الشخصيات الصوفية

3 .1- الحسن البصري (110هـ– 768م):

أهم الشخصيات التي ظهرت خلال القرنين بعد الهجرة هي من دون شك شخصية الحسن البصري، أبو التصوف الإسلامي المتوفى عام (110هـ/768م)، ويقوم مذهبه في التصوف والزهد على الشعور باحتقار الدنيا وقاعدته في الحياة لم يكن يستلهمها فقط من الجانبة الدقيقة لكل الأعمال التي تبدو موضع شبهة في نظر الشرع وذلك ما يعرف "بالورع"، بل كان يستلهمها أيضا وقبل كل شيء من الزهد في كل بحث إلى جانب الورع والخوف من الله والامتثال التام لأوامره ونواهيه، وكان تأثير الحسن البصري على التصوف كبيرا جدا، والطرق الصوفية

---

[1]– مختار الطاهر فيلالي، **المرجع السابق**، ص15.

[2]– عبد الغني مغربي، **الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون**، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص134.

الإسلامية تعده مؤسسها الأول وجاء تلاميذه فساروا على طريقته، ووصل أولئك التلاميذ إلى درجة معينة من الوحدة فيما بينهم بظهور الجيل الثاني دون أن يظهروا بعادات دينية متميزة، وتكونت منهم جماعة من النساك عاشوا معا في عبادات قرب البصرة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وتنتمي إلى هذه الجماعة شخصية تكاد تكون "أسطورية" تعتبر بحق رائدة الحب الإلهي، وقد وصفها لويس ماسينيون (*Louis Massignon*) بأنها "أكبر قديسة في تاريخ أولياء أهل السنة" (على حد تعبيره) ، وسمع بها الغرب الأوروبي في العصور الوسطى من خلال كتاب "حياة القديس لويس" (*Life of Louis*) الذي ألفه جوانفيل (*Joinville*) تلك الشخصية هي:

2.3- رابعة العدوية (185هـ/801م):

هذه الشخصية كانت أمة معتقة، وكانت قبل ذلك تعزف على الناي، وظلت عازفة عن الزواج وأمضت حياتها الطويلة، إذ توفيت بعد أن جاوزت الثمانين معلقة بالحب الإلهي، وفي اعتقادنا أنه لا دخل للأسطورة في حياة "رابعة" لأنها كانت إنسانة، وذات وجود فعلي آثرت بعد أن قطعت مرحلة هامة من سنين الشباب، الانزواء على الناس، والقيام بنوع معين من العبادة إلى أن برزت صاحبة شخصية صوفية مؤثرة فأعجب بها الكثيرون من أتباع المذهب، وحفظ لها التاريخ تلك الشهرة الواسعة التي تقوم على كونها واحدة من كبار المتصوفين الأوائل الذين تركوا بصمات دامغة على عالم التصوف واعتبروا من رواده ومؤسسيه.

3.3. أبو يزيد طيفور البسطامي:

هذه شخصية أخرى من الشخصيات التي عرفت بالتصوف، وسارت على طريق الزهد والتقشف الهنديين ولد طيفور البسطامي بمدينة بسطام من أعلام فارس فنسب إليها وكان جده مجوسيا، ثم اعتنق الإسلام مما كان له أثره الكبير على حفيده طيفور الذي ظل يتقلب بين المجوسية والإسلام منذ إدراكه وحتى وفاته التي كانت سنة 261هـ/874م، ويعد البسطامي من كبار الصوفيين في بغداد إبان القرن الثالث الهجري، وهو القرن الذي بدأ بمذهب "الحب الإلهي" على نسق جديد، وانتهى بمذهبي "الاتحاد ووحدة الأديان" على يد الحلاج من متصوفة هذا القرن ، اختف الرواة في أبي يزيد وأحواله فمنهم من رأى فيه العابد الزاهد والصوفي الملتزم بأوامر الدين وحدود الشرع ومنهم من رأى عكس ذلك[1]، يعد متصوفة القرن الثاني أقرب إلى الزاهدين منهم إلى المتصوفين لما كان يغلب عليهم من طابع الرضا والتسليم ولكون الصوفية قد توجهت إلى الحب الإلهي، حتى بلغت في القرن الثالث شأنا بعيدا، وصار لهذا الحب مفهوم جديد يختلف عما كان عليه من قبل، وتبرز هذه العناية عند المحاسين توفي

[1]– عرفان عبد المجيد فتاح، **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص189.

سنة (243هـ)، الذي وضع فصلا خاصا بها، هو أشبه ما يكون برسالة تحدث فيها عن أصل حب العبد للرب ولكن منذ أواسط القرن الثالث، بدأ الكلام عن فناء المحب بالمحبوب وبقائه فيه، وهو الموضوع الذي أولاه عناية خاصة أبو السعيد الخراز الذي توفي سنة (286هـ)، وهو أول من تكلم عن الفناء والبقاء، وهذا الفناء عن الحواس لم يلبث أن تطور عند الصوفية إلى حالة أخرى وهي الحالة التي يفقد فيها الصوفي وعيه فقدانا تاما، فأبو يزيد طيفور البسطامي صاحب الشهرة الواسعة في عالم التصوف أعتنق مذهب "وحدة الوجود" حتى انتهى به الحال إلى وثنية لا يبعد منها إلا نفسه التي استبدت بها الأهواء والنزاعات حتى باتت أقواله أشر من الوثنيات القديمة[1]، وكانت مدرسة الكوفة تعاصر مدرسة البصرة، إذ وجدت في الكوفة أيضا حامية عربية، وعلى خلاف مدرسة البصرة بما كان لها من نزاعات واقعية ونقدية كانت مدرسة الكوفة ذات مزاج مثالي تقليدي، وقد انتقل صوفية هذه المدرسة في جماعات إلى بغداد حيث كانوا جماعة تضم تلاميذ كثيرون وذلك في أوائل القرن الثالث هجري/التاسع الميلادي ونشأت في هذه الفترة دور للعبادة حول تلك المدينة، وكان الحارث بن أسد (243هـ/857م) من أشهر رجال مدرسة بغداد هذه وجاء لقبه "المحاسبي" من أنه كان شديد المحاسبة لنفسه وتتميز طريقته باحترام كبير للمنقول والبحث الدائب طلبا لكمال النفس، كما تتميز بالاعتناء بالتعريفات الفلسفية الدقيقة وكان الأمر الأساسي في نظره هو تصحيح النية ومراعاة حقوق الله الواجبة على الإنسان في أنواع الأفعال الفردية أو الاجتماعية وهو كتابه "الرعاية لحقوق الله" يصف "قاعدة الحياة" التي ينبغي إتباعها، ويبين كيف أن محاسبة النفس ترد الثغرات التي قد تعرض للإنسان في عباداته، وأول ما يجب على العبد معرفته (والتفكر فيه) هو أن يعلم أنه عبد مربوب لله تعالى، وينبغي له أن يكون مستعدا دائما لمواجهة الموت، ويتعلم كيف يحتقر الدنيا ويقاوم غواية الشيطان، ويبتغي في عمله وجه الله تعالى ولا يهدف من ذلك إلى إرضاء إرادته هو، وأن يتوجه إلى الله في كل أفعاله، وعليه أن ينتبه إلى نتائج أعماله إذا كانت تمس الغير، وأن يحرص على حفظ نفسه من العجب والكبر، ومن أن يحزن إذا أحس باحتقار الناس له وفي الجملة ينبغي على الإنسان أن يتعلق بالله ليلا نهارا، وكان تأثير المحاسبي على الناس من حيث محاسبتهم لأنفسهم عميقا، واستمر هذا التأثير طويلا على الرغم من الهجوم الذي تعرض له من جانب المتمسكين بالنقل.

3. 4.شخصية الجنيد (ت 298هـ/911م):

أما شخصية الجنيد الذي كان فقيها على مذهب سفيان الثوري وهو أول من تكلم عن علم التوحيد في بغداد ويعتبر صوفيا من علماء الدين الذين توقروا على القرآن والحديث ويعرف أتباعه بالجنيدية وأعدّه العلماء

[1]– سميح عاطف الزين، **الصوفية في نظر الاسلام**، الشركةالعالمية للكتاب، لبنان، ط4، 1993، ص306.

شيخ مذهب التصوف، والذي كان أستاذ للحلاج وقد تأثر بآراء المحاسبي، كما أشاد به متكلم الأشاعرة على اعتبار أنه كان خليفة الإصلاح الذي نادوا به، وهكذا أصبحت بغداد شيئا فشيئا مركزا للكثير من المتمسكين بطريقة السلف والأدباء الذين تعاطفوا مع الصوفية وقد وضعت في اجتماعات هؤلاء أول مجموعة من الحكايات المتنوعة والنصوص التي تدور حول فضائل الصوفية وكان الحلاج أحد تلاميذة الجنيد، وهو من أصل فارسي وقد أنكرته مدرسة بغداد بسبب غلوه في آرائه.

5.3. شخصية أبو الغيث الحسين بن المنصور "المعروف بالحلاج":

وقد بدأت عنده الصوفية منذ كان في السادسة عشرة من عمره، عندما اتصل بسهل بن عبد الله التستري الصوفي المشهور، وراح يتتلمذ على يديه، ويأخذ عنه شدة مجاهداته وحمله على نفسه، وقد بقي على ذلك مدة سنتين لبس أثناءها خرقته الصوفية[1]، وصوفية الحلاج تكمن في خصوصية رؤيته للوجود الذي اعتبر كل شيء فيه متصل بغيره كوحدة واحدة جامعة مهما تباينت الأشياء والأوصاف والمظاهر، ويبدو ذلك واضحا في تعريفه الخاص للصوفي على أنه "وجداني الذات، لا يقبله أحد ولا يقبل أحدا"، ولذا كانت صوفية الحلاج السلوكية والنظرية تبحر في الفناء المطلق من أجل سلطان الحق، وتبحث في دوائر لا منتهية، وانتشرت دعوة الحلاج في التصوف بين أهالي بغداد وبلاد فارس وانتشرت في الكثير من البلدان الإسلامية، واجتمع حولها وحول حامل لوائها الحلاج الكثير من عامة الناس[2]، كذلك أفكار الحلاج عن الرسالة من أنها لابد أن تنطبق في رأيه على كل إنسان بالإضافة إلى الكرامات التي يظهرها وربطته في نظر تلامذته بالأنبياء،كل هذه الآراء جعلت الأوساط الصوفية والفقهية والسياسية تدينه فسجن وحوكم وقطعت رأسه في الرابع والعشرين من ذي القعدة عام (309هـ) الموافق للسابع والعشرين من مارس (923م) وقد خصص لويس ماسينيون (*Massignon*) مجلدين كبيرين لحياة الحلاج هما من أحسن ما كتب عن التصوف المقارن في هذا القرن (20م) ومن ملامح المذهب الصوفي القول بنظرية المنازل أو المقامات والأحوال، وقد تكلم في هذه النظرية بإجمال ذو النون المصري (245هـ/859م) أحد الزهاد لينسب إلى أخميم بصعيد مصر، في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وربما يكون قد تأثر في ذلك بروحانية الزهاد والمتصوفة من الرهبان الشرقيين، والتصوف يجمع بين الزهد والتصوف في آن واحد، وهو يتطلب تصفية النفس التي تهيؤها للاتحاد مع الحقيقة الإلهية، ومن يسلك هذا الطريق يمر في ثلاثة مقامات أساسية، مقام الطالب، ومقام السالك ومقام المريد ، وهنا نجد الأقسام الكبرى للزهد المسيحي في الشرق، ويتم سلوك طريق

---

[1]– سميح عاطف الزين، **المرجع السابق**، ص403.

[2]– سمير السعيدي، **الحسين بن منصور الحلاج، حياته، شعره، نثره**، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 1996، ص50.

التصوف خطوة فخطوة فالمتصوف لا يترقى إلى مقام أعلى من مقامه إلا بعد أن يكون قد مر بالمقامات السابقة عليه، وقد ذكر أبو نصر السراج، بعض من هذه المقامات، وهي التوبة ويضعها معظم المؤلفين في التصوف في رأس القائمة على اعتبار أنها المقام الأول، ثم الورع وهو ينبغي أن يزيد (عند الصوفي) على ما لدى المؤمن العادي من هذه الصفة، ثم الزهد التام في خيرات هذه الدنيا حتى في الحلال الموجود منها[1].

6.3.شخصية أبي حامد الغزالي (450هـ-505هـ/1058م-1111م):

لابد قبل الكلام عن أبي حامد الغزالي، معرفة ملامح العصر الذي عاش فيه، والحالة المجتمعية التي كانت سائدة إبان تلك الحقبة التاريخية، بدأت تلك الحقبة مع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، عندما كانت قد دخلت مجموعات من القبائل التركية واستقرت في إقليم ما وراء النهر، بعد أن دخلت في الإسلام وعرفت تلك القبائل باسم "السلاجقة" لتنتقل فيما بعد إلى خراسان، وبعض ملامح العصر السلجوقي الذي عاش الغزالي شطرا منه وزيادة للتوضيح نشير هنا، إلى أنه في ذلك العصر كان الاختلاط في الآراء، والتداخل في الثقافات أمرا واضحا جليا، فالفلسفة اليونانية يستدل بها في العقائد ويحتج بها في الدين، والثقافة الأعجمية تسود بأفكارها ومراميها في الآداب والتعليم والخلافات الفقهية، بعد التفسيرات الصوفية والتدوينات الفارسية، وأساطير اليهود والنصارى تزاحم أخبار الأولياء وكرامات الصوفيين، ومن هذا الترويج والاختلاط تألفت تلك العقلية المتحللة وقد تعرف الغزالي إلى تلك الثقافات المتباينة جميعا، فكان لذلك تأثيره الملحوظ في توجيه أفكاره ومجهداته ولذلك نراه يبحث عن الحق خارج ذلك المحيط الذي راج فيه ما راج من الفلسفات والنزاعات والضلالات، فيقرر في كتابه (المنقذ من الضلال) "إن الحق لا يعدو واحدا من أربع فرق هي الباطنية والصوفية والفلاسفة والمتكلمة" إن ذلك الحق موجود في الصوفية دون سائر الفرق الأخرى، والغزالي يرى بأن الصوفية إنما يسلكون طريق الله تعالى خاصة "فسيرهم أحسن السير، وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق، فجميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"[2] والفضل يرجع إلى أبي حامد (1058م-1111م) الذي استطاع أن يقوم بالإصلاح بين الفقهاء والمتصوفة واستطاع الجمع بين التصوف والفقه، وهذا ما نجده واضحا في كتابه "إحياء علوم الدين" وهذا ما جعل ابن تيمية أحد فقهاء القرن 14م يلقبه بالمتصوف والمتفلسف[3].

---

[1] – شاخت وبوزورث، **المرجع السابق**، ص102.

[2] – سميح عاطف الزين، **المرجع السابق**، ص403.

[3] – Abdelghani Megherbi , **le monde muslman de la naissance à la renaissance**,édition du parti,Alger,1977,p69.

3 .7.شخصية محي الدين ابن عربي (560هـ-628هـ/1124م-1240م):

هو محمد بن علي محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، من مواليد مرسية في الأندلس في أواخر شهر رمضان سنة (560هـ)، درس الحديث والفقه وأخذ عن مشايخه من الأندلس، الذي خصهم بالذكر، أبو محمد عبد الحق وعبد الرحمان بن عبد الله الإشبيلي (الإمام) ، حيث تعرف على علماء كثيرين ومتصوفين عديدين،كما سافر إلى المغرب حيث دخل إلى فاس سنة(590هـ)، وعاد بعدها إلى غرناطة سنة (595هـ) ثم إلى مرسية، وقد برز ابن عربي في الفترة التي كان المتصوف فيها قد استعاد مكانته على يد أبي حامد الغزالي بعد النكسة التي حلت بأهله وهكذا فما كاد أبو حامد الغزالي يخلي هذه الدنيا حتى قيض للتصوف عالم صوفي آخر، لم يتمش على منوال السابقين من الأقطاب والمشايخ فحسب، بل ابتدع من الآراء وابتكر من الأفكار، ما أدهش أهل صوفية زمانه أنفسهم، وجعلهم به ينشغلون، وبتعاليمه يقتدرون هذا العالم الصوفي كان محي الدين بن عربي ذاته الذي ما زالت كتب الصوفية تحفظ آثاره حتى اليوم، وما زال الصوفية يجلونه، ويضعونه في أرفع مقامات شيوخهم وعلمائهم حيث كانت لابن عربي رؤى "غريبة"، والحقيقة لم تكن رؤيا بل كانت مجرد تعبير عن حالة نفسية كان يعيشها إن الرؤية التي رآها ابن عربي فيها ما يقنع من يدعي أن المتصوفة بمقدوره أن يتخلص من عالم الحس هذه الرؤية التي غمرته في تيار الشهوات من حيث لا يريد، تدل على أن غرائزه المفهومة المصورة له في العوالم بصورة الخضوع المؤنث"[1]، ويتبين أن ابن عربي كان له مطامع كبيرة للارتقاء في سلم المجد وقد اكتشف أن أمنياته تلك لا يمكن بلوغها إلا في عالم التصوف، فاندفع حتى كانت له على حد زعمه "العلوم العلوية-وعلوم الأسرار- وخواص الكواكب"، وبات أسير هذه النزعة الصوفية والتي سيطرت على جميع بحوثه بما فيها بحوث الفقه ولا يفوتنا أن نذكر عاملا كان له أكثر تأثيرا في تطور التصوف ألا وهو الخلاف الشديد والعداء المستفحل بين الفقهاء والمتصوفة نتيجة تدخل السياسة في الدين، ومن عوامل هذا الصراع الذي استمر مدى قرون غلو الفقهاء في الشعائر الظاهرة وغلو الصوفية في الآمال الباطنية، واختيار الصوفية كل حين نوعا من القول يضايق الفقهاء كاختراع، أبو يزيد البسماطي الفناء في الله، ورابعة العدوية حب الله وذو النون المصري المقامات والأحوال، مما كان غريبا على الفقهاء، وكان الحلاج يقول بالحلول، نجد ابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني يقولون بوحدة الوجود، أضف لذلك أن بعض الصوفية لم يلتزموا بالشعائر الدينية على الوجه الأكمل بل قالوا، إن بلوغ درجة الولاية تحرر من

[1]- سميح عاطف الزين، **المرجع السابق**، ص453.

المظاهر التطرف كما كان عليه سلف الصوفية، إلى جانب ذلك ادعاء الصوفية أن من يتصل بالله وبلغ الغاية في الفناء خضع له الكون وقوانينه، وجرت على يديه كرامات مقابل ما كان للأنبياء من معجزات، زد على ذلك تسامح الصوفية نحو باقي الأديان حيث يرون أن النصارى واليهود والمجوس، وعبدة الأصنام إنما يعبدون الله مهما اتجهوا وكل الأديان ليست إلا طرفا يوصل إلى غاية واحدة وهي حب الله[1].

4.ظهور التصوف في المغرب العربي:

اتخذ التصوف في المغرب مسارا آخر وذلك بعد نشوئه بالمشرق العربي ثم انتقاله إلى المغرب العربي ذلك أنه ارتبط أولا بظهور الرباطات، وهي المواقع المخصصة لحراسة البلاد ضد أي عدوان، وغالبا ما تكون في الحدود والسواحل، ويطلق على الأشخاص الذين يلازمون الرباط اسم المرابطة أو المرابطين، ويكونون عادة من المتطوعين للجهاد في سبيل الله دون أن يكون لهم أجر مقابل مرابطتهم، أحيانا يلازمون الرباط مع عائلاتهم فكما أن الرباط يهدف إلى ملازمة الثغور على الحدود ضد أي هجوم مفاجئ، فإنه في نفس الوقت يعتبر المكان المناسب ليتفرغ المرابط فيه للعبادة والخلوة والطاعة والذكر، ظهرت هذه الرباطات في المغرب الأقصى، قبل أن تنشر في سائر أنحاء المغرب العربي، عند قيام دولة المرابطين 1062م وهم من قبائل صنهاجية البربرية، ويعد يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلي لهذه الدولة وجعلوا مدينة مراكش عاصمة لهم، وهم أول من اتخذ الرباطات في المغرب العربي وجعلوا أمكنة للممارسة الروحية والحربية، ثم تعددت الرباطات في المغرب العربي وقد ظهرت "الزوايا" بالمغرب حوالي القرن الثالث عشر ميلادي يأتي مرادفا للرابطة، والتي يعتزل فيها "الولي" ويعيش وسط تلاميذه ومريدية ومع ذلك فإن الزاوية أو الرابطة ليس في جميع الأحوال هي الرباط وهو منشأة تخدم غرضا آخر كان له في بادئ الأمر طابع حربي، وقد لعبت هذه الرباطات دورا في نشر الإسلام ونشر التصوف وقد أخذ المرابطون التصوف من الإمام الجنيد عن طريق أحد تلامذته المغاربة، وبهذا يكون التصوف في المغرب العربي قد قدم من المشرق العربي وقد استمر لفظ المرابط حتى بعد زوال دولة المرابطين، وأصبح اللفظ يعني به الرجل المتصوف أو الولي، لأن الرباطات التي كانت أماكن حربية قد تحولت إلى مأوى للمتصوفين للعبادة وصارت تلك الثكنات العسكرية سابقا أشبه بالزوايا لا غير،ورغم أن المرحلة التي تمتد من القرن 12 إلى بداية القرن 13م تمثل منعرجا حاسما للتصوف سواء في المشرق العربي أو المغرب العربي، فإن التصوف في المغرب العربي يتمتع بخصوصيات حتى ولو أن أصوله تعود إلى المشرق فلم يظهر التصوف في البداية كحركة دينية منظمة، ولم تكن هناك طرقا صوفية كما هو الحال في المشرق إلا أنه يتأكد كاتجاه وتيار في المغرب العربي مع الولي سيدي بومدين شعيب بن الحسين، فقد أخذ أبو

[1]– سميح عاطف الزين، **المرجع نفسه** ، ص460.

مدين التصوف في المغرب الأقصى من أبي يعزة الهزميري[1]، وعلى بن هزريهم، والدقاق ثم في المشرق مع تلاميذ الجنيد والغزالي حيث التقى مع سيدي عبد القادر الجيلاني في مكة، وبذلك استفاد من نوعين من التصوف أحدهما مغربي عامي وآخر نخبوي من المشرق هذا التكوين المزدوج سمح له بوضع تصوف يكون في متناول كل سكان المناطق المغاربية، وحينما استقر في بجاية كان له مريدون وأتباع كثيرون، ومن أبرز الذين تتلمذوا على يديه نذكر منهم على الأخص أبن مشيش والشاذلي، ومن هنا بدأ التصوف ينتظم في المغرب العربي وأخذ الأولياء ومريدوهم يألفون جماعات صوفية، توسعت في كل المغرب العربي وامتدت إلى مصر والأندلس**2**، وأخذت الزوايا تتعدد وتنتشر سواء من طرف الشيخ نفسه أو من طرف أتباعه، لتصبح الزوايا لها مكانة سياسية في البوادي المغربية حيث أن الزوايا والأولياء يقومون بدور الحكام بين القبائل والعشائر، فهم يقومون على نقط الحدود التي لها أهميتها ويشير ذلك إلى وظيفة أساسية من وظائفهم وهي تعيين الحدود وضمان استقرارها**3**، وكانت المرحلة التالية هي تكوين المدارس الصوفية التي تتكون من حلقات من المبتدئين، وحين تحقق هذا التوافق كان التصوف لا زال هو الطريقة التي تعلمتها القلة فقط ولم يكن لدى العلماء السنيين أي إدراك لما كان يحدث حين وضعت بين الناس في شكل حركة شعبية ومن القرن الحادي عشر عملت الزوايا، والخنقاوات التي وفرت أماكن راحة مؤقتة للصوفية المتجولين على نشر حياة التعبد الجديدة خلال الريف بدور حاسم في نشر الإسلام في المناطق الحدودية من آسيا وشمال إفريقيا، وفي القرن الثاني عشر أصبحت الكثير من الخنقاوات غنية وازدهرت المباني، ويكتب ابن جبير الذي سافر في الفترة (1183 – 1185م) في عصر صلاح الدين، من دمشق فيقول: "..إن الرباطات الصوفية والتي تعرف باسم الخنقاوات، كانت عديدة وهي قصور مزخرفة تتدفق خلالها جداول المياه، وتعطي صورة سارة ممتعة قدر ما يرغب المرء في ذلك ..."**4**، فكانت الزوايا بالنسبة لسكان المغرب على غاية كبيرة من الأهمية لما كانت تقوم به من أدوار دينية، من تعليم القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الروحية والأخلاقية، أيضا وجود اجتماعي بدليل قول الشعراني"وأعظم طريق إلى دفع البلاء النازل على الناس في حارة أو قرية أو زاوية مصالحة بعضهم البعض حتى لا يبقى بينهم شحناء"**5**، وما لبث أن تطورت إلى تصوف فلسفي نتيجة مؤثرات وعوامل عديدة، وكان رواد الاتجاه الأول"التصوف السني"، ابن النحوي المتوفي سنة (513هـ)، في العهد الحمادي، وأبو

---

[1]– محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر، الجزائر، 1989، ص28.

[2]– محمد نسيب، **المرجع نفسه**، ص28.

[3]– سبنسر ترمنجهام، **الفرق الصوفية في الإسلام**، ترجمة عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1997،1، ص30.

[4]– ليليا بن سالم وآخرون، **الانثربولوجيا وتاريخ حالة المغرب**، ترجمة عبد الأحد البشني، دار توبقال، المغرب، 1988، ص50.

[5]– محمد نسيب، **المرجع السابق**، ص29.

مدين شعيب المتوفي سنة (594هـ /1197م)، وأبو زكريا الزواوي المتوفي سنة (611هـ) وغيرهم في العهد الموحدي، والذين ساهموا في تغذية التيار الصوفي أحمد بن عبد الرحمان النقاوسي وعبد الرحمان الثعالبي الذي كان تلميذ للنقاوسي، الذي اتصف بالزهد والتصوف، وقد ساهم إبراهيم النازي أستاذ السنوسي في حركة التصوف بلسانه وقلمه وزاويته**1** وحتى محمد الفراوسني، عيسى البسكري، بركات القسنطيني كلها شخصيات عرفت في الشرق الجزائري، حيث أن الجزائر عرفت التصوف من زمن بعيد، ولكن العلماء أنكروا عليهم ولم يكن يومئذ شأن للصوفية إلى أن جاءت الدولة المؤمنية، فنشرت المعارف (ونصرت الفلسفة) فظهرت من الصوفية رجال ارتفع صيتهم في الآفاق، ولكن لقوة الدولة لم يتمكنوا من السيطرة على العامة حتى سقطت الدولة المؤمنية، وخلفتها دولة تنازع أمراؤها أمرهم بينهم فضعف سلطانهم، وعلت كلمة الصوفية فمثلوا أدوارهم مع العامة وكان ذلك مبتدأ انحطاط الجزائر في المغرب دينيا وسياسيا**2**.

إن الطوائف المتماسكة ذات الطبيعة المختلفة تماما أصبحت عديدة، رغم أنها لا تزال تحتفظ بشخصيتها والتجمعات لأفراد يضعون طريقهم الخاصة حتى رغم ارتباطهم بالرجال المجربين، والبحث عن هدايتهم والذين نسبوا أنفسهم إلى مثل هذه الهداية أو هؤلاء المرشدين، وأفراد هذه الأماكن كانوا غير دائمين ومهاجرين وقد استخدموا الحد الأدنى، إذ أن قواعد الصحبة الصوفية كانت وأصبحت إلزاما دينيا، لكن تكوين التجمعات المغلقة والصوفية خارج التنظيم المعتاد للإسلام مع تنظيم الطقوس "السماع" أو التوافق الروحي، لها شارة الانجذاب الصوفي هو الذي كان بصورة أكثر احتمالا يثير رد فعل الرأي التقليدي في الدين أكثر من الأفكار المشبوهة، بينما الحاجة إلى هيئات تهتم بالرغبات الدينية بخلاف الشعائر المقدسة والمحددة بالشريعة، وهيئات الصوفية في الخانقات مع التشجيع الرسمي لنور الدين وصلاح الدين خيامهم وخلفائهم قد جعلت الهيئات الصوفية تحظى بالاحترام من طرف الأفراد لكن رغم هذا الترحيب بهذه الطريقة فإن التيار التقليدي أو السلفي أو الصوفي قد اتبعا ليس فقط طرقا أخرى، ولكنها طرقا مختلفة ويتضح عن طريق التطوير العلمي الموازي للمدارس والخنفاوات**3**، إلا أنه يعود ظهور التصوف إلى عدة مؤثرات منها الاتصال بالمشرق عن طريق الحج وتتلمذ هؤلاء الرواد على مشايخ التصوف في المشرق والإطلاع على مذاهبهم واتجاههم وفلسفاتهم في هذا الميدان والتزود بالكتب والمؤلفات المهمة في هذا الشأن كرسالة القشيري، وقوت القلوب للمكي وإحياء علوم الدين للغزالي ...كما تأثروا بالمذهب الشيعي الذي تسرب إلى المغرب الأوسط وبفكرة المهدي التي بنيت عليها الدعوى الفاطمية في المغرب وكذلك الدعوة

1– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10هـ–14هـ/16م–20م** ، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص83.

2– محمد مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر القديم والحديث** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، الجزائر ،1989، ص347.

3– سبنسر ترمنجهام، **المرجع السابق**، ص32.

الموحدية كما أن الأوضاع المتدهورة سواء في المشرق أو المغرب تعتبر من العوامل الهامة التي أثرت في تطور التصوف في المشرق أو المغرب تعتبر من العوامل الهامة التي أثرت في تطور التصوف في المشرق والمغرب معا، حيث نجد أن المغرب الأوسط منذ الربع الأخير من القرن الثالث عشر (الميلادي) بدأت تسود فيه الفوضى والاضطرابات والثورات مما أدى إلى انعدام الأمن والاستقرار وتدهور الحالة الاقتصادية، ثم تلاها تفكك الوحدة المغربية وانقسام المغرب العربي إلى ثلاث دويلات ظلت تتناحر فيما بينها إلى مطلع القرن السادس عشر ميلادي ويعود انتشار التصوف السني في بداية العهد الموحدي إلى الأمن والاستقرار اللذين تحققا في ظل الوحدة المغربية والسلطة المركزية تحت حكم الموحدين، وقد حفل المغرب الأوسط في هذه الفترة بشخصيات صوفية نخص منها بالذكر أبو مدين شعيب الذي يعد أول من أدخل تعاليم الصوفية المنتشرة في الجزائر وقد نزح أبو مدين من الأندلس إلى فاس ثم تلمسان التي اتجه منها إلى الحج حيث تزود هناك بتعاليم صوفية ثم عاد بعدها واستقر بالمغرب الأوسط، واختار بجاية مقرا له فكانت له شهرة واسعة ومكانة رفيعة، وقال عنه عبد الرحمان المغربي "سمعت سيدي أبا مدين يقول: أوقفني ربي عز وجل بين يديه وقال لي: يا شعيب ماذا عن يمينك؟ فقلت يا رب عطاؤك، قال عن شمالك، قلت يا رب قضاؤك، فقال: يا شعيب لقد ضاعفت لك هذا وغفرت لك هذا فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك"، وهذا بعد عودته من الحج واتصاله بالشيخ عبد القادر الجيلاني، وتتلمذ عليه في بغداد حيث أعاد إليه خرقته الصوفية ويبدو أن تصوف أبا مدين وغيره في هذه الفترة يشبه كثير من الخرافات والبدع التي ازدادت انتشارا وتوسعا بعده فكان من الراجح أن هذه الشخصيات الصوفية، ومنهم أبو مدين شعيب ساعدت على نشر فكرة الأولياء في المغرب الأوسط وخلقت الجمود وتسببت في انحطاط الحضارة الإسلامية والتخلف الفكري لدى طبقات الشعب العربي وبالتالي ساد الاعتقاد في الأولياء وفي كراماتهم، فازدادت سلطتهم الروحية واتسع نفوذهم وكثر عددهم في المغرب الأوسط**1**.

ومما مر معنا نخلص إلى القول بأن التصوف في البداية كان فرديا ويعني الاعتكاف على العبادة وإطراح الدنيا بما فيها من مال ولذة وجاه، والانقطاع إلى الله عز وجل، وبمرور الزمن أصبح جماعيا وخاصة منذ نشأة الطرق الصوفية، وقد بدأ بسيطا ثم تطور ليصبح فلسفة واتجاها معينا في العبادة والسلوك ونتيجة لتأثره بمختلف العوامل انقلب إلى دروشة ثم زاد في الانحطاط حتى قيل عنه: كان التصوف حالا فصار مالا، وكان احتسابا فتحول إلى اكتساب، وكان تعففا فأمسى تكلفا، وكان تخلقا فأضحى تملقا.

1– مختار الطاهر فيلالي، **المرجع السابق**، ص20.

المبحث الثاني: الطـــــــــــرق الصوفية

1.عوامل نشأة الطرق الصوفية:

إذا كان التصوف الإسلامي الذي نشأ منذ القرن الثاني الهجري في بدئه مقصورا على الحياة الزهدية القائمة على الاعتزال والتأمل فقط، تطور ليصبح منهجيا دينيا محددا، واتجاها نفسيا وعقليا معينا، وظل كذلك إلى بداية القرن الثاني عشر ميلادي حيث ظهر نظام الطريقة عند هؤلاء المتصوفين المسلمين، فكان هناك الشيخ والمريد أو السالك، ونشأت بعض الحلقات من كبار الصوفية إما في حياتهم أو بعد مماتهم، وقد ظهر اهتمام المتصوفة بالسلاسل وخاصة بعد أن ضعف التصوف واحتاج الأمر إلى سند يجلب احترام المريدين وإعجاب الناس وهذه السلاسل الكثيرة والتي أوردها المتصوفة تنتظم في سندها المتصوفين المعروفين من أول التصوف إلى وقت تنظيم الطرق الصوفية، ومن ذلك ما يورده ابن مريم في البستان عن أبي مدين شعيب قوله: "كرامات الأولياء نتائج معجزات سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى يسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين جل جلاله، وكذلك ما أورده الشيخ مصطفى باشا تارزي القسنطيني الكرغلي عن الطريقة الرحمانية وسندها حيث يذكر ما يربو عن خمسة وثلاثين شيخا صوفيا**1**، وقد تميزت هذه الطرق الصوفية عن التصوف القديم، حيث أنها تبنت طابعا خاصا وأسلوبا معينا ومحددا في الوصول إلى الفناء والشهود، وهي في ذلك تختلف عن طابع وأسلوب غيرها وإذا كان بعض هذه الطرق قد أسس قبل الغزو المغولي (656هـ 1258م) فإنها تعددت وانتشرت وتشبعت منذ القرن الرابع عشر ميلادي، وفي أنحاء العالم الإسلامي، وكان أول من نادى بها وأسسها آل شيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد، حيث كان التصوف في أساسه صوفية تأملية وعاطفية، وهو كتنمية منظمة للخبرة أو التجربة الدينية، فهو ليس نظاما فلسفيا رغم أنه طور مثل هذا النظام، ولكن "الطريقة" وهي طريقة التطهير وهذه الناحية العلمية وقد انتشرت التعاليم والممارسة في أنحاء العالم الإسلامي خلال نمو طرق خاصة والتي نشرت بين الناس وسط التعاليم الدينية، وكحركة دينية فقد تعرضت لنواح كثيرة، إن تأسيس الطرق الصوفية أو الفرق، هو النظام والعلاقة بين الشيخ والمريد وقد كان طبيعيا إلى أن تقلب لسلطة وإرشاد أولئك الذين انتهجوا مراحل "مقامات" الطريق الصوفي، ويقول شيوخ الطريقة إن كل إنسان قد ورث بداخله إمكانية تحرره من النفس والاتصال بالله – عز وجل- ولكن هذا يكون كائنا وساكنا ولا يمكن إطلاقه إلا عن طريق إشراقات خاصة منحها الله لمن يشاء بدون إرشاد من مرشد، كان الشيوخ الأوائل

1- مختار الطاهر فيلالي، **المرجع السابق**، ص33.

أكثر اهتماما بالتجربة أو الممارسة عنهم بوضع النظريات النيوصوفية، ولقد استهدفوا الإرشاد بدلا من التعليم موجهين المريد إلى طرق التأمل وبها يكتسب بنفسه استبصار الحقيقة الروحية ويكون محصنا ضد أخطار الأوهام**1**.

لقد ظهر اتجاهان متقابلان مميزان هما، الاتجاه الجنيدي والاتجاه البسطامي أو العراقي أو الخوراساني، ولكن يجب أن يؤخذا بجدية شديدة أو يسميان مدارس فكرية وذلك باسم كلا من أبي القاسم الجنيد وأبي يزيد البسطامي، اللذين أحاطا بالتخيلات أو التصورات أكثر من أي من معاصريهم، وقد اعتبر هذان على أنهما يجسدان التقابلات بين الطريق الصوفي القائم على التوكل والطريق القائم على السلامة بين الغيبة والصحو بين الأمين وبين المشتبه، بين الإشراف والالتزام بين الخلوة والصحبة، بين التأليه الشامل والوجدانية، بين الهداية في ظل مرشد من أهل الدنيا والهداية في ظل شيخ روحي – رغم الاختلافات بين تعاليم البسطامية والجنيدية عن الآداب الصوفية– فإن الجنيد قد اعتبر شيخ الطريقة، وهو الجد المشترك لمعظم جماعات الصوفية اللاحقين، وحتى رغم أن كثيرا من الفرق تابعت تعاليمها ابتداعيا وهراقطية، فإن إدخاله في أصول هذه الجماعات كان ضما، فالاستقامة ومراعاة الجذور للإسناد الصحيح يمكن أن يدعم العديد من الهرطقات، كانت هذه الجماعات مفككة متقلبة للغاية، وقد سافر أعضاؤها على نطاق واسع بحثا عن الشيوخ وكان بعضهم يكتسب بطريقة والبعض الآخر استعان بالصدقات، ولكن وجدت الأوقاف التي عملت كمراكز لهؤلاء المتجولين، وفي المناطق العربية ألحق الكثير من هذه الأوقاف بمواقع الحدود أو الفنادق المسماة أربطة، أما في خرسان فكانت مرتبطة بالاستراحات أو الخنقاوات – جمع خانقاة– بينما كان الآخرون القائمون بالرياضة الروحية (الخلوة أو الزاوية) كل هذه المصطلحات جاءت لتعني مقرا أو مكانا للموجه أو المرشد الروحي**2**.

2. خصائص ومميزات الطرق الصوفية:

إن من بين أهم خصائص و مميزات الطرق الصوفية:

أ. لبس الخرقة: إذا كان الطريق يقوم على شيخ ومريد بينهما عهد فإن أهم خصائص الطريق لبس المرقعة أو الخرقة الصوفية، ويكاد يجمع أصحاب الطرق الصوفية المختلفة أنهم أخذوا الخرقة من فلان عن فلان في سلسلة عنعنة طويلة تنتهي إلى الأمام علي كرم الله وجهه، ويقول الهجوري وقد أمر مشايخ هذه الطريقة المريدين بأن يتحلوا بالمرقعات ويتزينوا بها وفعلوا هم ذلك لتكون لهم علامة بين الخلق ويكون الخلق رقباء عليهم، فإذا خطوا خطوة على خلاف، يطلقون فيهم لسان الملامة، وإذا أرادوا إتيان المعصية في تلك الثياب، فإنهم لا يستطيعون

1– سبنر ترمنجهام، **المرجع السابق**، ص25.

2– المرجع نفسه، ص28.

الجلاء من الخلق، ويقول صاحب ظهور الحقائق (العطاس): "وإذا أراد الشيخ أن يلبس المريد الخرقة فليتطهر ويأمره بالتطهير، ثم توضع الخرقة بين أيديهما ويقرأ الفاتحة ويلبسها الشيخ بيده للمريد قاصدا بذلك الإنابة عن الله تعالى ورسوله ثم يذكر له نيتها كأن يقول ألبسهالك كما ألبسني إياها شيخي فلان... إلى آخره"[1]

ب. الذكر: إذا كانت الخرقة من خصائص الطرق الصوفية ومميزاتها الظاهرة، فإن الذكر أيضا من أهم تلك الخصائص والمميزات وقد اعتمد سند تلقين الصوفية لمديريهم على سند تلقين الرسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه (لا إله إلا الله) جماعة وفرادى، والذكر من أهم الوسائل إلى الوصول إلى الله تعالى، يقول القشيري في رسالته، الذكر ركن قوي في طريق الوصول إلى الحق سبحانه تعالى، بل هو العمدة في الطريق القويم ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر، ويتحدث التستري عن ثلاثة أنواع من الذكر:

1-ذكر اللسان / 2- ذكر بالقلب / 3- ذكر الخاصة وهو الذكر الموصل، والنوعان الأول والثاني يدخلان في نظر التستري في دائرة المقطوع والثالث وحده الذي لا يقدر عليه إلا النخبة الممتازة في الحياة الروحية، إن هذا النوع الخاص من الذكر هو واجب كلية القلب بوقوفه متسلما في حضرة الله الدائمة.

ج. السماع: يقصد بالسماع الغناء والموسيقى وهي الضابط للإيقاع وإنشاد الشعر والمنظومات والغناء والرقص والتمايل.

ونلمس طرقا كثيرة تنشد الأدوار الموسيقية بمذاهبها المختلفة في مجالسها الصوفية حتى أنه أصبح للتغني في مجالس الصوفية طريقة خاصة وضحها بعضهم حيث يقول إن الصوفية درجوا منذ القديم على أن يبدؤوا مجالس الذكر: ب(لا إله إلا الله) وتعرف عندهم بالأرضية ويأخذ (الرسيم) الذي هو رئيس المجلس في التدرج بالذاكرين أثناءها من الراست (الرصد) إلى الدوكة إلى السيكا إلى (الجهركاء) إلى الحجاز ثم الرهاوي فالكردي فالبياتي فالصبا، ولقد أصبحت حلقات ذكر الله تعالى سماعا موسيقيا وإيقاعات رتيبة فوجدنا بعض أبناء الطرق الصوفية قد ولعوا بالنقر والضرب والعزف والغناء.

د. المولد: من أهم ما ترتب على قيام الطرق الصوفية ظهور وانتشار تلك الموالد المتعددة للاحتفال بذكرى شيوخ الطرق وأولياء الله الصالحين، وإذا كانت الموالد تقام لإحياء ذكرى رجالات الإسلام وأعلامه فالمفروض أن تكون مناسبات تدعيم وتجديد للقيم الإسلامية والروحية لا تكون بهذه الصورة المشوهة التي تصحب إقامة الموالد وتعد ورقة رابحة في يد أعداء الطرق الصوفية وليس العيب إقامة المولد، بل هو عيب التنظيم والإعداد[2].

1- عامر النجار، **الطرق الصوفية**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، بدون سنة، ص ص 40 46.

2- المرجع نفسه، ص ص 64 65.

3. وظائف الطرق الصوفية:

لقد قامت الطرق الصوفية منذ ظهورها إلى اليوم بأدوار غاية في الأهمية وكان لها عظيم الأثر في شتى المجالات مما يدل على خطورة المهام وسنحاول أن نرسم صورة تأليفية عن الوظائف التي تنهض بها دينيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

أ.الوظيفة الدينية:

هناك وثاقة صلة بين التصوف الطرقي والأماكن التي تحتضنه كالزوايا والخانقاوات والرباطات ومن هنا كانت صعوبة الفصل بين الطرق الصوفية والأماكن التي تمارس فيها أنشطتها إذ لا يمكن أن تنفصل الطريقة عن الزاوية مثلا باعتبارها مؤسسة دينية قبل كل شيء فهي مكان تمارس فيه الأعمال الملازمة للتصوف من تربية ورياضة وبذلك تنهض بدور مكمل إلى جانب المسجد [1]، وكذا الحفاظ على الإسلام والقران الكريم وظلت المكان الذي يلتقي فيه المريدون لمشايخ الطرق الصوفية لأخذ الأدوار أو طريقة الذكر وكذا تعليم الفقه والعلوم الدينية هذا من الناحية الدينية[2]، وامتازت الزوايا في التصوف الطرقي باستعارتها خاصية الحرم من الحرمين مكة والمدينة الذين يحرم فيهما القتال والصيد، فإذا كان مصطلح الحرم مقتصرا على المدينتين المقدستين فقد زيد في معناه حتى تشمل أماكن العبادة وطبق على الزاوية أيضا ، فهي بهذا الاعتبار حرم آمن للناس وللحيوان فكثيرا ما يتخذها الخائفون ملاذا وقد يكون اللجوء إلى الزوايا لجوءا جماعيا، وما يتصل بالوظيفة الدينية التي تنفرد بها الزاوية تلبسها صفة البركة التي تدلل على أهمية رجال التصوف في المجتمع ومنزلتهم الدينية في نفوس الناس مما حمل هؤلاء على إسقاط أهمية الرجال على أمكنة وجودهم أحياءا أو أمواتا.

ب.الوظيفة الاجتماعية

تفهم الوظيفة الاجتماعية للطرق الصوفية من تصور رسخ في التصوف الطرقي فحواه، أن الشيخ الصوفي يأخذ على عاتقه مسؤولية تلبية حاجات الجماعة فذلك من مقتضيات الولاية قبل كل شيء ولا يتاح له ذلك إلا إذا تميز بمجموعة من (الصفات أهمها حماية الناس وتحمل أعباءهم وحل مشاكلهم ورعاية مصالحهم) .

وقد قامت الطرق الصوفية بتقوية الروابط الاجتماعية بين المريدين الذين ينتمون إلى القبيلة الواحدة، فانضافت إلى روابط الانتماء القبلي روابط الانتماء الطرقي فتعاضدت القرابة والطريقة لتزيد الروابط الاجتماعية التحاما ومتانة ذلك أن ما تقيمه الطرق من أعياد سنوية واحتفالات دورية للذكر الصوفي، إن تلك الأعياد والاحتفالات تنشئ

1– محمد بن الطيب، **إسلام المتصوفة**، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، 2007، ص46.

2– زيزاح سعيدة ، بوخدوني صبيحة، **الزوايا من منظور سوسيو ثقافي**، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 01، جامعة الأغواط، 2006_2007، ص 56

علاقات جماعية متينة جدا فهي تنمي وتوثق علاقات اجتماعية أخرى سائدة كعلاقات القرابة والجنس والعرق والحي والصنف الاجتماعي وغيرها ، وكانت تعمل على إقامة العدالة الاجتماعية بين كل فئات المجتمع ومن وظائفها الاجتماعية الصلح بين الناس وفك النزاع بينهم فلو أخذنا على سبيل المثال النزاع الخاص بأمور الميراث فكثير من الأفراد لديهم نزاع من هذا النوع يلجؤون إلى الخليفة أو مقدم الزاوية يطرحون عليه المشكل، ويعمل المقدم جاهدا لفك هذا النزاع وذلك بالاستناد إلى الكتاب والسنة، وتعد الزاوية الصوفية مؤسسة اجتماعية مقترنة في الأغلب الأعم بالإطعام حتى صارت ملازمة له، ذلك أن إطعام الطعام رمزا للبركة[1].

ج. الوظيفة التربوية

تقوم الزوايا بوظائف تربوية والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والذكر فهذه الوظيفة لم تزول فالزوايا تعمل على إنشاء المدارس القرآنية (أو الكتاتيب) لتعليم الناس وخاصة فئة الأطفال[2] ،وبإمكان الدارس لتاريخ الزوايا في الجزائر أن يرى فيه ثلاث مراحل أساسية: مرحلة مقاومة الاستعمار وهي أكثر المراحل ازدهارا ومرحلة الثورة المنظمة، ومرحلة ما بعد الاستقلال حيث استطاعت زوايا ومدارس القرآن التابعة لطرق الدرقاوية والتجانية والقادرية والرحمانية أن تكون مركز إشعاع علمي وديني ومراكز أيضا لإيواء المقاومين، فعلى سبيل المثال عبد القادر بن محي الدين خريج زاوية درس فيها التوحيد والفقه والنحو والصرف والبلاغة والآداب ثم أصبح فارس الميدان يخوض المعارك مع الضباط الكبار الذين درسوا فنون الجيش المنظم، ولقد عمل الاحتلال على تخريب وتدمير أهم مدرسة وأكبر زاوية وأقوى معهد وقصد إلى ذلك الجنرال دوماس إذ قال : أنه في سنة 1849 لم تبق أي مدرسة ثانوية تقريبا على وجه التراب الجزائري لذا حملت الطرق الصوفية هم التعليم في الزوايا في المدن والجبال والأرياف وحملوا مشعل الثقافة من جديد وكان أهم ما قامت به هو المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وحفظه في صدور أبناء المسلمين كتابة ورسما وتلاوة وتجويدا [3] ، ويقول بن خلدون في هذا الموضوع " وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن والسنة ومبادئ اللغة العربية بين أبناء البربر، وبذلك تم إسلام البربر وأصبحت لغتهم العربية، وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة الأولى من علماء الدين في القيروان وفي المغرب كله أمثال أسد بن الفرات [4].

1– محمد بن الطيب ، **المرجع السابق**، ص ص 165 168.

2– زيزاح سعيدة ، بوخدوني صبيحة ، **المرجع السابق** ، ص 67 .

3– نجيب بن خيرة ، **الزوايا في الجزائر وفريضة التعليم الغائبة**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد08، قسنطينة، مطبعة البعث،2001 ، ص 162

4 – الطالب بن عبد الرحيم بن أحمد التجاني، **الكتاتيب القرآنية بندرومة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 13.

4. أهم الطرق الصوفية.

أ. الطريقة القادرية: تنسب هذه الطريقة للشيخ الفقيه الورع والزاهد التقي عبد القادر الجيلاني وتشير الدراسات والمصادر التاريخية أن أول طريقة صوفية عرفها شرق إفريقيا هي الطريقة القادرية وكان أول داعية للطريقة القادرية الشيخ حسين بن عبد الله المعين حيث قدم من مكة المكرمة إلى زنجبار والتي كانت تعتبر مركزا حضاريا لكل شرق إفريقيا وكان أولى أولوياته عند وصوله زنجبار مؤخاته الشيخ علي بن عمر الشيرازي ذي الأصول الإفريقية وقد تمكن بفضل هذه المؤاخاة من التوسع والانتشار في أواسط الأفارقة حتى وصلت إلى منطقة (ريفيجي) وخلفه على الطريقة الشيخ عويس بن محمد والذي يعتبر عند الكثير من المهتمين بالشأن الإفريقي المؤسس الفعلي للطريقة القادرية ولد هذا الأخير في الصومال عام 1846 وتتلمذ في مدارسها القرآنية وأخذ الطريقة على الشيخ عبد الرحمن الزيلعي، ثم سافر إلى العراق وفيها أجيز بعلوم المعقول والمنقول والسلوك والتصوف على يد الفقيه مصطفى سليمان وأذن له بنشر الطريقة في شرق إفريقيا وبعد سلسلة من الاتصالات والمراسلات بينه وبين ثالث سلاطين زنجبار السيد برغش بن سعيد زار زنجبار عام (1884م) وبعد استقراء ودراسة لطبيعة الحياة في زنجبار تبين للشيخ الاستقرار في زنجبار وعاد فعلا إليها عام (1897م) ليستقر بها وبشكل نهائي، ولقد كللت إقامة الشيخ بالنجاح لدرجة أن الإدارة الألمانية والتي كانت قد سيطرت على داخلية البر الإفريقي قد أوجست خيفة من وجود الشيخ خوفا من إعلان الجهاد ضدها وبعد وفاة الشيخ عويس خلفه في مشيخة الطريقة الشيخ عمر بن قلتين من منطقة براوي وهو صومالي أيضا وكان على جانب كبير من العلم والتقوى والجهاد ضد المستعمر سلك بالطريقة القادرية مسالك أخرى مكن للطريقة أكثر مما كانت عليه من قبل حتى وصل عدد الزوايا التي أسسها إلى ستة وعشرين زاوية ورباط، ومن زنجبار أرسل أتباعه وتلاميذه إلى كل من دار السلام ولينديي وطابورا ودودوما وأجيجي، كما كان لنجله الشيخ علي بن عمر بن قلتين الفضل في توسيع نطاق الطريقة إلى كل من مالاوي وزامبيا وموزنبيق**1**.

ب .الطريقة الرحمانية: هي طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الخلواتية، ونسبت إلى مؤسسها الشيخ "محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري الأزهري المولود *حوالي (1720م)، من قبيلة" آيت إسماعيل التي كانت جزءا من حلف قشتالة في قبائل جرجرة، وزاول دراسته الأولى بمسقط رأسه بزاوية "الشيخ الصديق وأعراب" في بني ايراثن ثم واصل تعلمه في الجزائر العاصمة وفي عام (1552هـ،1739م) توجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج

1- عبد الحق محي، **الحركة الصوفية وأثرها على الإسلام**، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين، أيام: 25/24/23 نوفمبر 2006، عين ماضي، الأغواط، ص 06.

* سمي بالجرجري نسبة إلى جرجرة موطن قبيلته وبالأزهري لتلمذته بالجامع الأزهر.

وأثناء عودته استقر بالجامع الأزهر فترة طويلة مترددا على عدد من العلماء وشيوخ التصوف أمثال الشيخ "محمد بن سالم الحفناوي" وقد أصبح "محمد بن عبد الرحمن" مريدا وتلميذا له حيث أدخله الطريقة الخلوتية وعهد إليه أكثر من مرة بالقيام بمهمة الدعوة الدينية في الهند والسودان، حيث أطال فيها الإقامة (السودان)، وبعد غياب طويل عن وطنه دام أكثر من ثلاثين عاما عاد إلى الجزائر عام (1183هـ،1769م)، تلقى الأمر من شيخه "الحفناوي" بالعودة إلى بلده والقيام بنشر الدعوة الخلوتية، وبمجرد وصوله إلى مسقط رأسه "آيت اسماعيل أسس زاوية وشرع في الوعظ والإرشاد وبث دعوته الدينية الجديدة ونشر الطريقة وقد التف حوله جموع الناس من سكان جرجرة، ولقيت دعوته إقبالا ونجاحا كبيرين وسرعان ما أصبح له أتباع ومريدين، وقد انتقل بعد ذلك إلى "الحامة" بالجزائر العاصمة**1**، ولا يعرف السبب الحقيقي الذي حمله على مغادرة مسقط رأسه، و قد يعود هذا التنقل إلى فرار من خصومه المرابطين في المنطقة – مسقط رأسه – الذين ناصبوه العداء لما حققه من نجاح أصبح يضايق نفوذهم وقد يعود أيضا إلى أنه تأكد من رسوخ تعاليمه، و قد أسس في الحامة زاوية لنشر تعاليم الطرق الخلوتية إلا أن نشاطه سرعان ما أثار ضده معارضة شديدة تزعمها المرابطون تارة و العلماء تارة أخرى، وأخيرا تمكنوا من إرغامه على المثول أمام مجلس العلماء آملين في إصدار فتوى توقف دعوته، إلا أن المجلس أصدر فتوى لصالحه إذ برأه من تهمة الزندقة و الانحراف و قد ثار سكان بلدته حينما علموا أن الشيخ في محاكمة، و من جهة أخرى أن شهرته كولي و عالم أكسبته أنصار كثيرون في العاصمة، فربما يكون هذان العاملان مساعدان في تبرئته فتساهل الأتراك في إصدار الفتوى لصالحه**2** ، و هناك عوامل أخرى تفسر المعارضة التي تلقاها الشيخ "عبد الرحمن" منها:

– أن "عبد الرحمن " من الريف و نزح إلى المدينة فصار يزاحم أهل الحضر و يضايق نفوذ المرابطين و أهل النفوذ.

– ثانيا ، هو خوف الأتراك منه لأن قبيلته الموالية لقشتالة ثارت ضد الأتراك و هي التي كانت معارضة دوما للحكم المحلي، وقد عاد "عبد الرحمن" إلى مسقط رأسه بلده "آيت اسماعيل" و لما شعر بدنو أجله عين خليفته و هو "سي علي بن عيسى" و أوصاهم (تابعيه) بطاعته و الاستماع له و منحه كافة أسراره، لم يتم نشر دعوته في الجزائر العاصمة فقط، بل كانت الدعوة حتى في المشرق الجزائري، فلقد عين الشيخ أيضا خليفته في قسنطينة و هو الشيخ "مصطفى بن عبد الرحمن بن الباش ترزي الكرغلي"، فقام هذا الأخير بنشر تعاليم الطريقة في الإقليم الشرقي على أيدي مقادم أشهرهم "محمد بن عزوز" في واحة البرج قرب بلدة طولقة، ولقد توفي الشيخ "عبد الرحمن" عام (1208هـ-1793م) تاركا خلافة الطريقة لرجل من أصل مغربي، وأغلب الظن أن يكون هذا

---

1 – مختار الطاهر فيلالي، **المرجع السابق** ، ص 40.

2 – **مرجع نفسه**، ص 43.

الاختيار لأنه لم يجد في أسرته أو أحد مواطنيه من يتمتع بالقيم الروحية وقادرا على مواصلة الرسالة مثل تلميذه المغربي، وقد استطاع خليفته الأول–علي بن عيسى– الذي بقي مدة ثلاثة وأربعين عاما (1208 – 1251هـ) يدير الزاوية الأم بكل حكمة ونجاح، واكتسبت الطريقة انتشارا كبيرا، سواء في وسط البلاد أو شرقها وجنوبها إلا أن وفاته أفقدت الزاوية الالتمام والوحدة، حيث لم يستطع بسط هيمنتهم على مقادم الزوايا البعيدة ومما يذكر هنا أن الطريقة الرحمانية تزعمت الثورات في العهد الفرنسي وساندت الطرق الأخرى **1**.

ب. الطريقة الشاذلية: يرجع تأسيس هذه الطريقة الصوفية إلى أبي القاسم الجنيد الذي تأثر به الشيخ شعيب أبو مدين الأندلسي الفقيه الشهير الذي انتشر صيته خلال (ق12م)في كافة العواصم الإسلامية وقد تتلمذ على يد الشيخ عبد السلام بن مشيش المغربي الأصل وفي الحقيقة يرجع منبع الشاذلية إلى هؤلاء العلماء الذين تأثر بهم الشاذلي إلى آرائهم وأفكارهم لتكوين الطريقة الصوفية المعروفة بالشاذلية**2** ، وتنسب هذه الطريقة للشيخ أبي الحسن الشاذلي في زنجبار على يد الشيخ محمد معروف ابن الشيخ أحمد القمري الأصل تتلمذ على يد علماء زنجبار وأخذ الطريقة القادرية بداية ولما عاد إلى موطنه الأصلي – جزر القمر– أخذ الطريقة الشاذلية على يد شيخه عبد الله الدرويش ثم أوفده ثانية ليبشر بهذه الطريقة ونظرا لتواجد القمريين بكثرة في زنجبار التحقوا بالطريقة الشاذلية كما كان للعنصر النسوي دوره البارز في انتشار هذه الطريقة حيث تشارك المرأة الرجل جميع الأنشطة والفعاليات.

ج. الطريقة الرفاعية: نسبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي– رحمه الله تعالى– وتعتبر من أقدم الطرق الصوفية وصولا إلى زنجبار ومن ثم شرق إفريقيا، وكانت حضر موت المنفذ الوحيد لهذه الطريقة من خلال الهجرات المتتالية إلى شرق إفريقيا، إلا أن هذه الطريقة أصبحت تعاني من قلة الأتباع والمريدين لصعوبة الطقوس وعنفها وعدم موافقتها للشرع الحنيف ، هذا من جهة ومن جهة أخرى هجرة الهنود والبلوش من زنجبار تحديدا عقب ثورة (1964م).

د. الطريقة الأحمدية الإدريسية : نشأت الطريقة الأحمدية الإدريسية على يد الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي المغربي الأصل المتوفي عام (1837م) ثم قام أحد المريدين ويدعى الشيخ محمد بن صالح المتوفي عام (1916م) بتأسيس فرع لها في الجزيرة العربية ووجدت هذه الطريقة سبيلها إلى الصومال ومع بدايات القرن العشرين اعتنق

1- Louid Rinn: op.cit,p459.

2- عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا السوداء**، الطباعة الشعبية للجيش، صدر عن وزارة الثقافة، بمناسبة الجزئر عاصمة الثقافة العربية 2007، ص100.

أحد أبطال الصومال القوميين الطريقة الإدريسية مما زاد من شعبيتها ونظرا لتواجد الصوماليين بكثرة في زنجبار إما للدراسة في أربطتها ومدارسها أو للتجارة إلا أن أحد الشيوخ الزنجبارين ويدعى الشيخ أحمد بن حامد سافر إلى صعيد مصر ليتعرف على الطريقة بنفسه وهناك التقى بالشيخ أحمد الدندراوي وقد بذل هذا الأخير وسعه لكسب المريدين وتوسيع نطاق الطريقة المكاني من خلال المدارس القرآنية والمزارع إلا أن هذه الطريقة ظلت ضعيفة مقارنة بالطرق الأخرى كما يعتبر شيوخ الطريقة الدندراوية أعلى شيوخ الطرق الصوفية ثقافة وأغزرهم علما.

هـ.**الطرقة المجذوبية** : الطريقة المجذوبية كغيرها من الطرق الصوفية عبارة عن منهج لعبادة الله سبحانة وتعالى وهي تربية أو مجاهدة النفس لتهذيبها من أدران الحياة المادية وخلاصها من أمراض القلب والتخلي عن الصفات الذميمة والتحلي بمكارم الأخلاق حتى يصبح الفرد مستعدا للفيض الرباني كما يقول الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين " الطريقة بما تعلمت أيها المريد من علوم الشريعة لتقطع منازل السير إلى الله فتصل إلى الحقيقة " ، وكانت الطريقة القادرية الجيلالية هي أول طريقة دخلت السودان على يد الشيخ عبد القادر الجيلالي (1077-1166) في القرن الثاني عشر الميلادي ثم دخلت في إفريقيا القرن الخامس عشر وفي عام 1577 جاء الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي الصوفي القادري من مكة حيث أدخل القادرية، ولكي نفهم الطريقة المجذوبية وتعاليمها الصوفية يحسن أن نسلط الضوء على مؤسسات الطريقة التعليمية فالخلوة تعتبر أول وحدة تعليمية ظهرت خلال حياة محمد بن عبد الله الدامر وكان مدرسا بها ، من جهة أخرى فإن هيكل النظام التعليمي عند المجاذيب هو مدرسة العلوم الصوفية التي بدأت مع الحاج عيسى الذي قام بتعليم مبادئ الصوفية لعدد كبير من الناس دون الاعتماد على سلسلة صوفية معينة ، وقد اتبع عبد الله المجذوب وابنه نظام يتمثل في الصبر والإيمان والروع وغيره من الأمور الأساسية للانخراط في السلك الصوفي ويكون التلميذ دائما ملازما ومرافقا لأستاذه ، والفقيه الكبير يعتمد على عدد من العلماء والشيوخ وتمويل هذه العمليات التعليمية يعتمد في المقام الأول على أبناء أسرة المجاذيب، وكان فقهاء المجاذيب يتخصصون في فروع العلوم المختلفة منها حفظ القرآن الكريم الفقه اللغة العربية من نحو وصرف وأدب، وباختصار ساهم المجاذيب في الحياة الثقافية في السودان بشكل عام وفي الدار بشكل خاص وكانت مدارسهم مأوى لكل طالب علم وكانت الحلقات عندهم شبيهة بما يجري في الأزهر الشريف، وكان فقهاء المجاذيب على دراية واسعة بالثقافة الإسلامية[1].

و. **الطريقة السنوسية**: أسس الطريقة الصوفية السنوسية محمد بن علي أبن السنوسي الخطابي الإدريسي المهجري وقد ولد الشيخ السنوسي في سنة (1202هـ) (1788م) بالقرب من مستغانم في دوار طرش الموجود بين قرية

1– عبد الله عبد الرزاق، **الطرق الصوفية في القارة الإفريقية** ، دار الثقافة، القاهرة ، ط1 ،2004، ص. ص 119. 120.

سيرات وجبل ينارو- أي دائرة يلل الحالية**1**. وتوفى عام(1276)هـ (1859م) بليبيا وقد نشأ في أسرة علم ودين وتنقل في أسفاره بين بلدان المغرب والمشرق وتعرف على أوضاع العالم الإسلامي، ودرس العوامل المؤثرة في انحطاط المسلمين، وكان للسنوسي اهتمام بعلوم كثيرة إلى جانب الاشتغال بالتصوف كالفقه والتفسير والحديث والأنساب والتراجم والسياسة وعلم الفلك والمناظرة وله كذلك كتب ورسائل، غادر محمد بن علي السنوسي الجزائر إلى فاس عام (1237هـ) (1821م) وتتلمذ في فاس على مشايخ القرويين وغيرهم وفي عام (1829م) غادر البلاد متجها إلى الحج، وكان يتوقف في الطريق وقد انتصب للتدريس في بعض البلدان مثل الأغواط، حيث درس الفقه والنحو ونزل عين ماضي وأخذ ذكر التيجانية ودخل الجلفة والسحاري ومسعد وبوسعادة حيث كانت الحملة الفرنسية تنزل بالجزائر، وواصل الطريق، فمر بتماسين حيث الزاوية التيجانية ومر بوادي سوف ومنه دخل إلى جريد تونس ثم طرابلس وبرقة، ثم نزل بمصر وقرأ بالأزهر وأخذ الإجازات العلمية وأذكار الطرق الصوفية، وقبل الذهاب إلى مكة، كان الشيخ السنوسي قد أخذ مجموعة من الطرق الصوفية في المغرب الأقصى والجزائر منها القادرية، الشاذلية والتجانية، وأسس الشيخ السنوسي زاوية على مشارف مكة وأخذ ينشر طريقته الجديدة التي ترجع إلى الخضرية- القادرية، وكان قوي الشخصية غزير العلم مستقلا في رأيه مبتعدا عن الحكام والسياسة**2**. ويتضح أن الحركة السنوسية نجحت في إصلاح المجتمع البدوي، حيث تكون في الصحراء مجتمع متعاون متكافل تسوده روح الأخوة والسلام كما نجحت في إقامة سلطة تمسك بزمام جميع الأمور وتشرف على الفرد والجماعة وتعمل على تحقيق أهداف الحركة، ولم تفرض هذه السلطة نفسها بالقوة على الأفراد وإنما تبعوها راضين من أنفسهم بها، كما تميزت بأنها حركة سليمة شعارها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنها حركة جددت في المفاهيم الإسلامية وفتحت باب الاجتهاد وخلصت الصوفية من الشوائب التي علقت بها، وعملت على نشر الكتاب والسنة بين المسلمين**3**.

ي. الطريقة التيجانية: تنسب إلى الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ محمد بن المختار بن سالم التجاني (1737-1815م)**4** يرتفع نسبة إلى محمد النفس الزكية، أمه عائشة بنت عبد الله بن السنوسي الماضوي نسبة إلى قرية عين ماضي وهي تبعد 70كلم بالجنوب الشرقي من بلدة الأغواط جنوب الجزائر، والتجاني نسبة إلى قبيلة (التواجنة) بني توجين عشيرة أخواله وبهذه النسبة اشتهر اسمه أحمد التجاني، نشأ نشأة علمية دينية فحفظ القرآن

1- عمار هلال، **المرجع السابق**، ص 127.

2- عبد العزيز شهي، **الزاويا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار غرب، وهران، 2007، ص ص 134-135.

3 - عبد الرحمن عمر الماحي، **الدعوة الإسلامية في إفريقيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1992، ص 233.

4 - علالي محمود، **الحركة الإصلاحية في الأغواط**، الصادر من طرف وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص68.

الكريم طفلا صغيرا وقرأه برواية نافع، ثم تعاطى الفنون والعلوم الإسلامية المتداولة يومئذ بين الناس من علوم القرآن واللغة والفقه، وفي سنة 1166هـ-1753م توفى أبواه أمه بالطاعون في يوم واحد فدفنا هناك بعين ماضي وبقي الشيخ تحت رعاية أخواله وانتقل من بلده راغبا في لقاء الرجال والاستزادة من العلم وسنه 21 سنة فجال في البلاد حتى بلغ المغرب الأقصى ونزل بفاس فسمع بها الحديث وحضر مجالس ودروس علمائها ثم توجه إلى جبل العلم لأخذ علم القراءات بالتجويد وهناك ولي عنايته إلى الناحية الصوفية، فاجتمع بمشائخ التصوف، هذا وإن للتجانية أتباع هذه الطريقة فضلا عظيما في نشر الإسلام ببلاد السودان والقطر السينيغالي وبلاد الغابون من أرض الكونغو وغينيا وفي أواسط بلاد الزنوج**1** ،وقد أورد rinn في الإحصاء الرسمي سنة 1882م أن عدد الزوايا التيجانية في الجزائر بلغ 17 زاوية و100مقدم و11082 مريد ،وإذا كانت التيجانية لم تنتشر في الجزائر فقد توسعت خارج حدود الجزائر وخاصة في السودان كما ذكرنا سالفا حيث استطاعت أن تلعب دورا كبيرا في نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين السود، ويشير rinn إلى ذلك بقوله "وفي عام(1830م) لاحظ حكام السنيغال الفرنسيون في تقاريرهم الرسمية ازداد انتشار الإسلام في إفريقيا الوسطى" **2**.انتهاء كلام rinn

5. أنواع الطرق الصوفية:

تعددت أنواع الطرق الصوفية إلا أننا نميز نوعين اثنين أساسين بارزين:

النوع الأول خلواتي: يدعي شيوخها وقادتها المعرفة بأسرار غيبية خاصة والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يلقبون "بالمريدين" أو الإخوان" أو "الفقراء" وهذا حسب اختلاف المناطق والجهات والأعراف فيفرضون عليهم أذكار خاصة ومعينة ليتلونها في خلوات خاصة معزولة حتى يفتح الله عليهم ثم يخرجونهم ليصحبوا مريدين حقيقيين وبعد ذلك يفرضون عليهم أذكارا أخرى " الورد" يتلونها يوميا بصورة جماعية غالبا بعد صلاة المغرب ويدخل في بادئ الأمر المريد إلى مكان صغير أو ضيق ومظلم نوعا ما، فيفرض عليه الشيخ اسما أو صفة من صفات الله تعالى يرددها باستمرار وبعينين مغمضتين فيخرج بذلك مريدا أو فقيرا أو قندوزا قاطعا العهد لشيخه على ألا يتراجع وأن يستمر على ولائه له وللطريقة والدعاية لها،وعندما تكون الزاوية ميسورة الحال ماديا تقوم أحيانا بتعليم العلوم الدينية وتحفيظ القرآن الكريم، وقد يقوم شيخ الزاوية بهذه المهمة بنفسه، ولزاما على كل مريد أن يتقيد بأوامر شيخ الطريقة وأن يمد يده ويضعها على يدي الشيخ، ويكون هذا بمثابة عهد يقطعه المريد على نفسه بأن يكن الاحترام الكامل والخضوع التام للشيخ والطريقة وأن لا يتقطع عن زيارة الزاوية والشيخ، كما يصبح

---

1 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، سنة 1995، ص 52.

2 - Loui rinn , marabout et khouan, adolphe jourdan, libraire - éditeur, 1884, p290 .p291.

بذلك للمريد شعورا جديدا يتمثل في ارتباطه الذهني والنفسي بالشيخ، ويبقى هذا الأخير أحب إليه من نفسه وأهله، ويجتمع شيخ الطريقة مع جميع مريديه بمقر الزاوية بمناسبات دينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف لأمر تلقاه الشيخ في رؤية منام، وتسمى هذه اللقاءات بالجمع حيث تقدم فيه أنواع من المأكولات ويكون طبق الكسكسي هو المفضل لدى الجميع وبعد الانتهاء من الأكل يقوم المريدون بمعية شيخهم إلى "الحضرة" والحضرة في اعتقادهم نوع من العبادة يتحضرون فيها ويغيبون عن وعيهم ويرون ما يرون، وفي الحضرة يقومون بتكوين حلقة يؤدون حركات برؤوسهم وأجسادهم مرددين...الله حي وممسكين بأيدي بعضهم البعض ويستمرون على هذا الحال إلى أن يغمي عليهم، بعدها يقوم أحد المريدين برشهم بالعطر ليستفيقوا، وقبل مغادرة الزاوية يقوم المريدون بجمع الهدايا النقدية أو العينية وتقديمها للشيخ.

النوع الثاني: غير خلواتي: في هذا النوع لا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية ولكن يتخذون لأتباعهم وردا معينا خاصا من الأذكار يتلونها بعد صلاة ويقومون بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية أما بأنفسهم أو بواسطة بعض المثقفين من أنصارهم وأتباعهم ويمكن اعتبار هذه الطرق غير الخلواتية بمثابة كتاتيب قرآنية ولها دور مهم في نشر الثقافة بالجزائر، إلا أن هذا النوع قليل جدا، ويكاد يندثر لانصراف الناس إلى المدارس والجامعات والمعاهد، وغالبا ما يكون لشيوخ الطرق الصوفية ثقافة محدودة جدا لكن نفوذهم وتأثيرهم كبير جدا على أتباعهم ومريديهم فيها يفرضونه عليهم من الأذكار والأوراد والتسابيح، واستفاد هؤلاء الشيوخ من بعض المثقفين الذين انضموا إلى صفوفهم في كتابة وتأليف كتب دينية في الزهد والتصوف وبعض أبواب الفقه بأسمائهم وعلى ألسنتهم**1**.

المبحث الثالث:ظهور الزوايا

1.تعريف الزوايا:

عن لفظ الزاوية كما يعرفها ابن منظور في كتابه لسان العرب مأخوذة من الفعل "زوى" وقولنا زويت الشيء أي جمعته وقبضته و الزاوية حقا تجمع الناس وتقبض على مشاكلهم وتعيد إليهم روح المحبة و المصالحة كما أنها تبث فيهم روح الانتماء إلى الوطن و أداء واجباتهم الدينية في الزاوية ومسجدها، فكأن الزاوية في هذا الصدد تزوي أي تجمع ما تفرق وتعطي وتوضح وتيسر ما لم يستطيعوا أن يقفوا عليه، وذلك معنى الحديث الذي أورده صاحب اللسان "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها" بمعنى زويت لي الأرض أي جمعت، وفي دعاء السفر "إزو لنا البعيد أي اجمعه واطويه " فالزاوية وحدة الزوايا أي التي تجمع وتحيط بكل شيء وعن أبي عمر كان

---

[1]– يحي بوعزيز، **أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و20** ، مجلة الثقافة العدد 63 ،1981، ص.ص 10.17.

له أرض زوتها أي أرض أخرى أحاطت بها، ولعل من اجتهد لحفظ القرآن يأخذ ركنا بعيدا في المسجد أو البيت عن الضوضاء فيقال المنزوي للتلاوة و الحفظ أو العبادة فنحن نجد فيها جميع الأشياء التالية أو الكثير منها: غرفة للصلاة بها محراب ضريحا لأحد المرابطين أو لولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، ويلحق بالزاوية عادة غرفة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها[1]، ويقول دوماس أن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة [2]، والزاوية عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام وبناءها يختلف عن بناء المسجد والمنازل قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرصات قليلة النوافذ، وإذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة بالإضافة إلى ذلك كثيرة الرطوبة والعتمة وشكلها يوحي بالعزلة والتقشف والهدوء، أما الزوايا المعدة لسكن الطلبة فكانت واسعة وصحية، والشجرة التي تتم تحتها نفس الممارسات والأعمال تسمى زاوية، بكلمة واحدة وباختصار كل أماكن اجتماعات أتباع الزاوية و أين يمارس المسلمين صلاتهم وكل عباداتهم تسمى زوايا[3].

2 . نشأة الزوايا وتطورها

فكرة الزاوية أثيرت في نفوس المسلمين لأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد بدأ حياته منزويا للعبادة في غار حراء وهو كهف في زاوية من جبل مكة وهنا يؤدي العبادات التأملية و الزهدية يميل إلى الخلوة و البعد عن الضوضاء وهرج المدينة وصخب الشوارع ، وإن كان ذكر الله تعالى يعم كل مكان ويملأ كل موضع لكن التأمل و العبادة لهما الأثر فتنقطع نحو الأماكن الخالية أو العالية أو البعيدة أو النائية**4** ، لقد ترك خلفاء المسلمين حاجة المعتكفين للانزواء فانشئوا لهم مساكن ملحقة بالمسجد ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبيتة صغيرة منفصلة في جهات من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين وما يتصل به من العلوم النقلية و العقلية كما يعقد فيها مشاريع الطرق الصوفية حلقات الذكر**5** ، والزاوية ليست ظاهرة حديثة العهد فيرجع تاريخ نشأتها إلى القرنين الرابع و الخامس وقد شيدت رابعة العدوية زاوية في القرن التاسع ميلادي في المشرق العربي وانتشرت في المغرب العربي في نهاية القرون الوسطى ومطلع العصر الحديث مع انتشار الزهد و التصوف وخاصة في القرن 17م ولانتشارها

---

[1]- قدور إبراهيم عمار، **زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها ونشأتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط11،1997، ص 125 .

[2]– أبو القاسم سعد الله ، **المرجع السابق** ، ص ص61 69.

[3]- محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، المطبعة الوطنية، الرباط ، المغرب، 1964، ص ص123 124.

[4]- قدور إبراهيم عمار، **زاوية سيدي محمد بن عمر تاريخها ونشأتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط1997،11، ص 16.

[5]- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** ، دار الأندلس، بيروت،ج4، ط1 ،1967، ص 423 .

أسباب متعددة منها ما يرجع للمعتقدات القديمة وموجة انتشار التصوف التي عمت بلاد المغرب، و إقبال الناس على المرابطين وظهور السلالات الشريفة التي هربت من المشرق وفرار المسلمين من الأندلس خوفا من التنكيل بهم من طرف المسيحيين و أصبحت مركزا انطلاق عدة ثورات ولعبت دورا كبيرا في المقاومة ضد الاستعمار في القرنين 19م و 20م. 1 ، الأصل في الزوايا هو "الرباطات " وهي الثغور التي يرابط فيها المسلمون بحراسة حدود الدولة الإسلامية من ناحية ومن ناحية أخرى من أجل نشر الإسلام في مختلف بقاع العالم، وقد نشأت الرباطات التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم "الزوايا " في بلاد المغرب الإسلامي منذ العهود الأولى للإسلام، والزاوية من المؤسسات التي خصت بالدراسة كظاهرة تربوية ثقافية أو كظاهرة اجتماعية، مؤسسة الزاوية والتي كانت أهم محضن تعليمي في الجزائر وفي المغرب العربي ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا، بينما قسمها اصطلاحا إلى ثلاثة أنواع زوايا تلقي فيها الدروس وزوايا ملاجئ للطلبة والعلماء المغتربين والفقراء وأبناء السبيل، وزوايا مزارات لضريح عالم أو رجل صالح2 ،كما ذهب محمد بن مرزوق التلمساني إلى حد اعتبارها مؤسسات اجتماعية محضة حيث يقول في بيان حد الزوايا "والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين"[3] والمقصود بذلك هي الزوايا من النوع الثاني حسب التقسيم السابق،وفي القرن الثامن للهجرة (14 ميلادي) انتشرت الزوايا بالمغرب وأنشئت بها كتاتيب لتحفيظ القرآن وتعلم الدين ومبادئ العلوم، الأمر الذي حذا بملوك بني مرة أن يطوروا هذه الكتاتيب إلى مدارس وكليات ليسهموا في الحركة العلمية بجانب جامعة القرويين بفاس وغيرها من مدارس الزوايا داخل المدن وخارجها ، تطورت الزوايا بالمغرب في القرن التاسع الهجري (15 ميلادي) حين اشتدت وطأة النصارى على المسلمين في الأندلس وامتدت أطماعهم إلى احتلال السواحل المغربية وضعفت الدولة عن الدفاع عن البلاد، أخذت الزوايا تدعوا إلى الجهاد ومقاومة الأجنبي، وبلغت أوج ازدهارها في القرن العاشر الهجري (16 ميلادي) حين وقعت جنبا إلى جنب في الجهاد مع أسرة الشرفاء السعديين ضد المسيحيين المحتلين وطردهم من الثغور المغربية، أما في القرن الحادي عشر للهجرة (17 ميلادي) أصبح عددها يقرب عدد المساجد أو يفوقها واختلط فيها أمر الصالحين بمدعي الصلاح من ذوي الأغراض الفاسدة و المشعوذين[4]، ومن الناحية الوظيفية تبين أن من الزوايا ما أنشئ للتربية الروحية و للعبادة الصوفية كزوايا الصوفيين

---

[1]- محمد بن هلال، **الملتقى الوطني الثاني للقادرية حول حقيقة التصوف**، من 26 إلى 29 مارس ورقلة 2002 ، الأمل للطباعة، ورقلة،2005 ، ص 36 .

[2]– رابح تركي، **التعليم القومي والشخصية الوطنية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص ص 244 247 .

[3]- محمد بن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر محاسن مولانا أبي الحسن**، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1981، ص413.

[4] - حسن إبراهيم حسن، **المرجع السابق**، ص 424.

الذين ينقطعون فيها للعبادة و التصوف وحدهم أو مع مريدهم، ومنها ما أنشئ بهدف تعليمي كزوايا العلماء التي كانت ترتب فيها دروس الفقه وغيرها، وكانت متسعا لمناقشات حرة بين العلماء غير متقيدين بعلم معين و ساعدهم على ذلك أن بعض الزوايا كانت كبيرة يؤمها الطلاب وكثيرا ما كان العلماء و الفقهاء يتخذون من بعض الزوايا مكانا لاجتماعاتهم ومناقشاتهم العلمية وذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى مكانة شيخ الزاوية بين العلماء و الفقهاء وقدراته على إفادة الوافدين إليه منهم، ومن أبرز ميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني (الزوايا وغيرها) المخصصة لها ففي المدن و الأرياف و في الجبال الشاهقة و الصحاري القاحلة، عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم و يلقون أتباعهم الأذكار و الأدوار، مبتعدين عن صخب الدنيا مؤثرين العزلة في العبادة وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين و العامة مبادئ الدين أيضا فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار و الغرباء و الأتباع ويعلم فيه الطلبة، ويتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويثرى ويتضاعف قاصدوه ويصبح المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان أو رباط سيدي فلان، فإذا مات سيدي فلان يدفن في الزاوية أو الرباط ويصير الضريح علامته على الزاوية[1]، وهذه علامة على الضريح ويرث الأبناء و الأحفاد مكانة وعمل سيدي فلان وتزداد قداسة الزاوية أو الرباط بين أهل الناحية وتنتشر سمعتها و نفوذها إلى نواح أخرى بعيدا وهكذا كبيرة أو صغيرة محروسة بولٍي من الأولياء فهو الذي يحميها من العين ومن الغارات و النكبات و طمع الطامعين وامتلأت رحلة الورتلاني بعدد كبير من هؤلاء المتصوفة مع ذكر زواياهم ومقاماتهم وكراماتهم و الأساطير المنسوجة حولهم، ففي البداية كانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من اجل الدين وحماية البلاد، وبعد انقضاء الخطر الداهم عاد المرابطون إلى قواعدهم وكانوا على صلة بالشعب أكثر من صلتهم بالسلطة العثمانية [2].

3.انتشار الزوايا ومراكزها الكبرى عبر الجزائر

إن من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر، انتشار الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لهذه الطرق والمذاهب الصوفية حيث في المدن والأرياف، والجبال والصحاري، عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا، مؤثرين العزلة والعبادة وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين والعامة مبادئ الدين أيضا وفي هذه الفترة ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله قائمة طويلة للزوايا أغلبها هي: في

---

[1] - إ سماعيل سعيد القاضي ، **أصول التربية الإسلامية** ، علم الكتاب ، القاهرة، ط1 ، 2002،ص 160.

[2] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سبق ذكره، ص ص261 262 .

مدينة الجزائر كانت زاوية عبد الرحمان الثعالبي، وزاوية ولي دادة، وزاوية عبد القادر الجيلالي، وزاوية سيدي محمد الشريف وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري، وزاوية سيدي الجودي وزاوية سيدي جمعة... وهذه كلها في مدينة الجزائر، وتعتبر منطقة القبائل وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا وأهمها في ميدان التعليم ونشر الوعي الديني بين السكان فقد كانت زاوية تيزي راشد "تسمى أيضا زاوية ابن أعراب" ذائعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة وكانت زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية أيضا قد أخرجت أجيالا من المعلمين واشتهرت بنشر التعليم وزاوية الأزهري بآيت إسماعيل، وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية بني بومسعود وزاوية بني مقران وزاويتا الشليحي معمرة واقعتان عند أولاد عبد النور، وفي مدينة وهران اشتهرت زاوية محمد الهواري وزاوية إبراهيم التازي وزاوية عبد القادر بن الشريف "الدرقاوية" وفي جنوب الجزائر لعبت الزوايا دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام واللغة العربية ليس في الجزائر فقط بل في الأقطار المجاورة للجزائر كذلك جنوب الصحراء الكبرى وكونت العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم، ففي الجنوب الشرقي توجد الزاوية الناصرية والزاوية الرحمانية بخنقة سيدي ناجي وزاوية سيدي علي بن عمر بطولقة، وزاوية عبد الرحمان الأخضري بنطيوس، والزاوية المختارية بأولاد جلال وزاوية سيدي خالد، وزاوية سيدي سالم بوادي سوف، والزاوية التيجانية بعين ماضي وتماسيبن، وزاوية أولاد عمر موسى بمتليلي وزاويتا سيدي الحاج يحي وسيدي الحاج بحوص بالمنيعة، لكنه توقف عدد كبير من الزوايا عن أداء الرسالة التربوية والاجتماعية، منذ نهاية القرن التاسع عشر وذلك بسبب استيلاء الاحتلال الفرنسي على الأوقاف الإسلامية التي كانت تعتمد عليها الزوايا وتعتبر مصدر عيش لها ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، حيث كان الناس يميلون بأوقافهم وأفعالهم الخيرية إلى الزاوية، فكانت الزاوية في المدينة غنية بأموالها، أما الزاوية في الريف فكانت لها أرض موقوفة يستعمل إنتاجها في تغطية أجور المدرسين ومعيشة الطلاب والزوار وعابري السبيل، وكذلك الفقراء، كما كان لها عادة سكان الناحية يقدمون جزءا من إنتاجهم الفلاحي سنويا للزاوية لذلك بقية الزوايا التي استمرت في أداء رسالتها فيما بعد سنوات (1900/1954) هي تلك التي بقيت لها مصادر وأملاك خاصة استطاعت بواسطتها أن تعيش، وتواصل عملها في تعليم القرآن وعلوم الدين ونشر اللغة العربية[1].

4. أنواع الزوايا في الجزائر:

توجد ثلاث أنواع زوايا قرآن في الجزائر تختلف في الشكل وتتفق في الهدف والمضمون وهي: زوايا المشايخ زوايا المرابطين، زوايا الطلبة.

[1]– عبد العزيز شهبي، **الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب، وهران، 2007، ص ص18 21.

ب.النوع الأول: زويا المشايخ وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب الطريقة ويعرف عندنا بشيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون ويسمون "الإخوان" والزاوية تقوم على اكتشاف هؤلاء المريدين والمحسنين وهم الذين يمولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات من الشعب ويقدمونها للشيخ، والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته وهو صاحب الحل والعقد، فلا حق لأي إنسان أن يتدخل في شؤون الزاوية من قريب أو بعيد، فالأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة يتصرف فيها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه، وهو الذي ينفق على الزاوية ويوفر للطلبة كل حاجتهم اللازمة كما يدفع أجرة الشيخ أي "المعلم" و صاحب الزاوية هو الذي يعين المعلم أو يعزله حين يشاء وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة، وإذا مات الشيخ استخلف أحد أفراد عائلته أخاه أو ابنه إما عن طريق الوصايا أو تختاره العائلة وذلك حسب تقاليد الأسرة والشيخ هو الذي يضع لها القوانين التي يراها صالحة للتسيير ويختار بعض الطلبة الذين يرى فيهم القدرة والاستقامة يكلفهم بالمراقبة وتسيير الطلبة، لزوايا القرآن نظام داخلي كنظام الثانويان، فالطالب يتعلم ويسكن مجانا والزاوية هي التي تتكفل بجميع نفقاته ماعدا لباسه فزوايا التعليم في الجزائر كانت حصون القرآن ومعاقل الإسلام ومناهل اللغة العربية طيلة الاحتلال الفرنسي فزوايا المشايخ كالزاوية القاسمية "الهامل" ببوسعادة، وزاوية الشيخ الحملاوي بقسنطينة، وزاوية ابن سحنون في اغزار أمقران ولاية بجاية، وزاوية الشيخ أبو القاسم البوجليلي، وزاوية الشيخ ألحمامي بالأخضرية ولاية البويرة...

النوع الثاني: زوايا المرابطين وهي تختلف عن زوايا المشايخ في بعض الجوانب التنظيمية، فزاوية الشيخ ملكية خاصة كما تقدم، يتصرف فيها صاحبها كما يشاء وبعضهم يعيش هو وعائلته من موارد الزاوية، أما زاوية المرابطين فهي ملكية جماعية فمواردها محبسة على طلبة العلم، فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية، كما أن زاوية المرابطين ليس لها طريقة صوفية ولا مريدون كما في زوايا المشايخ، ويمكن أن نقارن نظام زوايا المرابطين بنظام لجان المساجد المعمول بها حاليا في الجزائر ولا سيما بعد الاستقلال[1]، فهذه الزوايا أسست من أول يومها للتعليم فيقصدها أبناء المسلمون لحفظ القرآن وتجويده وحفظ الأحاديث النبوية وتعليم اللغة العربية كالنحو والصرف والفقه والتوحيد فهذه الزوايا تسير جماعيا ونظامها يشبه البرلمان العصري إذ نجد كل عائلات المرابطين منتمين إلى المؤسس الأول للزاوية لهم الحق في إبداء الرأي والتسيير والمعارضة إن رأت شيئا لا يعجبها ولا يرضيها، وموارد الزاوية من النذور والهبات إذا كانت نقودا دفعت للوكيل أما إذا كانت حبوبا أو زيتا أو حيوانات فتذهب إلى الطلبة مباشرة فالزاوية مفتوحة أمام كل الناس وتقبل جميع الراغبين في التعليم وليس هناك حواجز السن أو حواجز

[1] – محمد نسيب، **المرجع السابق**، ص ص103 106.

المستوى، ونجد من بين هذه الزوايا زاوية سيدي بهلول بقرية الشرفاء (بهلول نسبة إلى سيدي بهلول صاحب الزاوية والتي تبعد عن مدينة عزازقة مقر الدائرة بنحو أربعة كلم بولاية تيزي وزو، وزاوية سيدي محمد وعلي الحاج بتيفريت ناث الحاج دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو... ولكل زاوية من هذه الزوايا نظام وقانون داخلي، وهذا القانون غير مكتوب ولا يسجل بل يعرفه الطلبة عن طريق السماع والممارسة اليومية حتى صار محفوظا ومعروفا لدى جميع الطلبة، ويعتبر هذا القانون مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف السائدة في الزوايا.

النوع الثالث: زوايا الطلبة هذا النوع فريد ووحيدة في القطر الجزائري وهي زاوية عبد الرحمان اليلولي، وهي تختلف عن زوايا المشايخ وزوايا المرابطين فطلبتها يتمتعون بالاستقلال في تسيير المؤسسة فلا يتدخل أحد في شؤونهم وشؤون مؤسستهم، فالطلبة وحدهم هم المسؤولون عن الزاوية وتدبير شؤونها، داخليا وخارجيا، أدبيا واقتصاديا فالزاوية بعيدة عن الضغوط والتدخلات، فهي تسير من طلبتها المنتمين إليها ولهم وحدهم السلطة الكاملة في تسيير الزاوية فلا تخضع لشيخ أو مرابط بل وحتى الشيخ الذي يعلم فيها، فالشيء الوحيد الذي يخضع له الجميع ويتمثلون له ولا يخالفونه أبدا إنما هو القانون "قانون الزاوية" أو ما يمكن أن يطلق عليه اللائحة الداخلية للزاوية[1].

5.وظائف الزوايا:

كان على الزوايا عند ظهورها القيام بوظيفة هامة ألا وهي نشر الإسلام وترسيخ قيمه والتثقيف الديني لتعدد وظائفها فيما بعد ليصبح لها وظيفة مهمة هي الإصلاح الاجتماعي لتكون محلا لحل المشاكل الاجتماعية من فك النزاعات وخلافات الأفراد وكذا استقبال الفقراء والغرباء وأصبحت مأوى لهم، لتظل مفتوحة طيلة السنة وكذا مساعدة المحتاجين والطلبة، ولم تنحصر وظيفتها في الجانب الاجتماعي والديني فقط بل توسعت إلى الوظيفة الاقتصادية والتي تمثلت في تمويل المحتاجين والفقراء والطلبة ماليا بمنحهم الملابس والمواد الغذائية، وسنتعرض لأهم وظائف الزوايا فيما يلي:

5. 1. الوظائف الاجتماعية:

أ) وظيفة الإصلاح بين الناس: لم تقتصر الزوايا على التربية الروحية في إعطاء الأوراد وحفظ القرآن الكريم وإنشاء الكتاتيب، بل تعدت وظيفتها إلى الوظائف الاجتماعية، تهدف من خلالها إلى بناء المجتمع الإسلامي المتماسك يسوده الاتحاد والتعاون ونبذ التفرقة والتباعد بل كانت الزوايا تسهر على إقامة العدالة الاجتماعية بين كل فئات المجتمع ومن وظائفها الاجتماعية الصلح بين الناس وفك النزاع بينهم، فلو أخذنا على سبيل المثال النزاع الخاص بأمور الميراث فكثير من الأفراد لديهم نزاع من هذا النوع يلجئون إلى الخليفة أو مقدم الزاوية يطرحون عليه المشكلة

[1]– محمد نسيب، **المرجع السابق**، ص ص 101 102 .

ويعمل المقدم جاهدا لفك هذا النزاع بالتفكير في إيجاد الحلول في حدود الشرع والقانون، وذلك استنادا على الكتاب والسنة[1].

ب) المساعدات المالية: تتمثل هذه المساعدات في مساعدة المحتاجين خاصة في الأوقات الصعبة بالإنفاق عليهم من حبوب القمح والتمر والزيتون والأغنام وغير ذلك من الأفرشة والألبسة، هذا ما كانت تقدمه الزوايا في الماضي أما في الوقت الحالي تقدم مساعدات رمزية من تبرعات الوافدين لها ويعود سبب نقص مساعداتها إلى اختلال ميزانيتها وإلى نقص الدخل الفردي للأفراد والمعروف عن الزوايا أنها أماكن للعبادة وإيواء الغرباء والضيوف وكذا المساكين وإطعام النزلاء ، ومساعدة الشباب خاصة المقبلين على الزواج بتقديم المساعدات المادية وإقامة الزواج الجماعي أيضا عند ختان الأولاد نجد الزوايا تساعد الطبقة المحرومة والتي لديها أطفال في سن الختان وهذا بإقامة حفل جماعي وتقديم مبالغ مالية رمزية وتقديم الهدايا للأطفال حتى في حالة حدوث نكبة طبيعية، تعمل الزوايا على تقديم المساعدات للمنكوبين، وتساهم بما تملك على إعادة بناء وترميم ما اتلف وتقدم للعائلات المنكوبة المواد الغذائية والألبسة والأفرشة وتجمع التبرعات من المريدين القادرين ماديا لفائدة المنكوبين.

ج) استقبال الزوار الوافدين للزوايا: تعمل الزوايا على استقبال الضيوف والزوار من كل منطقة ففي كل مرة مقدم الزاوية في استقبالهم وإن كان عددهم قليلا وتحضر لهم أماكن لإقامتهم وتوفر لهم الأمن بالإضافة إلى حسن الضيافة في الماضي كان الضيوف يذهبون إلى الزوايا لقضاء أيام الزيارة، لكن مع التغير الاجتماعي الذي طرأ على المجتمع الجزائري أصبح استقبال الضيوف في بيوت أحفاد مؤسس الطرق الصوفية، فالزائر أو الضيف القاصد للزاوية يبدأ بزيارة الزاوية إذا كانت مدة الزيارة يوم واحد، أما إذا كانت مدة الزيارة عدة أيام فيقضي الزائر هذه المدة عند أحد أحفاد مؤسس الطريقة أو يقيم عند الخليفة العام ببيته.

د) إقامة الصدقات السنوية: إن إقامة الصدقات بالزوايا هي مهمة الزوار والأتباع والأحباب والمريدين حيث يقيمون حفلات وصدقات أو ما يعرف "بالوعدة" في المجتمع الجزائري بطرق مختلفة ويرجع ذلك إلى اختلاف مستوياتهم التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، فهناك فئة من الزوار يقيمون احتفال ديني داخل الزاوية بتلاوة القرآن الكريم والذكر والمدائح، وهناك من يحتفل بالزاوية بإقامة الذبائح على حسب القدرة الشرائية، كذلك تحضير مختلف الأكلات الشعبية وتقديم حفلات غنائية يقتصر على القصائد الخاصة بمؤسس الطريقة، وقد يستغرق مدة الاحتفال من يوم إلى غاية أسبوع كامل، وتعتبر الصدقات السنوية مناسبة للزيارة وفرصة لالتقاء الزوار ببعضهم

[1]– زيزاح سعيدة وبوخدوني صبيحة، **المرجع السابق**، ص ص63 65.

البعض وتبادل الآراء لتتكون بذلك علاقات اجتماعية ومناسبة لتذكر الفقراء والطالبين للنصح وللإرشاد والمعرفة الدينية[1].

هـ) لجوء المصابين للزوايا: ما نلحظه أن الأفراد المصابين بمس من الجن يلجئون مباشرة إلى الزوايا، فمعظمهم يذهبون إلى الزوايا ليتلى عليهم آيات من القرآن الكريم علهم يجدون الشفاء هناك، ونجد أفراد آخرين يلجئون إلى الزوايا، ويمكثون بها الأيام الطويلة، وحسب رأيهم أنه بمجرد التردد على هذا النوع من الأماكن المقدسة، يخفف عليهم الضرر ويتماثلون للشفاء من حالة "المس" بمجرد الاتصال بمقدم الزاوية، وفي هذه النقطة بالذات يظهر فيها اختلاف وتضارب في الآراء.

5. 2. الوظائف التربوية:

طرق التدريس بالمدارس القرآنية: تقوم الزوايا بوظائف تربوية والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والذكر فهذه الوظيفة لم تزول، فالزوايا تعمل على إنشاء المدارس القرآنية أو الكتاتيب لتعليم الناس وخاصة فئة الأطفال، فالمدارس القرآنية هي أمكنة للتعليم وحفظ القرآن الكريم ويقول ابن خلدون في هذا الصدد :" وكان هؤلاء الصحابة والتابعون هم أول المعلمين في القيروان الذين نشروا القرآن الكريم والسنة ومبادئ اللغة العربية بين البربر، وبذلك تم إسلام البربر، وأصبحت لغتهم العربية وعلى هذه الحلقة تخرجت الفئة من علماء الدين في الدين في القيروان والمغرب كلها، أمثال أسد بن الفرات، ولم تكن حلقات العلم كثيرة في مساجد القيروان مما يشبع فهم طلاب العلم، فكانت الرحلة في طلب العلم"، وعليه فقد عملت الطرق الصوفية على بناء الزوايا من أجل تعليم الأفراد وتنويرهم فكان التدريس في السابق موجود بالزوايا، ولكن بعد فترة من الزمن انفصلت هذه المدارس القرآنية عن مكان الزوايا وهذه المدارس القرآنية عادة ما تكون عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للزاوية أو بعيدة عنها وقد تكون غرفة في المنزل وقد يبنى الكتاب خصيصا لتعليم القرآن الكريم، ومنها يتنقل التلاميذ إلى الزاوية والمساجد الكبرى للطرق الصوفية لإنهاء دراستهم، هذا كان في الماضي ولكن بعد ظهور التعليم النظامي وتواجد المدارس الكبرى الحكومية، والنظام المعمول به بالمدارس التابعة للزوايا أنه عند انتهاء الطفل من تعلم اللغة العربية وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ينتقل إلى المرحلة الابتدائية ليدخل إلى المدرسة النظامية ، لكن لا يمنعه من أن يكمل حفظ القرآن الكريم وكيفية الكتابة والقراءة وتعلم المبادئ الأخلاقية الإسلامية، وبهذا تكون المدارس القرآنية التابعة للزوايا قد أعطت صورة حية للثقافة العامة التي كانت منتشرة[2].

---

[1]– زيزاح سعيدة وبوخدوني صبيحة، **المرجع السابق**، ص66.

[2]– زيزاح سعيدة وبوخدوني صبيحة،**المرجع السابق**،ص ،ص 77،87.

5. 3 . الوظيفة الدينية:

كان للزوايا المؤسسة للتعليم الديني وتحفيظ القرآن دورا في حماية العقيدة الإسلامية من حملات المبشرين التشكيكية والتنصيرية، وفي الحفاظ على القرآن الكريم وبقاء قيمه نظيفة خالصة رغم المقاومة الاستعمارية، فالزوايا أسست لتعليم الدين ونشر الفضائل والقيم الإسلامية وتهيئة النشء للمعاهد الإسلامية العالية وبها عرف الناس قدر العلماء وأدركوا معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام "العلماء ورثة الأنبياء" ورثو عنهم وظيفة الدعوة إلى الله والهداية إلى صراطه المستقيم، وإذا كانوا ورثة الأنبياء فالواجب طاعتهم والاقتداء بهم[1].

إذ كان التعليم في الزوايا بسيطا متواضعا لا يتماشى مع روح العصر في أسلوبه ومنهاجه فإنه حافظ على روح الأمة وصان شخصيتها وحمى عقيدتها ورفع معنوياتها بذلك جعلها تعتصم بدينها[2]،كونها تحمل القرآن فهي رمز للقرآن الكريم والقرآن موجود بوجود الزوايا ومعرفة الدين الإسلامي لا تتم إلا بالقرآن الكريم ولا يشعر بأهمية هذا الرمز الإسلامي الوطني الذي هو الزوايا، إلا من فتح الله قلبه ونوره بنور الإيمان، أنه رمز القرآن[3] ، إذا الزوايا قامت بدور عظيم في ترسيخ العقيدة الإسلامية وتقوية الشخصية الوطنية والمحافظة على القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية، فوقفت في وجه الكفر والإلحاد والإدماج والفرنسة وكل العادات والأخلاق الأجنبية المخالفة لحياتنا الاجتماعية وقيمتنا الدينية، حتى يبقى المجتمع سليما معافى من كل ما يحمله الاستعمار من ثقافة سلوك وعادات رفضها الشعب الجزائري[4]، أما عن الزوايا التابعة للطرق الصوفية فلها طقوس خاصة يرددها أتباعها كالذكر فهم يستندون في ذلك على الآية الكريمة {يَأَيُهَا اَلْذِينَ آمَنُوا أُذْكُرُوا اَللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا }[5] ، فهم يذكرون الله أفرادا وجماعة والعدد يختلف من مرة إلى ألف، وهم يكثرون اسم الله وحده أو عبارة الشهادة "لا إله إلا الله" وعبارة الاستغفار "أستغفر الله " وقراءة الآيات من القرآن كسورة الإخلاص وكلما كان اللفظ أو الذكر قصير كثر ترديده، ولكل طريقة عبارة تركز عليها في ذكرها وهي التي تحدد عدد المرات وأوقات الذكر وعبارات الأدعية ثم لكل زاوية من الزوايا الصوفية لباسا خاصا وعمامة وهيئة وأعلاما وألوانا[6] ، بالإضافة إلى أن للزوايا وظيفة ثقافية تتمثل في المحافظة على الدين الإسلامي واللغة العربية والثقافة من الاندثار.

---

[1]– محمد الصالح الصديق، **كيف ننسى وهذه جرائمهم**، دار هومة، الجزائر، 2005، ص41.

[2]– نذير حمادو، **دور الزوايا في بناء الشخصية الروحية والوطنية**، رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، السنة الثامنة، العدد2، فيفري 2010، ص85.

[3]– عبد القادر الشطي، **حقيقة السلفية مذهب أهل الحق الصوفية**، دار هومة، الجلفة، 2002، ص329.

[4]– نذير حمادو، **المرجع السابق**، ص85.

[5] - سورة الأحزاب ،الآية40.

[6]– أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق** ، ص 24.

خلاصة

وفي ختام هذا الفصل فقد توصلنا إلى أن المنهج التربوي الصوفي قام ليحقق ما ترمي إليه الجماعة الصوفية من خلق جميل قوي ذي شخصية مؤثرة في العالم الإسلامي، كما اهتم المنهج بالفرد الصوفي اهتماما كبيرا فوضع له القواعد و النظم التي تعمل على تهذيبه خلقيا وروحيا ثم تكلمنا عن الطرق الصوفية والتي هي ظاهرة اجتماعية تمس المجتمع الجزائري حيث تعد جزء هام من التراث الجزائري، فقد حظيت بقدر لا بأس به من الدراسات والمناقشات العلمية ولها أثار اجتماعية ونفسية وثقافية، حيث تنتشر ظاهرة الطرقية على كامل التراب الوطني فمثلا ولاية الأغواط وحدها نجد بها أكثر من طريقة نذكر منها: التيجانية، الهبرية، والعزوزية والرحمانية، إلى أن وصلنا إلى الزوايا وهي من أهم بناءات المجتمع ومؤسساته وأهم أنساقه باعتبارها مؤسسة دينية وتربوية واجتماعية نشأة بهدف جهادي ديني روحي تعليمي والكثير منها تعتبر مرجعا ثقافيا وعلميا يقصده المئات بما تحتويه من كتب ومخطوطات نادرة وما تقدمه من ثقافة وعلم وتعاليم غرستها بواسطة منهجها المتبع وفي التعلم و المستمد من الطرق الصوفية والتي كانت السبب في الحفاظ على العقيدة واللسان العربي في بلد طالما كان عرضة للهجمات الصليبية عبر العصور وكان ختامها استعمار استيطانيا أبشع أنواع الاستعمار، والذي عمل طوال القرن وثلث القرن من الزمان على طمس الهوية، وتغييب اللسان العربي، ولكن الله تدارك هذه الأمة بخريجي زوايا العلم والجهاد، من أمثال الأمير عبد القادر والمقراني والشيخ حداد ... الخ، الذين حملوا لواء الجهاد،كما لا زالت الزاوية حاضرة بقوة في وسط الساحة العلمية وذلك بما تقدمه من برامج تعليمية مفيدة في نشر العلم وطمس معلم الجهل الهادم للحضارة، فساهمت في تنشئة الأجيال تنشئة إسلامية، يحملون في قلوبهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتساهم في تنشئة المجتمع الذي تظهر قوته بقوة أبنائه الذين هم العدة في ذلك فكان منهم الإمام الفقيه والأصولي والنحوي والمعلم وغير ذلك من المثقفين المشبعين بالمبادئ والقيم الرفيعة التي تربو عليها في الزاوية .

الفصل الثالث

التنشئة الاجتماعية الصوفية

تمهيد

المبحث الأول: التنشئة الاجتماعية

المبحث الثاني: التنشئة الدينية

المبحث الثالث: التربية الصوفية

خلاصة الفصل

تمهيد:

إن سلامة المجتمع وقوة بنيانه ومدى تقدمه وازدهاره وتماسكه مرتبط بسلامة الصحة النفسية والاجتماعية لأفراده فالفرد داخل المجتمع هو صانع المستقبل وهو المحور والمركز والهدف والغاية المنشودة، أما ما حول هذا الفرد من إنجازات وتخطيطات ليست أكثر من تقدير لمدى فعالية هذا الفرد، ولهذا فإن المجتمع هو الذي يضع نصب عينه قبل اهتماماته بالإنجازات والمشاريع المادية الفرد كأساس لازدهاره وتقدمه الاجتماعي، وحتى يكون هذا الفرد عضوا بارزا في تحقيق التقدم الاجتماعي لا بد من الاهتمام بتنشئته الاجتماعية، التي اهتمت بها الدراسات النفسية والاجتماعية اهتماما بالغا شكلا ومضمونا، وهذا لأهميتها في تشكيل شخصية الفرد الفعال فعالية إيجابية في المجتمع، فالتنشئة إذا من أدق العمليات وأخطرها شأنا في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات الشخصية، والتنشئة كعملية مستمرة لا تقتصر فقط على مرحلة عمرية محددة وإنما تمتد من الطفولة فالمراهقة، فالرشد وصولا إلى الشيخوخة ولهذا فهي عملية حساسة لا يمكن تجاوزها في أي مرحلة لأن لكل مرحلة تنشئة خاصة تختلف في مضمونها وجوهرها عن سابقتها، ولا يكاد يخلو نظام اجتماعي صغيرا كان أم كبيرا وأي مؤسسة رسمية أو غير رسمية من هذه العملية ولكنها تختلف من واحدة إلى أخرى بأسلوبها لا بهدفها ومن أبرز مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأسرة، التي تعتبر البيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد وتبنى فيها الشخصية الاجتماعية باعتبارها المجال الحيوي الأمثل للتنشئة الاجتماعية والقاعدة الأساسية في إشباع مختلف حاجات الفرد المادية منها والمعنوية بطريقة تساير فيها المعايير الاجتماعية والقيم الدينية والأخلاقية وذلك من خلال إتباع الوالدين مجموعة من الأساليب في إشباع حاجات الأبناء، فالأسرة عبارة عن نظام اجتماعي وضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي، ولقد أودع الله (عزّ وجل) في الإنسان هذه الضرورة بصفة فطرية ويتحقق ذلك بفضل اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما الرجل والمرأة، «وَ مِنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَجاً لِّتَسكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكم مَّوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِك لآيات لِّقَوْم يَتَفَكَّرُونَ » [1]، ومن ثمرات هذا الإتحاد أو الزواج خروج الأبناء،كما بين القرآن الكريم نظام الأسرة بالتفصيل في إنشاء الزواج، وبين متى يكون الطلاق، والعلاقة بين الزوجين، والعلاقة بين الآباء وبين الأبناء، والأبناء بعضهم مع بعض، وبين العلاقة بين الأقرباء جميعاً، ثم بين نظم الاقتصاد في الأسرة ولماذا السنة والبحث العلمي.

[1]- سورة الروم، الآية21.

وقد أوجب التشريع الإسلامي أن تسود الأسرة التربية الدينية الصحيحة التي تغرس في النفوس العقائد السليمة الراسخة وتربيتها الأبناء في جو من الأيمان الصحيح، وهو الدعوة إلى طاعة الله والامتثال إلى أوامره واجتناب نواهيه والتحلي بمكارم الأخلاق ومراقبة الله وحده وخشيته في السر والعلن ..الخ، وتشير الدراسات والكتب التاريخية إلى أهمية الأسرة في التنشئة الاجتماعية منذ العصور التاريخية القديمة، حتى كانت الأسرة في الماضي هي المؤسسة الرئيسية والأساسية في المجتمع، وتقوم بوظائف ومهام متنوعة ومتعددة كالمهام التربوية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك العسكري ولكن مع تطور الإنسان والتغير الاجتماعي والحضاري الذي حدث وتراكم المعارف والثقافات حتى أصبحت هناك مؤسسات اجتماعية أخرى في عصرنا الحاضر، ولكن يبقى دور الأسرة في غاية الأهمية، مما لا يدعو للشك في أهمية الأسرة لأنها هي البيئة الأولى للطفل، في هذا الفصل سنتطرق إلى التنشئة الاجتماعية ووكالاتها ثم التنشئة الدينية ثم بعد ذلك التربية الصوفية

المبحث الأول: التنشئة الاجتماعية

1. ماهية التنشئة الاجتماعية

يقول الأصفهاني في معنى التنشئة لغويا: "نشأ الشيء والنشأة إحداث الشيء وتربيته وقوله تعالى: " ولقد علمتم النشأة الأولى" [1] ويقال نشأ فلان والناشئ يراد به الشاب والإنشاء هو إيجاد الشيء وتربيته، ويرى روبرrober أنها العملية التي يصبح بها الفرد واعيا بالقيم والمعايير الاجتماعية ومكتسبا لحماية اجتماعية تؤهله إلى كيفية التفاعل مع الجماعة في مجتمعه، بينما يعرفها كاكون kagan بأنها العملية التي تغرس في الطفل قيما وأنواعا من السلوك المناسب أو الملائم لمجتمعه، ويرى حامد زهران أن التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي لخاصته الشخصية[2]، وتمثل الأسرة نواة المجتمع ووحدته الإنتاجية البيولوجية حيث تزوده بأعضاء جدد عن طريق الإنجاب فهي مؤسسة اجتماعية مميزة عن سائر المؤسسات الأخرى كوحدة إنتاجية ومميزة بكون العلاقات فيها قائمة أساسا على الروابط العاطفية، فهي مهمة جدا بحيث إن الأمومة والأبوة وعن طريق الممارسات الوالدية يزودان الطفل بالقيم والمفاهيم التي تجعل منه عضوا مهما في مجتمع ما، لقد أعطت مختلف النظريات أهمية كبيرة لدور الأم في تنشئة أطفالها فالأم هي التي تحمل الجنين في رحمها تسعة أشهر وهي من تقوم برضاعته ورعاية الطفل بعد ميلاده، وبذلك تكمن أهمية دور الأم في التنشئة الاجتماعية في مرحلة ما قبل الولادة ومرحلة ما بعد الولادة، أيضا للأب دور في تنشئة الطفل مما صار من المؤكد في مجالات الدراسات التربوية

---

[1]- سورة الواقعة، الآية62.

[2]- زكريا الشربيني، يسرية صادق، **تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص18.

والنفسية الخاصة بتنشئة الأطفال ومراعاة صحتهم النفسية أن علاقة الطفل بأمه وإمداده بالحنان والرعاية وإشباع حاجاته البيولوجية والسيكولوجية هي الأسس التي تهيئ له فرص الارتقاء والتكيف، لكن أساليب التنشئة الحديثة ترى أنه لا بد من مشاركة الأب في مثل هذه التربية، فهو بكل تأكيد يعتبر كيان الأسرة فهو الذي يمارس مهام ووظائف تعجز الأم عن القيام بها، فالأب يراه الطفل نظام دفاعي جاهز للعمل في أي لحظة، وهو واضع الحدود للأبناء[1].

2. خصائص التنشئة الاجتماعية:

هذا المصطلح استخدمه علماء الاجتماع لوصف العملية التي يتعلم الإنسان فيها التأقلم مع المعايير الاجتماعية عملية تجعل إمكانية دوافع استمرار المجتمع وتقل ثقافته من جيل إلى آخر، حيث تم تحديد مفهوم عملية التنشئة الاجتماعية بطريقتين هما :

أ.على أنها غرس المعايير الاجتماعية، إذ ثبات القواعد الاجتماعية منغرسة في الأفراد بوساطة الفرض الذاتي أكثر من كونها مفروضة من قبل وسائل خارجية.

ب .أنه عنصر جوهري في التفاعل بوساطة اكتساب القبول ومكانة مرموقة في أعين الآخرين في هذه الحالة الأفراد منشأين كمرشدين لأفعالهم الخاصة طبقا لتوقعات الآخرين**2**.

وبهذا يمكن استنتاج جملة من الخصائص التي تميز التنشئة الاجتماعية:

أولا: أنها عملية تعلم اجتماعي، أي أن الفرد يتعلم من خلالها العادات والتقاليد والقيم والأدوار والمعايير والثقافة بشكل عام من خلال عملية التفاعل الاجتماعي.

ثانيا: أنها عملية مستمرة أي تبدأ بولادة الإنسان ولا تنتهي إلا بموته ولكنها تبدأ سريعة ومن ثم تتناقص سرعتها لآن تقدم العمر يفقد الجسم مرونته أو قدرته على التكيف كما يفقد القدرات الأخرى العقلية والنفسية ولذا نقول إن عملية التنشئة تستمر طيلة حياة الفرد

ثالثا: عملية ديناميكية: أي تبدأ بأنها عملية حركية وفي تفاعل دائم ومتغير وهي بالتالي عملية أخذ وعطاء بحيث يصبح الفرد مكتسبا للثقافة التي يعيشها ومن ثم ينقل هذه الثقافة للآخرين.

رابعا: المؤسسات التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية متنوعة ومتعددة، فالأماكن التي تتم بها عملية التنشئة (المقصودة، غير المقصودة) فهناك الأسر الصغيرة، والعائلة والقبيلة، ودور العبادة والجامعة...الخ، وكلما زادت درجة التوافق بين هذه المؤسسات زادت سرعة التنشئة وثباتها والتمسك بها**3**.

---

[1]- وفيق صفوت مختار، **الأسرة وأساليب تربية الطفل**، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص103.

[2]- معن خليل العمر، **معجم علم الاجتماع المعاصر**، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى، 2000، ص 388.

[3]– إبراهيم ناصر، **علم الاجتماع التربوي**، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1999، ص ص 58 59 .

خامسا: أنها عملية مهمة بالنسبة للفرد والمجتمع حيث عن طريقها يكتسب الفرد ذاته الاجتماعية وينقل ثقافته من جيل إلى آخر وبها يبني شخصيته ويكتسب أيضا عملية التفاعل الاجتماعي داخل البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها**1**.

3 . أشكال التنشئة الاجتماعية:

تتخذ التنشئة الاجتماعية شكلين أساسيين هما:

الشكل الأول: تطبيع اجتماعي مقصود.

الشكل الثاني: تطبيع اجتماعي غير مقصود.

تتم عملية التنشئة الاجتماعية المقصودة في المؤسسات الرسمية مثل الأسرة والقبيلة والمدرسة ودور العبادة، إلا أنها أوضح ما تكون في المدرسة كمؤسسة تعليمية رسمية، حيث يتعلم الطفل ما تريده له هذه المؤسسات ويتطبع بالطابع الذي يرغب فيه المجتمع، أما التنشئة الاجتماعية غير المقصودة فتتم في المؤسسات السابقة باستثناء المدرسة، حيث تكون أوضح ما يكون في مؤسسات الإعلام المختلفة حكومية وشعبية أو حزبية أو طائفية، ففي هذه المؤسسات تتم عملية التنشئة الاجتماعية بصورة غير مباشرة، حيث يكتسب الأفراد عادات المجتمع وتقاليده وقيمه ومعاييره ومختلف أنماط السلوك التي ترغب الدولة في توصيلها . **2**

4. مؤسسات التنشئة الاجتماعية :

خلال حياته يمر الفرد عبر محطات تصنع حياته وتضبط سلوكه وهذا الضبط لا يتأتى إلا من خلال عملية التنشئة هذه الأخيرة التي تعتبر مهمة في حياة الفرد والمجتمع ولذلك أقيمت لها عدة مؤسسات لتسهل هذه العملية، ولذلك سنعرض بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية المهمة التي لها أثر كبير في تنشئة الأفراد والمساهمة في قيام المجتمعات وتماسكها.

1.4 – المدرسة: هي تلك المؤسسات التي أنشأها المجتمع لتتولى تربية النشء الطالع وعرفها أرنولد كالوس:"بأنها نسق منظم يتشكل من جملة العقائد وقيم وتقاليد وأنماط تفكير وسلوك تظهر في بنية المدرسة وفي الإيديولوجية الخاصة بها" ، وعموما فإن المدرسة هي تلك المؤسسة التي عمل المجتمع الإنساني على إيجادها لنقل ثقافته وقيمه من الأجيال الراشدة للأجيال الناشئة لتوسيع معارفه، وتتمثل بنية المدرسة في المعلم والتلاميذ و جماعة الإداريين والموظفين بهم ويمكن توضيح دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية من خلال وظائفها:

أ– نقل تراث الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة.

ب– الاحتفاظ بالتراث الثقافي وغربلته من الشوائب.

ج– تعريف الطفل بالعالم الخارجي وتعليمه الأدوار الاجتماعية.

---

[1]– زياني دريد فطيمة، **الأسرة والتنشئة الاجتماعية**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، العدد 13، ديسمبر 2005، ص 214.

[2]– عبد الله زاهي الرشدان، **التربية والتنشئة الاجتماعية**، دار وائل، عمان، الطبعة الأولى، 2005، ص ص 22 23.

د– تزويد التلاميذ بمعارف جديدة تسهل عليهم التصدي لعقبات الحياة.

4 .2 – أماكن العبادة: يعتبر الدين أو المعتقد أحد المؤثرات في حياة الإنسان وهو عبارة عن إشباع روحي وقد تعددت الديانات في الحياة البشرية منها السماوية كالدين الحنيف الإسلام، المسيحية، اليهودية وأخرى وضعية كالبوذية، والدين الإسلامي يمتاز بشعائر يجب على المنتمين إليه أداؤها، فقد أوجدت المعابد منذ العصور الأولى للتاريخ الإنساني وذلك أن دور العبادة منذ نشأتها تتعامل مع الناس روحيا وأخلاقيا كما ينمي لديهم القيم والمثل العليا التي ترتضيها ديانة معينة وتختلف أماكن العبادة في المجتمعات البشرية القديمة والمعاصرة، حيث نجد أن أماكن العبادة عند المسلمين تتمثل في المسجد وهو المعبد الإسلامي المعروف والمشهور على مر العصور والذي يعتبر منارا للعلم والمعرفة التي فيها يدرس الطلاب العلم والتفسير، الحديث، الفقه، الطب الفلك والهندسة...كما كانت مساجد الأندلس في العصر الذهبي للإسلام منابر حية للعلم والمعرفة في مختلف أنواعها وأشكالها.

ومن بين أهم أماكن العبادة نذكر ما يلي:

أ) المسجد: ظهر المسجد بظهور الإسلام، وقامت حلقات الدروس فيه منذ أن أنشأ واستمرت كذلك على مر السنين والقرون، وفي مختلف البلدان الإسلامية دون انقطاع**1** ، ولعل السبب في جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات الأولى كانت تهتم بتعليم الإسلام، وهذه تتصل بالمسجد اتصالا وثيقا، وقام المسجد عبر العصور بأدوار خطيرة، فاتُخذ مكانا للعبادة ومعهدا للتعليم، ودارا للقضاء وساحة تتجمع فيها الجيوش، ومنزلا لاستقبال السفراء المسلمين ومأوى للطلبة والضعاف أحيانا، ومن هنا يظهر بأن المسجد كان ذا أهمية كبرى في الإسلام يقوم بعدة مهام وكان أولا يختص بتعليم الكبار فقط، أما الصغار فإن فقهاء المذهب المالكي يرون أن تعليمهم في المسجد غير لائق، وهذا الإمام مالك سئل عن تعليم الصبيان في المسجد؟ فقال :" لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتنظفون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم**2**.

ب) الرباط: الرباط في الأصل اسم من رابط مرابطة إذا لازم ثغر العدو وقد أطلق لفظ الرباط على بعض الثكنات العسكرية التي تقام في الثغور يحرس المجاهدون فيها الحدود الإسلامية والإقامة في هذه الرباطات للدفاع عن الإسلام والمسلمين ضرب من العبادة العالية ونوع من الجهاد، وجل هذه الرباطات هي التي كانت بالشام وشمال إفريقيا، ثم مع مرور الزمن أصبحت الرباطات تطلق على البيوتات التي يأوي إليها المتقشفون والصوفية ابتعادا عن الضوضاء واعتكافا على العبادة، والمرابطون الذين يحرسون الثغور في هذه الرباطات كانوا يقومون بدراسة القرآن والحديث وغيرهما أيام السلم والهدنة، وكان العلماء يأتون هذه الرباطات وخاصة في شهر رمضان، للعبادة والتدريس ومن أعمال المرابطين في رباطاتهم أيضا استنساخ الكتب وتحبيسها على طلاب العلم.

ج) الكتّاب: الكتاب بضم الكاف وتشديد التاء: موضع تعليم الكتاب (أي الكتابة) والجمع الكتاتيب والمكاتب.

1– عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، **الكتاتيب القرآنية بندرومة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983، ص14.

2– صلاح الدين شروخ، **المرجع السابق**، ص87.

وقد يستعمل أحيانا ابن سحنون والقابسي كلمة "مكتب" عوضا عن لفظ كتاب، ويظهر أن كلمة كتاب جمع كاتب فأطلق المكان على من يعمل فيه، وهو من باب إطلاق المظروف على الظرف، والكتاب عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه أو غرفة في منزل، وقد يبنى الكتّاب خصيصا لتعليم القرآن يبنيه صاحبه احتسابا لله وطالبا لأجر الآخرة، كما قد يبنيه المعلم أو يكتريه على مالكه ليعلم فيه بأجرة يتقاضاها من أولياء التلاميذ، ولم يكن الكتاب منذ ظهوره حتى الآن مؤثثا بفاخر الفرش، وإنما أثاثه عبارة عن حصر مصنوعة من الحلفاء أو الدوم ومجموعة من الألواح الخشبية وأقلام من القصب وكمية من الصلصال والصمغ وجرار للماء وبعض الأواني البسيطة ومجموعة مصاحف وبعض الكتب الفقهية والصوفية والنحوية والسير وغيرها، والتعليم بالكتاب تعليم أولي ومنه ينتقل التلاميذ إلى الزوايا والمساجد الكبرى لإنهاء دراساتهم الثانوية.

د) الزاوية: الزاوية بيت أو مجموعة بيوت يبنيها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف وقراءة القرآن وذكر الله تعالى وقد كان الأصل فيها الرباط إلا أن بعض هذه الرباطات بعد مرور الزمن اتخذها أصحابها زوايا وصارت تقوم بمهام الزوايا من ذكر وتعليم وبعدت عن أصلها الذي هو حراسة الثغور وقد بنيت في الجزائر زوايا على شكل مساجد يؤمها الصوفية المتعبدون ويدير أمرها مشايخ الطرق، ويصلون بها ويدرسون القرآن ومختلف العلوم ويذكرون الله فيها أناء الليل وأطراف النهار ويرون الناس فيها تربية علمية روحية **1**، وأهم أعمال الزوايا التربية والتعليم إلى جانب بعض أعمال البر والإحسان وزيادة على أعمالها الثقافية فإنها كانت مركزا للغرباء والفقراء وملاجئ للمجاهدين والفدائيين أيام الثورة التحريرية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي، كانت تطعمهم وتسقيهم وتمد لهم يد المساعدة في حدود إمكانياتها**2** ، وتعتبر الطرق الصوفية التي تنتهجها الزوايا من الأعمال الكبرى في تاريخ المغرب العربي حيث أنها حافظت على القرآن والإسلام طيلة القرون السابقة.

ونستخلص مما سبق ذكره أن لدور العبادة أثر في عملية التنشئة الاجتماعية حيث أنها تعمل على :

1- تعليم الفرد والجماعة التعاليم الدينية والمعايير السماوية التي تحكم السلوك بما يضمن سعادة الفرد والجماعة.

2- إمداد الفرد بإطار سلوكي معياري مرتضى.

3- تنمية الضمير عند الفرد والجماعة.

4- الدعوة إلى ترجمة التعاليم السماوية السامية إلى سلوك علمي.

5- توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين مختلف الطبقات الاجتماعية وتظهر وظيفة أخرى للدين والسلطة الدينية في كونها ذات تأثير إيجابي عميق في الحياة الاجتماعية ذلك أنها تؤلف بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتواد والتواصل لا يدانيه رباط آخر كالجنس واللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة**3**.

5 .أهمية الأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية:

---

[1] – عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، **المرجع السابق**، ص ص15-17.

[2] – **المرجع نفسه** ، ص16.

[3] – عبد الله زاهي الرشدان، **التربية والتنشئة الاجتماعية**، ط1، دار وائل للنشر، عمان، 2005، ص355.

على الرغم من أن وجهة النظر القديمة كانت تنظر إلى عملية التنشئة الاجتماعية على أنها عبارة عما يقوم به الآباء والأمهات والمعلمون والمعلمات ورجال الوعظ والإرث والدين من تشكيل لقيم الطفل وأنماط سلوكه إلا أن وجهة النظر الحديثة تعتبر أن هذا التشكيل عملية متبادلة ***mutual*** ، ذلك لأن الأسرة يمارس أعضاؤها وظائف معقدة ومتداخلة يؤثر كل عضو على أعضائها في وظائفها كما يتأثر كل عضو بوظائف الأسرة ككل، وهناك ظروف اجتماعية طرأت على مجتمعنا أدت إلى تغيير هذه الأساليب، من بينها اشتغال المرأة، وارتفاع المستوى الاقتصادي للأسرة، وارتفاع نسبة التعليم والهجرة من الريف إلى المدن، وظهور الأسرة صغيرة الحجم وارتفاع مستوى الطموح والأخذ بمظاهر الحضارة الغربية وزيادة الاتجاه نحو قبول المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات وظهور النهضة الصناعية واستقدام التكنولوجيا الغربية، وزيادة وسائل النقل والمواصلات والاتصال، ولقد أثرت هذه الظروف في أنماط تربية الطفل حيث خفت حدة اتجاه الصرامة والشدة والحزم وفرض العقاب، وزيادة الاتجاه نحو التسامح والتدليل، والاتجاه نحو قبول كثير من أوجه النشاط التي لم تكن مقبولة بالنسبة للطفل كالنشاط الرياضي والترويحي، وزيادة الميل نحو أخذ ميول الطفل في الاعتبار، وزيادة الإقبال على التعليم وخاصة تعليم البنات ويعمل الآباء بمثابة المصفاة التي تصفي أو تنقي القيم قبل نقلها إلى الطفل ***filters*** ، ويمثل الآباء دور المعلم في عملية التنشئة الاجتماعية، كما يمثلون نماذج أو مثلا عليا ***models*** أمام الأطفال يقتدون بها ويتقمصونها ويقلدونها ومن هنا كانت أهمية تربية الآباء أنفسهم، وحسن إعدادهم وتكوينهم وتزويدهم بالعلم والمعرفة والإيمان والعقيدة وتعاليم الإسلام [1]، ولقد دلت البحوث التي أجريت على أطفال المجتمع الأمريكي على أن هناك عدة أساليب يتبعها الآباء في التنشئة الاجتماعية منها الدفء ***warmth*** أو العدوان أو الاعتداء ***Hostility***، واتجاه التسامح ***permissiveness*** واتجاه الانضباط ***Control*** وقد تبين أن الآباء الذين يمتازون بالدفء والذين يستخدمون منهجا معتدلا في تقييد سلوك الطفل، ويتبعون نظاما ثابتا قائما على أساس الحب مثل هؤلاء الآباء فينشأ أبناؤهم وهم قادرون على إظهار وممارسة كثير من أوجه السلوك المرغوب فيها من ذلك التكيف أو الملائمة والمرونة واحترام الذات ***Seif-esteem*** والكفاءة أو المقدرة ،والضبط الذاتي والشعبية بالنسبة لزملائه ويتضمن منهج الدفء ، هذا والتأديب القائم على حب أنشطة مثل الشرح والتفعيل والتأويل والاستدلال أو التعقل والتفكير والإقناع وسحب الحب أو العطف، والأطفال الذين يميلون إلى تقليد أنماط كثيرة من سلوك الآباء، ولكن الذي يساعد على تسهيل عملية التقليد يساعد على ذلك الدفء ***warmth*** والسيطرة ***dominance*** من جانب الآباء تساعد على عملية التقليد، تؤثر السيطرة على التقليد فيما يتعلق بنشاط التفكير في حل المشكلات ***problem solving*** ويؤثر دفء الآباء في تقليد البنات أكثر منه عند البني، أن للآباء قيما مختلفة باختلاف الطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها، وتؤثر هذه القيم في عملية التنشئة الاجتماعية لدى أبناء كل طبقة، فالآباء الذين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الأدنى يقدرون الاحترام والطاعة والامتثال

[1]- عبد الرحمن العيسوي، **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1975 ، ص ص207 209.

والدقة والتأدب، فالآباء في هذه الطبقة الاجتماعية يفضلون أن يكتسب أبناؤهم هذه القيم ويقدرونها فيهم ويهتم مثل هؤلاء الآباء بالنتائج المباشرة لسلوك أبنائهم أكثر من اهتمامهم بالدوافع التي تكمن وراء هذا السلوك، ولكي يحقق هؤلاء الآباء هذه الأهداف فإنهم يتسمون بالشدة والحزم ووضع القيود مع أطفالهم الصغار بينما يمتازون بالتسامح مع أطفالهم الأكبر سنا، أما آباء الطبقات الاجتماعية الوسطى فيركزون اهتمامهم نحو النمو الداخلي للطفل على نمو الشعور بالمسؤولية وتحملها، وعلى الضبط الذاتي للطفل وعلى دوافع التحصيل والانجاز. [1]

6 . أهداف التنشئة الاجتماعية:

أ. اكتساب الثقافة فالتنشئة الاجتماعية هي في الأساس عملية اكتساب المعارف والقيم والرموز، أو بعبارة أكثر وضوحا، اكتساب طرق السلوك والتفكير والشعور. **2**

ب . اكتساب سلوك يناسب دور الفرد الاجتماعي، وهذه العملية ضرورية لتكوين الذات الفردي.

ج .اندماج الفرد في الحياة الاجتماعية، كمحصلة للبعد النفسي لعملية التنشئة الاجتماعية مما يؤدي إلى تكثيف الذات الفردية مع الذات الاجتماعية. **3**

د .التكيف مع البيئة الاجتماعية إن الشخص الذي تكيف مع حياة الجماعة أو المجتمع إنما هو جزء من المحيط وينتمي إلى العائلة، والجماعة والمعمل والدين والأمة، أي أنه جزء من هذا يحتل مكانا فيه والانتماء إلى جماعة ما**4.**

7.نظريات التنشئة الاجتماعية: سنتناول فيما يلي أبرز النظريات التي حاولت تفسير عمليات التنشئة الاجتماعية.

1- **الاتجاه البنائي الوظيفي:** ينظر هذا الاتجاه إلى عملية التنشئة الاجتماعية على أنها أحد جوانب النسق الاجتماعي وبناءً على ذلك فإنها تتفاعل مع باقي عناصر النسق بما يساعد على المحافظة على البناء الاجتماعي ككل، وبذلك فإن عملية التنشئة الاجتماعية تقوم بالمحافظة على البناء الاجتماعي وتوازنه لأن الفرد في عملية التنشئة يتعرض لعمليات عدة من الضبط والامتثال التي تساعد على التوافق مع المجموعة التي ينتمي إليها**5** ، وقد وصف "جونسون" عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية استدراج لقيم الثقافة السائدة المتوقعة من الفرد في المواقف المختلفة بقصد التوافق مع المجتمع وقد فسر "بارسونز*Parsons* " التنشئة الاجتماعية للأطفال بناءً على وجود أدوار محددة للذكور وأخرى للإناث وهذا الاختلاف والخصوصية بين الجنسين يحقق أهداف وفوائد

---

[1]- **المرجع نفسه** ، ص ص210 ،211.

[2] – ناصر ثابت، **دراسات في علم الاجتماع التربوي**، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، 1992، ص 127.

[3]– عبد الله زاهي الرشدان، **المرجع السابق** ، ص 24.

[4]– ناصر ثابت، **المرجع السابق** ، ص 127.

[5]– محمد عبده محجوب وآخرون، **التنشئة الاجتماعية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 42.

عديدة للأسرة والمجتمع ومن الملاحظ أن هذه النظرية قد ركزت على الجوانب العملية للتنشئة أكثر من تركيزها على الجوانب الأخرى.**1**

2- اتجاه التفاعلية الرمزية: ويرجع الفضل في نظرية التفاعل الرمزي لكتابات تشارلز كولي *Charles Cooley* و "جورج هربرت ميد *George Herbert Mead* " و " رايت ميلز *Wright Mills* " وترى هذه النظرية أن تعرف الفرد على صورة ذاته يحدث من خلال تصور الآخرين له، ومن خلال شعور خاص بالفرد، ومن خلال تفاعل الفرد مع الآخرين وما تحمله تصرفاتهم واستجاباتهم لسلوكه كالاحترام وأهتم جورج ميد بدراسة علاقة اللغة بالتنشئة، حيث توجد عند الإنسان قدرة على الاتصال والتفاعل من خلال رموز تحمل معان متفق عليها اجتماعيا**2**.

3 - الاتجاه السيكوثقافي ودراسة التنشئة: يشير كل من " ابرام كاردينر و رالف لينتون" إلى ضرورة الاهتمام عند دراسة موضوع التنشئة الاجتماعية وعلاقته بالبناء الثقافي بما أطلق عليه الأنساق الإسقاطية الثقافية وهي التي تشتمل على الطقوس السحرية والشعائر الدينية بما أن الأنساق التي ينظران إليها على أنها أنساق ذات ارتباط جوهري بالعمليات السيكولوجية المتصلة ببناء الشخصية النمطية أي أن كاردينر ولينتون ينظران إلى تلك الأنساق الإسقاطية على أنها أنساق للدفاع أو الحصانة النفسية أو الأمن السيكولوجي للفرد.

4 - اتجاه التعلم الاجتماعي: تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عملية تعلم بحد ذاتها، لأنها تتضمن تغييرا وتعويدا في السلوك، وممارسات معينة ويعطي هذه النظرية عن تقليد أمثال "دولار و ميلر" أهمية كبيرة للتعزيز في عملية التعلم كما يعتبر "باندورا و ولترز" أن التعزيز مهم في عملية التعلم وتقوية السلوك لكن لا يعتبر كافيا لتفسير التعلم أو حدوث بعض أنماط السلوك التي تظهر فجأة لدى الطفل ويقترح باندورا وجود ثلاثة آثار للتعلم عن الطريق الملاحظة:

أ - تعلم سلوكات جديدة.

ب -الكف والتحرير

ت -التسهيل**3**.

المبحث الثاني: التنشئة الدينية:

التنشئة الدينية واحدة في كل المجتمعات الإنسانية على الرغم من تبايناتها واختلافاتها العرقية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ويرجع هذا لوحدة مصادرها وأصولها، وتتداخل التنشئة الدينية مع التنشئة الاجتماعية بالاشتراك في بعض المهام كما اعتنى الإسلام بالتنشئة الدينية للأفراد بصفة عامة.

1– أحمد محمد الطيب، **أصول التربية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 75.

2– صالح محمد على أبو جادو، **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، معهد التربية، عمان، الطبعة الخامسة، 2006، ص 97.

3- محمد عبده محجوب، **مرجع سابق**، ص 47 ص49.

1. الوظائف الاجتماعية للدين: لا يؤدي الدين وظائفه الإلهية الخاصة بالعبادات وحسب بل يؤدي أيضا وظائفه الاجتماعية والاقتصادية والشرعية والقانونية والأخلاقية والفلسفية أيضا ولعل الوظائف الاجتماعية من أهم المهام التي يضطلع بها والتي تتعلق بتنظيم حياة الفرد والجماعة والمجتمع في آن واحد وتتلخص في سبع وظائف على النحو التالي:

1. يؤدي الدين دورا كبيرا في تنظيم الحياة الانفعالية والعاطفية التي عيشها الإنسان لاسيما وقت تعرضه للأزمات والنكبات والأخطار كالحروب والزلازل والفيضانات وموت المقربين عليه، فالدين في هذه الحالة يؤدي مهمتين أساسيتين هما:

أ – منح الفرد القوة المعنوية العالية والثقة بالنفس والجرأة التي تمكنه من مواجهة الأزمة.

ب -منح الفرد الصبر الذي يمكنه من تجاوز الأزمة أو المصيبة ويساعده في الاستقرار ومواجهة الحياة بروح مفعمة بالشجاعة والتفاؤل والأمل والتصميم.

2. يساعد الدين في تحقيق الوحدة الفكرية والعقلية والعقائدية والكفاحية بين الأفراد الذين يؤمنون به، ذلك أن الدين يؤدي إلى التقارب والتفاهم والتعاون والتعاطف والتراحم بين المؤمنين.

3. من الوظائف الاجتماعية الأخرى للدين أنه ينظم الحياة الاجتماعية في المجتمعات المحلية الكبرى ويشرف على أنشطتها العامة والخاصة، فالدين من خلال مؤسساته ومنظماته كالمساجد والجوامع والكنائس.

4. يعد مصدر من مصادر نشر الثقافة والتربية والتعليم، يتعلم الصغار والكبار من كلا الجنسين القراءة والكتابة والفقه والأخلاق والدين داخل أماكن العبادة.

5. يؤدي الدين دوره الكبير في تحديد القيم الإيجابية التي ينبغي على المؤمنين التمسك بها تقيم الصدق في القول والإخلاص في العمل والتعاون والصبر والشجاعة والمروءة والعفة والتفاؤل والمساواة...الخ،كذلك يميز الدين بين القيم الإيجابية المذكورة أعلاه والقيم السلبية كالكذب والنفاق والنميمة والغيرة والحسد وحب الذات والغش والتكبر يعد الدين وسيلة مهمة من وسائل الضبط الاجتماعي ذلك أن الدين يرشد المؤمن إلى السير في الطريق المستقيم والابتعاد عن الطريق الذي يقوده إلى الشر والانحراف والجريمة، كما يذكر المؤمن بأن سيره في الطريق المستقيم هو الوسيلة الوحيدة التي تقوده إلى النجاة والحصول على الغفران من الله سبحانه وتعالى بينما سيره في طريق الشر والعصيان يقوده إلى اقتران الذنوب التي يعاقبه الله عليها، وعليه يلعب الدين هنا دورا كبيرا في ضبط سلوكية الفرد ويمكن أن يكون هنا وسيلة من وسائل تحقيق وحدة العقيدة والسلوك. **1**

---

[1]– إحسان محمد الحسن، **علم الاجتماع الديني**، دار وائل للنشر، بغداد، الطبعة الأولى، 2005، ص54 ص57.

6. يساعد الدين في تكامل عناصر شخصية المؤمن و قوتها إذ أنه يهذب الشخصية و يبنيها و يجعلها قادرة على أداء أدوارها الوظيفية المتنوعة بفاعلية ونشاط، و الدين يقوم بهذه الوظيفة عن طريق مشاركة المؤسسة الدينية كالمسجد أو الجامع في عملية التنشئة الاجتماعية التي تنطوي على التعليم و التدريب، و الخصال الإيجابية التي تنمي الشخصية و تجعلها قادرة أكثر على تحمل مسؤولياتها، و من السمات الشخصية الإيجابية، التي تزرعها المؤسسة الدينية عند المؤمن العدالة و الإنصاف و الخلق القويم و الرحمة الشفقة.

7. يمكن أن يؤدي الدين عن طريق مؤسسات العبادة العديد من الأنشطة الترويحية التي لا تملأ وقت الفراغ فحسب بل تنمي شخصية المؤمن و تفجر طاقاتها المبدعة، فالجامع أو الكنيسة يمكن أن تنشأ العديد من الأنشطة الترويحية مثل المطالعة في (مطالعة) مكتبة الجامع، تنظيم الاجتماعات و اللقاءات و الندوات و المحاضرات الثقافية و الاجتماعية و الدينية.....الخ كلها تنمي شخصية الفرد و تجعله متمسكا بالأمور الدينية و الأخلاقية والتي يوصي بها الدين ويحث على نشرها و ترسيخها.[1]

2. مصادر التنشئة الدينية

لا يتصرف المنشئ المسلم والمعلم والداعية ورجل الدين، بشكل حر وطليق عندما يقوم بتنشئة النشء، بل يستند إلى ركائز أساسية للدين الإسلامي الحنيف، والملفت للانتباه في التنشئة الدينية أنها واحدة في كل المجتمعات الإنسانية على الرغم من تبايناتها واختلافاتها العرقية وكذلك يختلف الأمر داخل المجتمع الواحد في تنشئة أبنائها حسب اختلاف طبقاتهم الاقتصادية وقد تختلف المدارس في تنشئة تلاميذها طبقا لنوعها في أصولها لأن منبعها واحد في كل زمان ومكان ومن خلال هذا يتضح لنا فيما يلي المصادر الأساسية التي ترتكز عليها التنشئة الدينية:

2. 1- القرآن الكريم: هو المصدر الأول والرئيس في التنشئة الدينية ومنه تستسقي مبادئها وتوجيهاتها وإرشاداتها في تطبع العقل والسلوك والمشاعر، فالقرآن الكريم له أسلوبه الرائع ومزاياه الفريدة في تربيته للناشئة فهو يربي العقل والعاطفة جميعا متماشيا مع فطرة الإنسان في البساطة وعدم التكليف وطرق باب العقل مع القلب مباشرة.

2. 2- السنة النبوية: وهي المصدر الثاني الذي تستسقي منه التنشئة الدينية منهجها لقول الله تعالى « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاس مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم»[2]ويقول عز وجل « لَقَدْ كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِر» [3]وتساهم السنة النبوية في مجال التنشئة بـ:

أ – إيضاح المنهج الإسلامي في التنشئة الواردة في القرآن الكريم وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم .

ب– استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومعاملته للأطفال.

---

[1] – إحسان محمد الحسن، **المرجع نفسه** ، ص 57 ص58.

[2] – سورة النحل، الآية 44 .

[3] – سورة الأحزاب، الآية21.

2. 3- منهج السلف الصالح[4]: يعني هذا المنبع التنشيئي للأوائل الذين اتبعوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا عليها أضاءوا منهجهم مستقين من الدين الإسلامي ومستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، يعتمد هذا المنهج على ما قدمه السلف الصالح من أعمال وما نهجوه من طرق أو ما قالوا به من إصلاحات أثرت في الثقافة الإسلامية، وبالتالي فقد أوضحت هذه المعطيات أن مصادر التنشئة الاجتماعية والدينية لها أهميته في تكوين شخصية المسلم وهذه التنشئة مستمدة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة إلى غير ذلك وكل هذا يعود إلى تربية الطفل وتنشئته دينيا وإسلاميا ابتداء من الأسرة. [1]

3. مراحل التنشئة الدينية: إن تدين الطفولة فطري عملي، وتدين روحي عاطفي وتدين الرجل فقهي منطقي تشريعي ومن خلال هذا تتضح أطوار التنشئة الدينية فيما يلي:

3 .1- طور الطفولة:

تقوم جميع الديانات بإكساب أبنائها الزاد الديني والانتماء الحضاري تراعي في ذلك خصوصية المرحلة التي يمر بها الابن فالطفل محدود التفكير، قليل التجارب بشؤون الحياة.

وتراعي هذه الفترة مدرك الأطفال العقلي والإيماني لذا ينبغي غرس الدين في نفس الصبي انطلاقا من مبدأ التلقين والمحاكاة والتقليد مع مراعاة تدعيم الاعتقاد بالبراهين كما قرر الغزالي حيث شبه عملية التلقين بذر البذرة في التربة لزراعتها وشبه الاعتقاد بعملية السقي والتربية فينمو البذر ويترعرع .

3.2- طور المراهقة والشباب: ترتبط الأفكار الدينية لدى المراهق ببعضها البعض ويلزموا مؤسسات التنشئة الدينية أي تشغل جانب التحمس الديني لدى مراهق لتقوي فيه آثار هذا الدافع وتنقذه من موجة الانحراف لأن الإنسان في هذه المرحلة الدينية والبشرية، ووظيفة المؤسسات هو أن تعمل على إخراج الشاب من هذا الصراع والنهوض بمستواهم الروحي والعاطفي، وتختلف التنشئة الدينية من دين إلى دين آخر، فالديانة المسيحية تسعى إلى أن تعلم أبنائها مبدأ الدين المسيحي، أما التنشئة في المجتمع اليهودي فلها ظواهر عدة، تنبعث من أساسها من التوجه الديني ثم التوجه الاجتماعي فالتاريخي، فالسياسي [2]، وعندما يقول علماء علم النفس أن مرحلة الشباب هي مرحلة الحيوية الدينية ومرحلة التفتح الديني، وأنها المحدد الأساسي للسلوك الديني للإنسان فيما بعد ومن ثم إنها أخطر المراحل في حياة الإنسان على الإطلاق[3].

3 .3- مرحلة الرجولة والشيخوخة: ينتقل الإنسان من الشباب إلى الرجولة لتجرفه الحياة بمشاغلها ومشاكلها ومعه القيم الدينية أو التصورات الدينية، التي كونها في ما مضى وهو مراهق وشاب فنجده مستمرا في شكه ومحافظا على الطقوس والشعائر، رابطا بينها وبين أخلاقيات دينية حقيقية وقد يتحول الإنسان في هذه المرحلة من

---

[4]– معن خليل العمر، **التنشئة الاجتماعية**، المرجع السابق، ص 180 ص181

[1] – عبد الفتاح تركي موسى، **التنشئة الاجتماعية من منظور إسلامي**، المكتب العلمي، الإسكندرية، بدون طبعة، 1998، ص 94.

[2] – لكحل الهواري، **مرجع سابق**، ص 46.

[3] – عبد الغني عبود، **في التربية الإسلامية**، جامعة عين شمس،القاهرة، الطبعة الأولى، 1991، ص 113.

حال إلى حال، ولكن هذا التحول عادة ما يكون مرتبطا بخطوط أولى، قد كونها في مرحلة الشباب أيضا، حتى يصل إلى الشيخوخة فإنه قد جاوز مرحلة الشك الديني إلى اليقين، وقد ارتقى بنفسه لفلسفة محددة للحياة، تقوم على فكرته الدينية وتتناسب مع أنماط حياته ومطالب عصره[1].

4. أهداف التنشئة الدينية :

تنطوي النشأة الدينية على غايات مستخلصة من مصادرها الرئيسية (القرآن الكريم والسيرة النبوية) والمؤسسات الاجتماعية كافة آلياتها ومنشئتها لتحقيقها والمحافظة على بقائها في وظيفة النسق الاجتماعي والمدرسي (التربوي) الديني وتتمثل فيما يلي :

4.1– الإيمان بالله وعبادته وشهادة أن لا إله إلا الله:

عدم الشرك بالله تعالى وهذا وارد في وصية لقمان لابنه في قوله {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [2] إذ أن الإسلام ينشئ الإنسان على إخلاص العبودية لله وحده فلا يخاف إلا الله ولا يرجو أو يتوسل غيره من الإنس والجن، وشهادة أن لا إله إلا الله هي إثبات العبادة لله تعالى ونفي عن كل سواه وتوحيد الألوهية، ولا يتجه الإنسان بعبادته إلا لمن خلقه فسواه ورزقه وأغناه ومنحه القدرة على التفكير والتوحيد أصل العبادة في كل شريعة ودعوة كل رسول ليستفتح بها دعوته ويستمد منها قوته ويهز بها مشاعر قومه وإذا اتجهت عبادة الناس إلى خالقهم صفت منهم القلوب واستقامت أمامهم السبل وقامت حياتهم على التعاون فعاشوا آمنين مطمئنين .

4. 2 – شهادة محمد رسول الله:

من صدق إيمانه بربه صدق بالرسل ورسالاتهم {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ }[3] ، ومن اختاره العالم الكبير الحكيم كان أولى بالحب وأقرب إلى القلب واختاره سواه لميزات فيه وفضائل له لا يعلمها إلا الله .

4.3– إقامة الصلاة:

يؤكد القرآن الكريم على الصلاة وتأديتها في مواعيدها المقررة والمداومة عليها ويتوعد الله المقصرين والمهملين والساهين عنها ، وذلك من آيات بينات معجزات قوله تعالى {قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا

---

[1]– عبد الغني عبود، **المرجع نفسه** ، ص 108.

[2] – سورة لقمان، الآية.13

[3]– سورة غافر، الآية 78

رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ }[1] فالصلاة تعاون على الاستقامة تريح النفس من مغالبة الشهوات[2] والصلاة هي عماد الدين ونوع من أنواع التربية البدنية والروحية[3]

4.4– صوم رمضان :

إنه تدريب على الصبر(و الصبر نصف الإيمان) وكسر لحدة الشهوة و الشهوة مطية الإثم و إخضاع للنفس و النفس أمارة بالسوء قال تعالى : (كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لي و أنا أجزى به) و بالقدرة على المشقة يكون التواب، وجهاد النفس لا يتحمله إلا أولو العزم ومن هنا كان جهادا أكبر قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[4] والصيام بمعنى آخر هو صبر و زكاة للنفس و كف الجوارح عن الأذى وتدريب على تقبل المكاره و المتاعب[5] .

5.4 – إيتاء الزكاة:

أي تطهير المال والنفس ، إنها حقا للمحتاج تحفظ عليه ماء وجهه من مذلة السؤال وتمنع ثورة نفسه من ارتكاب الإثم وتستل من قلبه شوائب الكراهية و الحقد فيعيش بين الناس محبا لهم متعاونا معهم وما سميت الزكاة إلا لتطهير المال من إخراجها يبارك الله فيه ويبارك كل عمل أسس عليه .

6.4 – حج البيت :

تجديد الذكريات وفرصة اللقاءات و مران على تحمل المشقات و بذل في سبيل الله و كسب خبرة تزيد المعرفة و تقوي أواصر الصداقة، وتعويد على مشقة السفر في البر و البحر أو الجو فتطمئن النفوس وتستقر الخطوات المتعثرة ويعود المخطئ إلى صوابه، أنها رحلة الماضي و الحاضر والمستقبل إنها راحة الخاطر و صفاء النفس و العودة إلى طريق الحق و الحج المبرور ، و جزاؤه مغفرة الله و دخوله جنانه .

---

[1]– سورة إبراهيم، الآية31 .

[2] – معن خليل العمر، **المرجع السابق**، ص 181 ص 183

[3]– عبد الفتاح تركي موسى ، **المرجع السابق**، ص 156

[4]– سورة البقرة، الآية 183.

[5] – معن خليل العمر، **المرجع السابق**، ص 184 ص 185

7.4 – التواضع:

إنها سمة من سمات المؤمن و الله سبحانه و تعالى قد بين في كتابه العزيز أنه يبغض المتجبرين و المتكبرين لأنهم يدبرون مع الله، فالمتكبر رغم ضعفه و قلة حيلته إلا أنه يغتر بنفسه و يتكبر على غيره و يعتقد أفكارا ظلما و عدوانا .

8.4 – الصبر:

تأمر النشأة الدينية بالصبر لأنه من فضائل العقل إذا ما قورن بالهوى ظهر لنا حساسية الهوى والشهوات التي تنهى الإنسان عن الصبر، و الصبر هو عدم الاعتراض على ضياع ما يحبه و يشتهيه كما أنه صبر على ما يعانيه الإنسان من آلام و تحمل للمحن [1] ،قوله تعالى : {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ }[2]

9.4 – الاعتدال:

لا يمكن أن يتم العدل في النفس إلى بالاعتدال إذ أنه استقامة للحق وهو تنشئة سليمة للأخلاق وللخلق الصالح فالاعتدال موازنة وقسط وقصد وقوامة وإقامة للعدل، والاعتدال يشتمل على تطبيق الوسط في العدل في المأكل والمشرب والفكر والسلوك العملي جميعا[3]، والغاية الأساسية من النشأة الدينية أن نجعل من الدين شيئا ذا قيمة في كيان الأفراد الذين نربيهم، بحيث يظهر آثار ذلك في سلوكهم وأنماط تفاعلهم مع المجتمع ونحدد بعض الأهداف الأخرى للتنشئة والتربية الدينية فيما يلي :

1. تكوين مواطن صالح والمجتمع الصالح الذي تسوده المبادئ الأخلاقية السامية .
2. تكوين الفضائل التي تجعل الفرد قادرا على ضبط نفسه وتوجيه انفعالاته وأحاسيسه وشعائره وجهة سليمة. صالحة مبنية على قوة ثقته بنفسه واعتزازه بكرامته وكرامة غيره.
3. تنمية قدرة المواطن على مواجهة الحياة الواقعية وطرقها الاجتماعية فلا يستسلم لليأس والقنوط.
4. التسامح والبعد عن التعصب والانطواء والتزمت.
5. الاعتزاز بالتراث من خلال سير الأبطال و أولي العزم.[4]
6. صيانة المجتمع من الزيغ و الانحراف والمبادئ الهدامة التي تنافي العقيدة الدينية.
7. بث روح التدين بين الناس قاطبة.

---

[1] – صالح محمد علي أبو جادو، **المرجع السابق** ، ص 245 ص 246 .

[2] – سورة النحل، الآية 126 .

[3]– معن خليل العمر، **المرجع السابق** ، ص 186.

[4]– لكحل بومدين، **المرجع السابق**، ص 46.

8. البعد عن الخرافات والتقاليد الضارة بالفرد والمجتمع.

9. تقويم الناشئين والسمو بهم وإسعادهم في حاضرهم ومستقبلهم.

10. تزود الفرد بذخيرة واسعة من المعارف المتصلة بمبادئ الدين و أحكامه و مناهجه وتكسبه الكثير من الخبرات التي من شأنها العمل على تكوين شخصيته وتنميتها.

11. تمكن الفرد والمجتمع على حد سواء من التمسك بالدين مما يؤدي إلى حياة طيبة للفرد والمجتمع.

5. أساليب التنشئة الدينية:

إن أساليب التنشئة الاجتماعية ليست كافية لبناء الشخصية المسلمة و أنها لم تغطي جميع جوانب الشخصية فنجد أن الإسلام قد سبق إلى وضع قواعد و أساليب التنشئة الاجتماعية التي تتميز بالشمول وأن هذه الأساليب مستمدة من فلسفة الدين الإسلامي، و نشير هنا إلى اهتمام بعض العلماء المسلمين الذين ركزوا على مدلول التنشئة الدينية الحقة للفرد وذلك من خلال تركيزهم على التربية و السلوكات الدينية و نذكر منهم .

ابن سينا: يقول (إن التنشئة الدينية تأخذ على والد الصبي أن يبعده عن مقابح الأفعال و معايب العادات بالترهيب و الترغيب و التوبيخ، فإن احتاج إلى الضرب فليكن) ويركز على دور الأسرة و بالأخص دور الأب الذي يبعده عن السلوك اللاسوي .

الماروردي : قسم في كتابه (الدين و الدنيا) التنشئة الدينية إلى صنفين (أدب المواظبة) و(أدب الرياضة) فالأولى اصطلح الأدباء موضوعات الخطاب و الثانية مراقبة الإنسان لنفسه و محاسبتها لتستديم له السعادة .

الغزالي : اهتم الغزالي بالتنشئة الدينية من خلال كتابه (علوم الدين) الذي نصح فيه بمراعاة الاعتدال في تأديب الصبي و إبعاده عن أصحاب السوء و ملأ وقت فراغه بقراءة القرآن و منعه من أعمال الحرام .

ابن خلدون: خصص فصلا كاملا من المقدمة يتكلم فيه عن اختلاف مذاهب الأنصار، وأكد أن أسلوب القسوة والشدة بمعاملة الأفراد الصغار تدعوهم إلى المكر والخديعة، كما أكد على ضرورة تعلم وحفظ القران الكريم لأنه أساس التعلم في جميع المناهج الدراسية ولأنه شعار الدين وهذا كله يؤدي إلى رسوخ العقيدة وتثبيت الإيمان، و يمكن القول أن آيات التنشئة الدينية تعمل على تحويل المولود الجديد إلى آدمي مسلم ليس فقط يدين بالدين الإسلامي بل متطبع بالأخلاق و المبادئ الإسلامية و بالتالي بلورة شعوره حتى يجعله يحس بقدرة الله و عظمته و ثمة أسلوب آخر تنتهجه التنشئة الدينية هو آلية المحاكاة و تقليد رموز إسلامية مهمة و مؤثرة في تاريخ الدين الإسلامي[1]، فضلا عن استخدام آلية تقديم النصائح للمنشأ ووعظه عند وقوعه في الخطأ أو عندما يكون محتاجا

[1] – لكحل بومدين، **المرجع نفسه**، ص46 ص49.

للنصيحة [1] ،ومن كل هذه المعطيات التاريخية اتضحت الرؤية أمام الباحث أن يتناول التنشئة الاجتماعية و الدينية بطريقة تحليلية تشتمل على أسس و خصائص و جوانب و أساليب هذه التنشئة [2] .

ومن خلال عرض ما سبق من أساليب التنشئة الدينية نلخص أهمها ونوضحها فيما يلي:

أولا: التنشئة الدينية بالقرآن الكريم

القرآن كأحد أساليب التنشئة الاجتماعية والدينية له غايته، بحيث فيه العبودية والطاعة لله و الاهتداء بكلامه والخوف منه وتنفيذ أوامره والخشوع له، أي يعتبر القرآن الكريم أهم أساليب تنمية العقيدة الدينية في بناء الشخصية والذي نخلص إليه في هذا العنصر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اهتم بتلقين الولد منذ نشأته أصول الإيمان وأركان الإسلام وأحكام الشريعة حتى تربي الولد على الإيمان الكامل والعقيدة الراسخة .

ثانيا التنشئة الدينية بالأحاديث النبوية :

إن التنشئة الإسلامية الدينية بإتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال الأحاديث النبوية الشريفة فهي التي تعلم الأطفال القيام بالعبادات والمعاملات وكل شؤون الحياة على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثالثا التنشئة الدينية بالقدوة الصالحة :

هي من أهم الأساليب في التنشئة الدينية، فلا خير في مربي يتحلى بقيم واتجاهات لا يحققها سلوكيا في نفسه وينهانا القرآن الكريم عن التناقض بين القول والفعل ولقوله تعالى {كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }[3] وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة لكل المؤمنين والمثل الذي يجب الاهتداء به .

رابعا أسلوب التوجيه و الموعظة الحسنة :

الإنسان قابل للتأثر بالتوجيه والتشكيل لما تتمتع به الطبيعة الإنسانية من مرونة وقابلية للتشكيل، الأمر الذي يستلزم تكرار التوجيهات في كل مناسبة حتى تصبح في نفس النشء، والحاجة إلى الموعظة والتوجيه ليست قاصرة على الأطفال فقط، وإنما تمتد هذه الحاجة للكبار ومجتمع الراشدين لما يوجد في النفس الإنسانية من ضعف والذكرى تنفع المؤمنين .

خامسا أسلوب القص :

القص لغة : قص عليه الخبر قصصا وأيضا القصص ، وتضمن القرآن الكريم أنواعا من القصص القرآني و الواردة في الحديث الشريف وهو قصص حقيقي واقعي جاء به القرآن، فالقصص من الأشياء التي يميل لها الإنسان تساعده في التدريس وانتباه التلاميذ وتشويقهم إلى الدروس وتربية الأطفال تربية خلقية.

---

[1] – معن حليل العمر،**المرجع السابق**،ص203.

[2] – عبد الفتاح تركي موسى، **المرجع سابق**، ص 95.

[3] – سورة الصف، الآية03

سادسا أسلوب العقوبة :

حين لا تفلح القدوة والموعظة فلا بد من علاج يضع الأمور في وضعها الصحيح وهو العقوبة، والتربية بالعقوبة ليست ضرورة لكل شخص، فقد يتحلى شخص بالقدوة والموعظة فلا يحتاج في حياته كلها إلى عقاب وبالتالي فالإسلام يتبع جميع وسائل التربية [1] ، وفي الأخير نستخلص أن التنشئة الدينية بأساليبها ومراحلها العمرية وشرائعها الاجتماعية تنصب على إرساء الإيمان بالله وعبادته والالتزام بما جاء في كتابه من أجل تنشئة المنشأ تنشئة سوية.

المبحث الثالث: التربية الصــوفية:

قام منهج التربية الصوفية ليحقق ما ترمي إليه الجماعة الصوفية من خلق جميل ذي شخصية مؤثرة في العالم الإسلامي، كما اهتم المنهج بالفرد الصوفي اهتماما كبيرا فوضع له القواعد و النظم التي تعمل على تهذيبه خلقيا وروحيا.

1. الانتساب إلى الطرق الصوفية:

الانتساب أو الانتماء إلى الطرق الصوفية على نوعين:

1 .1– النوع الأول: نابع من إرادة المريد أن يعبر المقامات بغاية القرب من الله ولذلك يضع نفسه تحت تصرف شيخ الطريقة تصرفا كاملا وهذا الشيخ يلتزم بتربيته تربية روحية تمكنه من التحول من مريد إلى صوفي عارف.2 والتربية في الاصطلاح الصوفي يقصد بها ما اصطلح عليه من أذكار وأوراد ولباس وهيئة كدخول الخلوة واتخاذ العصا والسبحة واستعمال ورد معين، والشيخ المريد يسمى أيضا "شيخ القدوة" فهو المثال الذي يجب عليه أن يقتدي به أن يكون تابعا له على طريقته وأن يلزم طاعته وأن لا يكتم عنه شيئا أما الطرف الآخر فيحمل اسم المريد وهو المتجرد من إرادته، أو الذي صح له الابتداء ودخل في عباد الله المنقطعين إليه وأول شروط العلاقة بين الشيخ والمريد هو تحكيم الثاني على الأول والتنازل له عن إرادته ويتحمل الصوفية في هذا الباب عبارة "سلب الإرادة" إن هذه العلاقة بين الشيخ والمريد تظهر نوعا من التعاقد بين فردين يقدم أحد الطريفين فيها وسيلة الوصول إلى الله بينما يقدم الثاني (المريد) تبعيته وأشياء أخرى كثيرة .

1 .2– النوع الثاني :

يتمثل في مجرد تلقي بركة الشيخ هذا النوع من الالتحاق بالطريقة أقل صرامة من حيث التربية وهو النوع الأغلب فمعظم الراغبين في الانتساب للطرق الصوفية يسعون إلى الحصول على بركة الشيخ والانتفاع بها في اقصر وقت ممكن وبتكوين صوفي قصير فيأتون إلى الأحياء من الشيوخ يبثونهم الشكوى ولعل هذا ما يفسر لنا ما ابتكره الجهاز الصوفي الطرقي من تنويع في ألقاب شيوخ التصوف كشيخ التربية أو التعليم أو التلقين أو الإرشاد، إن هذا

---

[1]- عبد الفتاح تركي موسى ، **المرجع السابق** ، ص 160 ص168

[2] - محمد بن الطيب، **إسلام المتصوفة**، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص 134.

النمط التربوي الذي صار يسمى في التصوف الطرقي التربية بالهمة إنما يعود إلى ضعف حال المريدين و قلة الرغبة في السلوك وكثرة الإقبال على الدنيا وهذا ما اصطلح عليه أيضا بـ "طريق السر" ويوصل إليه النوع الأول من الشيوخ وهذان الطريقان كما يختلفان في الوسيلة يختلفان في الهدف فالأول هدفه المعرفة والثاني هدفه النجاة.

1 .3– منهج التربية عند الصوفية:

المنهج الصوفي هو المنهج الذي يقوم على المجاهدة والتربية الصوفية التي وضعها الشيوخ للمجتمع الصوفي فيها بعضهم بعضا للوصول بالأعمال كلها إلى الله سبحانه وتعالى لذلك كان المنهج الأجدر بالإتباع في بلوغ السعادة هو قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود فمن ذاق عرف ومن لم يذق لم يعرف**1**، واهتم المنهج بالفرد الصوفي اهتماما كبيرا فوضع له النظام الذي تعمل على تهذيبه خلقيا وروحيا وعقليا كما وضع منهج التربية ليحقق ما ترمي إليه الجماعة الصوفية من خلق جيل قوي ذي شخصية مؤثرة في العالم الإسلامي وبجانب ذلك لم يهمل الصوفية المنهج النقلي وهذا المنهج هو منهج السلف الصالح القائم على الأخذ من الكتاب والسنة.

ونجد منهج التربية الصوفية على نوعين

1– اختياري 2– اضطراري

1. **المنهج الاختياري**: هذا المنهج يضع الشيخ خطوطه، إذ يحرم الطالب من الماديات تدريجيا ويدور هذا المنهج حول أربعة أشياء قالوا إنها أركان التربية الصوفية وهي الجوع والصمت والسهر والعزلة.

أ **–الجوع**: يمتدح الصوفية الجوع لقولهم: فما صار الإبدال إبدالا إلا بخصال أربعة منها أنهم أخماص البطون ذلك أن الجوع يؤدي إلى صفار القلب ونفاذ البصيرة، فيجد المريد لذة المناجاة وحلاوة التعبد فضلا في الجوع من ذلة النفس وكسر الشهوة، وفيه سبع نيات منتجات تبلغ العبد إلى رفيع الدرجات.**2**

1) النية الأولى: ينوي تدليل النفس وكسرها لكي تدخل تحت الطاعات.

2) النية الثالثة: قلة التزود من عرض الدنيا.

3) النية الرابعة: ينوي بجوعه وجود الراحة في عرضه القيامة.

4) النية الخامسة: ينوي تقليل الذهاب إلى الخلاء إذا كان صائما جائعا فيحصل له بذلك درجة أهل الصدق والحياء.

5) النية السادسة: يخدع نفسه كي يكون ذاكرا لما ينال أهل الجوع من الألم.

6) ولا شك أن هذا رباط وثيق بين الجوع والصمت والخلوة والسهر والتي أوضحها المنهج الاختياري الذي يضع الشيخ خطوطه لتربية المريدين.

---

1 - عبد الباري محمد داود، **المنهج التربوي والعلمي عند الصوفية**، مكتبة الإشعاع، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2002، ص 14

2– عبد الباري محمد داود، **المرجع نفسه** ، ص 15.

ب – الصمت: الصمت منام العقل والمنطق يقظته ولا منام إلا بيقظته ولا يقظة إلا بمنام.

وثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال:

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"

ت– السهر

1. ينشر الروح ويحد الفكر، ويمكن من غنيمة الفراغ، ويساعد مقاوم الجوع على تهذيب السر، والسهر أخو الجوع تلازما وابنه تولدا.

2. وليس فقط بالكلام الذي ينطق قرآنا أو حديثا، وعن طريق القدوة بالإضافة إلى القرآن والسنة وهكذا يرى الإسلام أن القدوة هي أعظم طرق التربية فإن كانت القدوة حسنة فإن الأمل يكون كبيرا في الإصلاح في هذا الصدد نذكر ما كتبه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان إلى مؤدب ولده يقول له: "ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقود بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت والقبح عندهم ما استقبحت..." **1**

ث– العزلة: وهي ركن من أركان التربية الصوفية لذلك ينبغي على السالك أن يلزم العزلة وهي نوعان: فريضة وفضيلة، فالفريضة: العزلة عن الشر وأهله، والفضيلة العزلة عن الفضول وأهله، وقبل السلامة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت وواحد في العزلة وقال ابن المبارك، ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى.

2- المنهج الاضطراري:

هذا المنهج لا دخل للطالب فيه، ويكون ذلك حينما يقوى يقينه بجدوى سلوكه الجديد ويذوق من الوجدان ما يدفعه إلى معركة يخوضها مع المادة راغما دون وعي، يخوضها وقد فقد الشعور بالألم ولم يبال بشيء من ترهات المجتمع.

2. النظام الصوفي التربوي :

اتخذ المتصوفون أمكنة لاجتماعاتهم "الرباط" أو "الزوايا" فكانوا ينقطعون إليها فيقضون نهارهم بالقراءة وليلهم بالتهجد ويقيمون في المناسبات حفلات الذكر، ولا بد للطالب الصوفي أن يمر بدرجات وهي: المريد، فالسالك النجيب أو الواصل، أما المراتب فهي: المبتدئ، فالمتدرج، فالشيخ، فالقطب، وبما أن اعتقاد المتصوفين هو أن التصوف طريق العبد إلى ربه، وما حياته إلا بمثابة سفر إليه، لذا يأمل بمشاهدة الحق، وهذا السفر ذو مراحل تعرف بالمقامات**2** ، من هنا وجب التعرف أولا على كيفية تصنيف درجات الطالب في الصوفية قبل الخوض في طرق التنشئة الدينية الصوفية وأساليب التدريس فيها.

2. 1– ألقاب التلاميذ عند الصوفية:

---

[1]– عبد الباري محمد داود، **المرجع نفسه** ، ص 363.

2– إميل ناصيف، **المرجع السابق**، ص 105.

أ. **المريد:** وهو طالب المرحلة الأولى في الصوفية، ويتعرف عليه أستاذه من خلال الحديث معه ومراقبته، ومن خلال استعراض ذنوبه التي ارتكبها فيقرر الأستاذ علاجه بوسائل يراها تتماشى مع طبيعته حتى يشفى من ذنوبه فيلتحق بالزاوية، ويعطي له القدر الذي يمكنه من أن يستوعب قليلا من العلم و المعرفة**1** ، وهو بذلك المبتدئ في السير في الطريقة المتجردة عن الإرادة المنقطع إلى الله تعالى للوصول إلى المعرفة بإرشاد الشيخ**2**.

ويقول ابن خلدون في شأن ذلك: "...وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته، لا بد أن ينشا له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحالة إما أن تكون نوع عبادة تترسخ وتصير مقاما للمريد وإما أن تكون عبادة وإنما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات، ولا يزال المريد يترقى من مقام إلى مقام حتى يصل إلى التوحيد والمعرفة".**3**

ما يجب على المريد:

1. الاعتقاد السليم الخالي من البدع.
2. التوبة النصوح بأن لا يرجع إلى الزلات.
3. إرضاء الخصماء حتى لا يبق عليه حق لمخلوق.
4. تحصيل علم الشريعة بقدر ما يعمل بأوامر الله ويقف عند نواهيه
5. مخالفة سياسة النفس وهذا لا يتيسر إلا بترك جلساء السوء، ويرفع عنه التلوثات الشيطانية.4

فشروط المريد ثلاثة:

أ – إرادة وصدق في الطلب.

ب – دخول الطريق وإتباع لتعاليمه.

ج – مصاحبة مرشد الطريق بعد أخذ العهد عليه.

إن الصوفية قسموا المريد إلى ثلاثة أقسام:

أ– مريد سالك وهو المريد السابق**5** .

ب. النقيب أو السالك:

يقرر أساتذة الصوفية موعد نهاية المرحلة الأولى بالنسبة للمريد وبعدها ينتقل إلى مرحلة أعلى من الناحية العلمية فيلقب بالنقيب أو السالك، وهذا اللقب معناه درجة علمية عليا في الدراسة وتكون العلوم كالآتي:

1- عبد الحيكم عبد الغني قاسم، **المرجع السابق**، ص 124.

2- السيد محمد عقيل بن علي المهدلي، **المرجع السابق**، ص 35.

3- ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق، دوريش الجويدي، المكتبة العربية، بيروت، بدون طبعة، 2002، ص 450.

4– محمد عقيل بن علي المهدلي، **دراسة في الطرق الصوفية**، دار الحديث، القاهرة، الطبعةالثانية، ص 36.

5- انظر http://www.shazelia.com/tasaweuf/chosentpe/mureed.htm يوم 11/12/ 2011 الساعة 15:00

أ. علوم نظرية: كعلم الصبر والورع والخوف والتقوى و الشكر والإخلاص.

ب. علوم عملية: كعلم الطهارة والتزكية أي القيام ببعض النوافل حسب قدرات النقيب ويجب عليه في هذه المرحلة:

1) احترام علماء الصوفية كعلماء ومربين وأساتذة.

2) أن يتبادل مع زملائه المعاملات الطيبة والتقدير لمن هو أكبر سنا منه.

3) أن يقوم بالأعمال التي يكلف بها.

ت. النجيب أو الواصل:

وفي نهاية المرحلة الثانية ينتقل إلى مرحلة أخرى بعد أن يشعر بذلك أساتذته وقد وضع علماء الصوفية منهجا دراسيا خاصا بها من الناحية العلمية والسلوكية تختلف عما هو موجود في المرحلتين السابقتين وتفرض على الواصل عدة سلوكات ويجب عليه ما يلي:

1. أن يحافظ على أسرار المجالس العلمية التي يحضرها.
2. أن يبتعد تماما عن التدخل في شؤون الآخرين.
3. أن يحدد لنفسه عملا خاصا في المجالس العلمية التي يقوم بحضورها.
4. أن يتعامل مع الآخرين حسب قدراتهم العقلية والعلمية الروحية وأن يتجنب الجدل في المناقشة.[1]

2. 2- ألقاب معلمي الصوفية:

أ- الأستاذ (الفقيه – الإمام – المرشد)

هو إمام المدرسة الصوفية وعمودها الذي يرعى طلابه ويشرف على تربيتهم في المدرسة كما أنه يقوم بوضع المنهج الدراسي لهم ويحدد حلقات الدروس ومواعيدها وتتوافر فيه عدة شروط وهي:

1. أن يلتزم بالكتاب والسنة كمنهج دراسي، وتأدية الفرائض التي يلتزم بها عامة وخاصة المسلمين.
2. أن يعرف تقنيات طلابه وما فيها من أمراض وكيفية العلاج لهذه الأمراض حتى يمكنه طلابه على منهجه الدراسي.
3. الالتزام في أقواله و أفعاله بأسس المحبة لله.
4. أن يكون مجددا محدثا لعلوم لم تعرف في عصره.

ب-القطب الروحي:

هو صاحب أعلى الدرجات العلمية في الصوفية ومحل نظر الحق تعالى

[1] - محمد عقيل بن علي المهدلي، **المرجع السابق**، ص 126.

2. 3– شروط ومواصفات الشيخ:

ذكر الإمام الجنيد أنه "لا يستحق أن يكون شيخا حتى يأخذ حظه من كل علم شرعي، وأن يتورع عن جميع المحارم وأن يزهد في الدنيا، وألا يشرع في مداواة غيره، إلا بعد فراغه من مداواة نفسه، وحتى يكون على علم يهدي به العباد، فإذا مرض مريده بسبب شبهة في علم التوحيد داواه... وأن يلازم العمل بالكتاب والسنة، وإياك متابعة من لم يكن على غير هذه الصفات، فإنه من جنود الشيطان، زن أقواله وأفعاله بميزان الشريعة"، وذكر الإمام الغزالي وشرط في المرشد أن يكون عالما لكن ليس كل عالم يصلح للإرشاد، بل لا بد أن يكون عالما له أهلية صناعة الإرشاد، ولهذا المرشد علامات، فالمرشد هو الذي يكون قد خرج من باطنه حب المال والجاه وتأسس بنيان تربيته على يد مرشد كذلك، حتى تنتهي السلسلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم واقتبس نورا من أنوار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واشتهر بالسيرة الحسنة، ويبدو من الشروط والمواصفات المذكورة أن الوصول إلى مقام الشيخ المرشد فالذي توجد عنده هذه الشروط والمواصفات يستحق بلا جدال الاقتداء به.[1]

2. 4 – الخطة الدراسية الصوفية:

اتخذت الصوفية من قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر قاعدة في وضع نظام خاص للتعامل بين الطالب وأساتذته وهذه القصة تلقي الضوء على أن الصوفية قد تعلموا منها الكثير ونلخصوها في عدة نقاط من أهمها:

1. الاتفاق بين المعلم والمتعلم في وضع الخطة الدراسية ويتجلى في قوله عز وجل على لسان الخضر مع موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [2] وتحقيق لهذه الآية على الأستاذ أن يضع الخطة الدراسية لطلابه وعليهم أن يسمعوا ما يعرض عليهم ولا يسألوا قبل أن يفسر لهم.

2. أن يحذر المعلم تلاميذه من صعوبة المنهج، وهذا يتجلى في قول الخضر كما ذكر القرآن الكريم ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾.

3. قد يخطئ التلميذ في استعجال العلم إليه أو الفهم قبل أن تصله القرائن أو التأويل للحوادث وهذا ما حدث حينما خرق الخضر السفينة وحينما قتل الغلام وفي إقامة الجدار.

4. للأستاذ الحق أن يتمسك بخطته طالما أن تأكد من صلاحيتها ويتجلى ذلك في قول الخضر عليه السلام في كل مرة يسأل فيها موسى عليه السلام ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [3]

وما يتضمنه التعليم الصوفي "إلباس الخرقة" وأخذ البيعة ولذلك أطلق على الشيخ الصوفي "شيخ الخرقة"، ومن الملاحظ أن الأقدمين من الصوفية لم يكونوا يعرفون الخرقة ومن قرأ كتبهم وتراجمهم لا يجد للخرقة ذكرا ولا لروايتها

1- محمد عقيل المهدلي، **المرجع السابق** ، ص30 ص31.

2- سورة الكهف، الآية70.

3- سورة الكهف، الآية72.

أثرا لم تكن مشهورة وغير متداولة كاشتهارها بين المتأخرين من أهل القرن 5 هـ/11م فمن بعدهم وكان أول ظهورها في القرن 4 هـ/10م في زمن أصحاب الجنيد. **1**

3. أساليب التنشئة في الطرق الصوفية

3. 1– طرق التدريس عند الصوفية:

وقد أخذ أساتذة التصوف طرق التدريس من التربية الإسلامية ذاتها من هذه الطرق هي:

1. طريقة الحلقات.
2. طريقة الزاوية.
3. طريقة السماع.
4. طريقة المناقشة.
5. طريقة الإملاء.
6. طريقة الحفظ والاستظهار.
7. طريقة الفهم.
8. طريقة الرحلة "طلب العلم".
9. طريقة القدوة.
10. طريقة القصص.
11. طريقة ضرب الأمثال.
12. طريقة الاستشهاد.
13. طريقة الشعر، وهي من أهم طرق التدريس لدى أئمة التصوف لما في الشعر من مرونة**2** ، ومما يذكر أن الطرق الصوفية لها الفضل الكبير في استخدامها للزوايا في عصورها التاريخية مثل استخدامها للكتاتيب إلى مطلع القرن العشرين فكان الصوفية يحفظون أطفال المسلمين القرآن الكريم ويعلمونهم تفاصيل العبادات وبذلك كان للصوفية أثرهم في تعليم الناس شؤون دينهم[3] ،وفيما يلي سنحاول شرح بعض الطرق

أ. **طريقة القدوة:**

1– عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المذاهب الصوفية ومدارسها**، مكتبة مدبولي ،القاهرة، الطبعة الثانية،1999، ص 126 ص127.

2– **المرجع نفسه**، ص 124.

3– عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المرجع نفسه**، ص124 **.**

القدوة هي من أفضل وسائل التربية، وهكذا أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة للناس في تطبيق منهج الله في واقع الأرض فكان صلى الله عليه وسلم هاديا ومربيا بسلوكه الشخصي.**1**

ب. طريقة القصص:

تمد القصة القرآنية الفرد والجماعة بالقيم الإسلامية الصادقة بإيجابية في غرس هذه القيم في نفوسهم، وهي إحدى وسائل التربية، لذا فإن "القصة تؤثر في النفس، إذا وضعت في قالب عاطفي مؤثر وهي تجعل القارئ أو السامع يتأثر بما يقرا أو يسمع، فيميل إلى الخير وينفذه"، والقصة القرآنية تستخدم كطريقة من طرق التربية العقلية ومن قصص الأنبياء في هذا المجال على سبيل المثال – قصة سيدنا موسى مع الخضر الذي علمه الله ووقوفه منه موقف التلميذ من أستاذه، فلا يسأل أستاذه عن سبب ما يعمل، فالقيم الإسلامية السامية يؤكد عليها القرآن الكريم في كل صفاته.**2**

ج. طريقة المناقشة:

إذا نظرنا إلى الموقف التعليمي وجدنا أنه يقوم على أساس الاتصال اللغوي بالدرجة الأولى، وهذا الاتصال يمكن أن يتم في صور ثلاث: الصورة الأولى: يقوم فيها المعلم بتوجيه الحديث إلى المتعلمين، والصورة الثانية: يقوم المتعلمون بتوجيه الحديث إلى المعلمين، والصورة الثالثة: يتبادل فيها الدارسون والمدرسون الحديث، والاستماع إلى بعضهم البعض، وهذه هي المناقشة وهي أقرب الطرق إلى روح منهج التربية الإسلامية **3** ، فابن خلدون يرى أن المناقشة والمناظرة تساعدان على فهم المسائل العلمية وينتقد صمت التلاميذ وعدم مناقشتهم وتفاعلهم مع المواقف التعليمية ويرى الزرنوجي أن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من قضاء شهر كامل في الحفظ والتكرار.

ت. طريقة الرحلة "طلب العلم

أي أن ينتقل التلميذ من بلد إلى أخرى لتلقي العلم مباشرة عن أستاذ كبير من مادة من المواد وقد تستغرق الرحلة عدة سنوات، وقد شرح ابن خلدون الأساليب التي جعلت الرحلات في طلب العلم من وسائل التربية فقال "والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينحتون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا"**4**.

3. 2– أدب المريد مع شيخه وإخوانه:

1– علي أحمد مدكور، **نظريات المناهج التربوية**، دار الفكر العربي، القاهرة ، بدون طبعة، 2006، ص 360.

2 – سيد أحمد طهطاوي، **القيم التربوية في القصص القرآني**، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة، 1996، ص72 ص74.

3 – علي أحمد مدكور، **المرجع السابق**، ص 362

4– علي أحمد مدكور، **المرجع السابق** ، ص 362

أ. آداب المريد مع شيخه:

وهي نوعان: **آداب باطنة، وآداب ظاهرة.**

فأما **الآداب الباطنة** فهي:

1.الاستسلام لشيخه وطاعته في جميع أوامره ونصائحه وليس هذا من باب الانقياد الأعمى الذي يهمل المرء فيه عقله، ولكنه من باب التسليم لذوي الاختصاص والخبرة.

2.عدم الاعتراض على شيخه في طريقه تربية مريديه، لأنه مجتهد في هذا الباب من علم واختصاص وخبرة، كما لا ينبغي أن يفتح المريد على نفسه باب النقد لكل تصرف من تصرفات شيخه**1** ،أما التلميذ الذي يأخذ علمه من العلماء فينبغي له مناقشتهم وسؤالهم حتى تتحقق الفائدة العلمية.

3. أن لا يعتقد في شيخه العصمة، فإن الشيخ وإن كان على أكمل الحالات فليس بمعصوم.

4. أن يعتقد كمال شيخه وتمام أهليته للتربية والإرشاد.

5. اتصافه بالصدق والإخلاص في صحبته لشيخه، فيكون جادا في طلبه، منزها عن الأغراض والمصالح.

وأما **الآداب الظاهرة** فهي:

1.أن يوافق شيخه أمرا ونهيا، كموقف المريض مع طبيبه.

2.ينبغي عليه أن يلزم السكوت في مجلس الشيخ، ولا يقول شيئا بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمره الشيخ.

3.دوام حضور مجالسه، فإن كان في بلاد بعيدة فعليه أن يكرر زيارته بقدر المستطاع ولذلك قيل (زيارة المربي ترقي وتربي). **2**

ب.آداب المريد مع إخوانه:

1. حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين فلا يغتاب أحدا منهم، ولا ينقص أحدا.

2. نصيحتهم بتعليم جاهلهم وإرشاد ضالهم، وتقوية ضعيفهم.

3. التواضع لهم والإنصاف معهم وخدمتهم بقدر الإمكان إذ "سيد القوم خادمهم" .

وتلك هي جدلية اللقاء بين الحب الجسدي والحب الروحي والتي يتولد عنها الحب الصوفي، يوصل هذا الحب إلى حالة من الوجود الأعلى والوعي الأعلى..."تجربة الحب هي إذن تجربة عرفان، تكشف للمتصوف أسرار الوجود". وهذا اللون من الطلاب هو المعروف في عرف الصوفية باسم "المجذوب" أو "المأخوذ" أي الذي دفعته قوى سامية إلى سلوك ترتضيه تلك القوى المقدسة لتحرره من نفسه ومن تقاليدها ومن خداعها، وبجب أن نوضح أن سلوك المجذوب هذا ليس مرضا رغم أن عوارضه تتفق تماما مع عوارض الأمراض النفسية وذلك لأن هناك فارق بين المصاب بالعصاب وبين الصوفي، العصابي ناقم ساخط على المجتمع وعلى نفسه بينما الصوفي تغمره السعادة من

1- http://www.shazellia.com/taswef/chosentpc/mureed/htm ، المرجع السابق.

2- محمدعقيل بن علي المهدلي، **المرجع السابق**، ص 37.

كل جوانبه، محب لمجتمعه، وكل مظاهر الوجود، العصابي يقول لو علم الناس ما أنا فيه بكوا علي بدل الدمع دما والصوفي يقول لو علم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف، من أجل تلك الفوارق لم تكن تلك العوارض هي التي تشبه عوارض المرض النفسي مرضا عند الصوفية وإنما هي سلوك إلى المعرفة. **1**

4. إنجازات الطرق الصوفية في خدمة الإسلام:

1- تربية الأفراد وتزكية النفس:

إن الأصل في الحركة الصوفية الاهتمام بتزكية النفوس والارتقاء بالروح على مدارج السالكين لرب العالمين وتنقية الباطن من كل الأدران والذنوب والمعاصي حتى يصفو الباطن ويستقيم الظاهر.

2- الخدمات الاجتماعية والاقتصادية:

لقد أدرك شيوخ الطرق الوسيلة المثلى للحفاظ على المسلمين من خطر الذوبان في المخطط التنصيري لاستيعاب المسلمين فأسسوا المزارع الجماعية والتي كانت تعرف بمزارع الشيخ تقدم من خلالها المساعدات المادية للمريدين خصوصا والمسلمين.

3- التعليم الديني الرسمي:

بعد هبوب رياح التغير على كثير من دول شرق إفريقيا سمحت بتأسيس مدارس خاصة أو إدخال مادة التربية الإسلامية في المناهج الحكومية ، وبادر الكثير من رجال الطرق الصوفية إلى صياغة منهاج التربية الإسلامية وكانوا نعم الإطار البشري لهذه المدارس **2**، ويمكن القول أن بعض الزوايا والمدارس القرآنية استطاعت أن تكون مركز إشعاع علمي وديني ومن الدروس التي كانت تقدمها الزوايا: درست التفسير والحديث وأصول الدين والفقه وأصول الفقه وفي اللغة العربية النحو والصرف والبلاغة والأدب .....الخ .

4- حركة التأليف والكتابة:

لقد كان شيوخ الطرق الصوفية سباقين للخوض في التأليف والكتابة في شتى الفنون فشمروا على سواعد الجد وألقوا من الأسفار والكتيبات وكتبوا من المقالات في الجرائد الناطقة بالعربية. **3**

5- إنشاء المدارس القرآنية و الأربطة والزوايا:

كان التعليم الديني أكبر مجالات الاستثمار بالنسبة للطرق الصوفية عموما وفي شرق أفريقيا خصوصا حيث أخذت جميع الطرق الصوفية على عاتقها مهمة تعليم الناس أمور دينهم**4** ، ولم تمر فترة طويلة حتى زخرت الجزائر شمالا وجنوبا وشرقا وغربا بالزوايا والمدارس القرآنية ومن أشهرها زاوية سيدي صدوق في بلاد القبائل، وزاوية الهامل

1- سفيان زدادقة، **أدونيس بين الحب والعشق الإلهي**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، العدد 06، 2008، ص 92 .

2- عبد الحق ميحي، **الحركة الصوفية وأثرها على الإسلام في شرق إفريقيا**، مجموع محاضرات مبرمجة ، خلال الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين بعين ماضي ، وزارة الشؤون الدينية الجزائر، نوفمبر 2006، ص 188. ص 191

3- نجيب بن خيرة ، **الزوايا في الجزائر وفريضة التعليم الغائبة**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر ، ص 164 ص166.

4- عبد الحق ميحي ، **المرجع السابق**، ص 189.

ببوسعادة وقدرت الزوايا في المدن الكبرى بـــ 50 زاوية في منطقة بجـــاية و 24 زاوية في العاصمة و 30 زاوية في تلمسان ...و أهم ما قامت به هذه الزوايا المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وقطع الطريق أمام أعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين وقد اقترح التعليم القرآني في الزوايا ما يلي:

1) إدراج مادة التفسير الموضوعي في برنامج تحفيظ القرآن لأن الحفظ دون الفهم يؤدي إلى الملل.

2) إشاعة روح المنافسة والتشجيع على الحفظ بين كتاتيب الزوايا وذلك عن طريق إجراء مسابقات جهوية ووطنية بين الطلاب وتقديم الهدايا لهم **1**.

6- تولي القضاء:

كان علماء الصوفية محل ثقة السلاطين وأنسب من يتولى هذا المنصب فنصبو مراجعة الجملة قضاة الشرع الحنيف و من أبرز العلماء الذين تولوا القضاء الشيخ محي الدين القحطاني في عهد السلطان سعيد بن سلطان البوسعيد و الشيخ عبد العزيز الأموي والشيخ الأموي.

7- المشاركة الفعالة في النشاط السياسي:

الكثير يعتقد أن التصوف هو العزوف عن الدنيا والبعد عن كل مظاهر النشاط البشري، والحق خلاف ذلك وهو إعدادها لتحمل رسالة الإسلام وتحمل تكليف لا تشريف ومن بين هذه التكاليف إقامة منهج الله في الأرض وإعلان الجهاد في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمة الله، ولقد كان للحركة الصوفية عبر تاريخها الطويل السجل الحافل في جهاد الكفار وإعلاء كلمة التوحيد.**2**

5 . الآثار الاجتماعية للتصوف

التصوف في حقيقته مجموعة من المبادئ المتكاملة التي تحكم تصرفات أصحابه في مختلف أوجه حياتهم الروحية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتطبعهم بطابع خلقي خاص وقد اهتم التصوف اهتماما كبيرا بالتربية الأخلاقية لارتباطهما ببعض ارتباطا وثيقا، فلا روحية دون أخلاقية، فالحياة الروحية من ناحية وقاية أمراض قسمها البعض إلى قسمين:

الأول يشمل النفسية المتمثلة في الشعور بالضيق والقلق والكآبة والانهيار أما المشكلات التي قد تؤدي بمن يصاب بها إلى الانتحار.

والثاني ويشمل الأمراض الجسمية التي تنقسم أيضا إلى نوعين : الأمراض التي تصيب الجسم نتيجة تأثير الحالات المرضية السابقة ، والأمراض الجسمية نتيجة الرذائل الأخلاقية والجرائم التي يرتكبها الذين انعدمت عندهم القيم والسلوكيات الروحية، وفي ضوء ما تقدم ذكره يبين الأثر النفسي للتصوف في حل كثير من المشاكل التي لا حل لها دنيويا والتي أوجدتها مسيرة الحياة الروحية النفسية والطمأنينة والرضا، وتجنبه الشعور بالقلق والضيق والخوف من

1- نجيب بن خيرة، **المرجع السابق**، ص163 ص 165.

2- عبد الحق ميحي، **المرجع السابق**، ص 190 ص 191.

أمثال هذه المشاعر وما ذكره أبو الوفا التفتازاني عن التصوف بأنه محاولة من الإنسان للتسلح بقيم روحية جديدة تعينه على مواجهة الحياة المادية**1**.

5 .1– آثار التصوف على العمل: العمل واجب لله تعالى ولكن الرازق هو الله، والعمل سبب ظاهري لا يترتب عليه الرزق وهو مجال الأعمال الصالحات واختيار سلوكي للإيمان يرفع الناجح في اجتياز إلى أعلى الدرجات كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "التاجر الصدوق الأمين يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"**2**. شعور المريدين بالثقة بالله والتوكل عليه في عدم الالتفات إلى الظلم الذي يوجه إليهم من قبل الرؤساء أو الزملاء في العمل بل محاولة الارتفاع والعلو على هذا الظلم كنوع من التسليم لإرادة الله**3**.

5 .2– أثر التصوف على الأسرة: فيما يتعلق برأي المتصوف في أثر سلوكهم في الطريق الصوفي على معاملتهم لزوجاتهم، وما يطرأ من تغيرات فقد أجمعوا على حدوث تغيير فعلي وأن دخلوا الطريق الصوفي قد انعكس إيجابيا على معاملتهم لزوجاتهم، فالتجربة الصوفية تتمثل في المراحل الثلاث بصورة واضحة من خلال آيات القرآن الكريم فقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}**4**،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}**5**،{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ }**6**

5 .3– التصوف والقدوة: إن التغير الواضح الملحوظ في المتصوف يبدو أساسا في تغير الفرد معنويا وهذا ينعكس في سلوكه الذاتي–أولا– الناتج عن بعض الإشاعات الفردية المترتبة على بعض التغيرات التي تصيبه في بداية الطريق كالهدوء النسبي عوضا عن العصبية والمودة والرحمة في المعاملة بدلا من الشدة وغيرها من الصفات الذاتية التي أثر فيها الطريق بشكل واضح. فالصوفي الذي يحس بالحقيقة تنحدر فيه من منبعها بقوة فعالة، لن يستطيع أن يمنع نفسه عن نشرها لذلك يبدأ الصوفية لتحقيق هذا بأن يكونوا هم القدوة**7** ، وليس المقصود هنا القدوة سلوكيا (خارجيا) بل القدوة نفسيا (داخليا) ، القدوة بحالهم الداخلي من مشاعر الحب والإخلاص والرضا ثم انعكاس هذه المشاعر على شخصهم وذاتيتهم من استقرار نفس وطمأنينة وسعادة ثم سلوكهم ومعاملتهم فالتجربة الصوفية تحاول الحياة الإنسانية وتغير الشخصية مما هو دني وأناني إلى ما هو نبيل ونزيه**8**. فوجود النماذج الصالحة لها تأثير

1– أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، **أدعياء التصوف كثيرون**. مجلة التصوف الإسلامي، العدد 98، مارس 1987، ص4.

2 – أخرجه الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري ، الفتح الكبير، ص40.

3– أحمد أبو زيد، **ماكس فيبر والظاهرة الدينية**، عالم الفكر، المجلد13، العدد الثالث، ص307.

4– سورة المائدة، الآية 105.

5– سورة التحريم، الآية 6 .

6– سورة آل عمران،الآية 104 .

7 – هنري برجسون ، **منبعا الأخلاق والدين**، تعريب سامي الدروبي وعبد الله الدائم، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط1، 1945، ص210.

8 – محمد كمال جعفر، **التصوف طريقا وتجربة ومذهبا**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1980، ص26.

في تربية النشء إذ من أهم وسائل التربية المحاكاة لأن التربية في جوهرها إقلاع عادات فاسدة من نفس الإنسان ومحاولة تعويده على عادات أخرى حسنة**1**.

5 .4- أثر التصوف في الضبط الاجتماعي:

التصوف من غاياته أن ينشر الخلق القويم بين طبقات المجتمع والخلق القويم هو الدعامة الأولى التي عليها المجتمع أمنه واستقراره**2** ، ومن ثمة يتضح أثر الطريقة الذي لا يمكن إنكاره على الحياة الاجتماعية التي هي بمثابة دعوة لتدعيم المبادئ والقيم الدينية ونداء للتمسك بالآداب والأخلاق الإسلامية التي لا بديل لها لخلق مجتمع فعال بناء. والحقيقة التي لا يمكن إغفالها دور التصوف الإيجابي في تشييد الدول الإسلامية باعتبار أنه يسقي منابعه من الدين الحنيف وهو الذي ظل حافظا لرسالة الإسلام، يجاهد في سبيلها ويعمل من أجلها وهو الذي أجلّ إدراكا لمعنى الدين فاحترام مقدساته ونفّذ تعاليمه وتولى الدفاع عنه**3**.

---

1 – أبو الوفا التفتازاني، **التربية الإسلامية منهجها وأهدافها**، مجلة التصوف الإسلامي، العدد 105، 1987، ص4.

2 – أحمد إدريس الإدريسي، **التصوف وأثره في المجتمع** ، ندوة الطرق الصوفية، دور الطريقة التيجانية، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ديسمبر 1985.

3– عبد الحميد فرغلي علي القربي، **التصوف والحياة العصرية**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ، 1984 ، ص15.

خلاصة الفصل :

ما أردنا التركيز عليه في هذا الفصل هو عملية التربية الصوفية التي يتلقاها المريد والتربية الخلقية والروحية وأساس هذه التربية مستمدة من الدين الإسلامي الحنيف تهدف هذه التربية الروحية إلى تربية الإنسان على القيم الدينية و ممارسة النشاط الروحي، ممارسة صحيحة لتصفية الروح من أخلاق الهلع والجزع واليأس والجبن والشح هذا بطريقة أو بأخرى يؤثر على تنشئة الأبناء و تأثرهم بأبيهم المريد داخل الأسرة والتي هي البيئة الاجتماعية الأولى التي تستقبل الطفل منذ الولادة وتستمر معه مدة قد تطول أو تقصر وتعتبر الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل أهم السنوات في اكتساب الطفل الصفات والخصائص الاجتماعية الأساسية والدعائم الأولى للشخصية حيث تقوم الأسرة بتعليم الطفل قيما مثل الحب والكره والغيرة والإيثار والتعاون والتنافس والتسلط والخضوع والاحترام للملكية الفردية والجماعية والادخار والإسراف وغير ذلك من العمليات الحياتية، كما أن الأسرة هي المكان الوحيد في مرحلة المهد وما بعدها بقليل للتربية المقصودة ولا تستطيع أي وكالة أخرى أن تقوم بهذا الدور فهي تعلم الطفل عند تقيمه لسلوكه، والوالدان لديهما أفكار عن الخصائص الشخصية والاجتماعية التي يرغبان تحقيقها في أطفالهم، وتعد الأسرة أول موصول لثقافة المجتمع والطفل، وسنحول من خلال دراستنا الميدانية أن نستكشف مدى حرص الآباء المريدين على نقلهم للقيم الدينية التي تلقوها في الزاوية التجانية لأبنائهم.

الفصل الرابع

علاقة الآباء بالأبناء في الطريقة التجانية

تمهيد

المبحث الأول: المحددات الميدانية

المبحث الثاني: التزام الأب المريد في الطريقة التجانية والقيم الدينية للأبناء.

المبحث الثالث: ولاء الأب المريد لمرجعيات ومشايخ الطريقة التجانية والقيم الدينية للأبناء.

خلاصة الفصل

تمهيد

تعتبر الدراسة الميدانية من أهم مراحل البحث والتي يمكن للباحث من خلالها جمع البيانات والمعلومات حول مجال بحثه ثم يقوم بتفريغ تلك البيانات والمعلومات وتفسيرها وتحليلها وفقا للأساليب المنهجية للحصول على نتائج تكون بمثابة اختبار للجانب النظري ويجب أن يكون هناك تكامل وتناسق بين شقي البحث النظري والإمبريقي(الميداني) ولعل هذا التكامل سوف يعطي للدراسة السوسيولوجية أكثر موضوعية وتكاملا للمعطيات أثناء تفعيل عملية الفهم والتحليل والتركيب بين متغيري الدراسة وعلى هذا الأساس فإن محاولة أي باحث لتقديم عمل بحثي ملم بجميع حيثيات المشكلة الاجتماعية (موضوع الدراسة)، متوقف على وضع إطار منهجي مرتب ترتيبا منطقيا من أجل تقديم الحلول الواقعية والموضوعية لإشكالية البحث

المبحث الأول: المحددات الميدانية:

1. المنهج المستخدم في البحث:

لتحليل وتقصي أي موضوع ودراسته ينبغي على الباحث تطبيق منهج يتفق مع طبيعة الموضوع المراد دراسته ويعرف المنهج "بأنه الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته لمشكلة من أجل اكتشاف الحقيقة وهو مجموعة من القواعد التي وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم"**1**، و"يعبر المنهج عن الخطوات المنظمة التي يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها إلى أن يصل إلى نتيجة معينة"**2**، وهو "عبارة عن سلسلة من المراحل المتتالية التي ينبغي إتباعها بكيفية منسقة ومنظمة"**3** .

والمنهج المستخدم تحدده طبيعة الدراسة، فإنه وتبعا لما تم التطرق إليه فإن المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج الكمي وهو الذي يتماشى مع طبيعة موضوع البحث وكونه يتلاءم مع طبيعة الدراسة ويصف لنا الظاهرة فهو أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن الظاهرة أو موضوع محدد من خلال فترة أو فترات زمنية معلومة وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية.[4]

1– صلاح الدين شروح، **منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية**، دار العلوم، عنابة ، الجزائر، 2003، ص 59.

2– عمار بوحوش. محمد ذنيبات، **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1985، ص 12.

3– موريس أنجرس–ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، دار القصبة للنشر، ط 2، الجزائر، 2008 ، ص37.

4– محمد عبيرات ومحمد أبو نصار، **منهجية البحث العلمي**، دار وائل للنشر، ط2، الأردن، 1999، ص 46.

2. أدوات جمع البيانات:

تقنيات وأدوات البحث هي الوسيلة التي تمكن الباحث من الحصول على البيانات من مجتمع البحث وتصنيفها وجدولتها وتختلف هذه التقنيات والأدوات حسب الموضوع المدروس كما أن لها علاقة بصورة أو بأخرى بالمنهج المستخدم لذلك فإنها تستدعي الدقة في الاختيار، وبناء على المنهج المتبع في الدراسة أو في ضوء متطلبات الدراسة من الناحية الميدانية وأهمية الحصول على البيانات اللازمة والتي من شأنها أن تساهم إلى حد ما في نجاح الدراسة إذا ما تم تطبيقها بموضوعية وفاعلية ونظرا لطبيعة الموضوع فقد اعتمدنا على أربع تقنيات ولكن تركزت دراستنا على الاستمارة بالمقابلة

2 .1 المقابلة: تعرف بأنها تلك الأداة التي تستخدم لدراسة سلوك فرد أو أفراد والحصول على استجابة لموقف معين أو لأسئلة معينة وملاحظة النتائج المحسوسة للتفاعل الجماعي أو الاجتماعي[1] ، وقد اعتمدنا على هذه التقنية لجمع بعض المعلومات لتدعيم الموضوع وللاستفادة منها في التحليل وكانت مع شيوخ الطريقة التجانية والآباء المريدين وأبناء المريدين.

2. 2 الاستمارة بالمقابلة: وتتم عن طريق الطرح الشفوي للأسئلة وتسجيل الإجابات وهذا يتطلب من الباحث وقتا وتدخلا أكثر وكذلك الشأن بالنسبة للذين يقومون بتقديم الاستمارة.[2]

واستعملناها كتقنية أساسية لجمع البيانات في المعطيات التي تخدم الفرضيات وهي عبارة عن 39 سؤالا موجهة إلى الآباء المريدين في الطريقة التجانية بمنطقة عين ماضي ليكون الحوار منظما ومسيرا وكانت مباشرة مع المبحوثين الذين صرحوا بعدم فهمهم للأسئلة أو أنهم لا يتقنون القراءة أما البعض فأسروا على أخذ الاستمارات معهم لكي يتمكنوا من فهم الأسئلة جيدا وقد تنوعت أسئلة الاستمارة بين المغلقة والنصف المغلقة التي تحمل إما بدائل كثيرة أو يكون أحده مفتوحا إضافة على بعض الأسئلة المفتوحة والتي رغم صعوبة جدولتها تترك للمبحوث حرية أكثر وقد مر تصميم الاستمارة على مرحلتين هما:

أ- المرحلة الأولى: بعد الانتهاء من صياغة أسئلة الاستمارة وترتيبها ووضع عناوين لموضوعاتها الفرعية تم القيام بتطبيق أولي للاستمارة على عدد محدود من المبحوثين 20 أبا مريد في الطريقة التجانية بعين ماضي كان الهدف من هذا هو اختبار مدى صلاحية الاستمارة وسلامة أسئلتها سواء من ناحية الأسلوب أو الغموض أو ترتيبها من السهل إلى الصعب وهكذا.

1- خير الله عصار، **محاضرات في منهجية البحث العلمي**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 72 .

2- موريس أنجرس، **المرجع السابق** ، ص206

ب- المرحلة الثانية: بعد إجراء التعديلات اللازمة التي لحظناها وإضافة بعض المؤشرات وحذف أسئلة لم تكن لها أهمية مع مناقشة الأستاذ المشرف في التعديلات التي وضعناها قمنا مباشرة بضبط الاستمارة في شكلها النهائي والتي شملت 4 محاور

المحور الأول: وأشتمل على البيانات التعريفية الهامة ومؤشرات السن المستوى التعليمي الحالة العائلية العمل والمهنة.

المحور الثاني: وضم بيانات خاصة بالالتزام الأب المريد في الطريقة التجانية وقد احتوى هذا المحور على 11 سؤالا(من 06 إلى 16).

المحور الثالث: وأشتمل بيانات خاصة بولاء الأب المريد للمشايخ ومرجعيات الطريقة التجانية واحتوى هذا المحور على 12 سؤالا(من 17 إلى 29).

المحور الرابع: وشمل هذا المحور بيانات خاصة متعلقة بالقيم الدينية للأبناء واحتوى هذا المحور على 9 أسئلة (من 30 إلى 39).

2. 3 الملاحظة: هي أداة هامة من أدوات جمع البيانات ومن الصعب أن نتصور دراسة جادة للسلوك الاجتماعي لا تلعب فيه الملاحظة دورا هاما ومما يزيد من أهميتها أنها يمكن أن تستخدم في أنواع البحوث الاجتماعية الكشفية والوصفية والتجريبية[1]، وهذا ما لحظناه عند دخولنا إلى حقل الدراسة حيث عاينا العلاقة بين الآباء المردين وبين أبنائهم داخل الزاوية وفي مسجد الزاوية وعلاقتهم بالمردين والأبناء مع الأبناء أثناء مجالس الذكر والاحتفالات التي تقوم بها الزاوية وإلى مدى هم متجاوبون مع بعضهم إضافة إلى ملاحظة حضور الأبناء بقوة في هذه التجمعات ولقد توضحت من خلال هذه الأداة رؤية واضحة حول طبيعة البيئة الداخلية للزاوية التجانية وطبيعة علاقة الآباء المريدين ببعضهم وبأبنائهم ومع مشايخهم ولعل هذه الملاحظة قد طابقت إلى حد كبير ما توصلنا إليه من نتائج عند استخدامنا للاستمارة.

3. البحث الاستكشافي:

وهو تمثل أول خطوة في البحث وتشمل جمع المعلومات النظرية التي لها علاقة مع موضوع البحث وهي ذات أهمية بالغة بحيث تثري الدراسة والمصادر والمراجع ولذلك قمنا بزيارة المكتبات الجامعية كالمركز الجامعي بغرداية وجامعة عمار ثليجي بالأغواط، وجامعة الجلفة، والجامعة المركزية الجزائرية، إضافة إلى بعض المكتبات المحلية مثل مكتبة القدس، ومكتبة سلسبيل، ومكتبة المركز الثقافي الإسلامي، ومكتبة بن كريو بالأغواط، ثم قمنا بزيارة مقر

1– طلعت إبراهيم لطفي، **أساليب البحث الاجتماعي**، دار غريب، القاهرة، 1995، ص77.

الزاوية التجانية وذلك من أجل جمع المعطيات وفي نفس الوقت أجرينا بعض المقابلات مع الآباء المريدين من أجل الوقوف على بعض المؤشرات والأبعاد التي طرحناها في الإشكالية وبعد هذه الخطوات قمنا بتوزيع الاستمارات على الآباء المريدين في الزاوية والتي كانت عينة البحث فيها 200 أبا مريدا وتم ذلك في الفترة الممتدة ما بين 2 فبراير2012 إلى 4 مارس 2012 قمنا بجمع الاستمارات التي أصر على أخذها الآباء المريدين وتم تفريغها وتبويبها باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS [1]

يعتبر تحديد مجالات الدراسة إحدى الخطوات المنهجية التي لا يمكن الاستغناء عنها في الدراسة السوسيولوجية كون هذه الخطوة تبين المنطقة التي أجريت بها الدراسة والأفراد الذين أسقطت عليهم هذه الدراسة والمدة الزمنية المستغرقة وبالتالي تحديد المجال المكاني والزماني

4.المجال المكاني والزماني

1.4 تحديد المجال المكاني: تم تحديد مكان الدراسة الميدانية بدائرة عين ماضي الواقعة بالجنوب الشرقي لولاية الأغواط حيث تبعد عنها حوالي 70 كلم وتبعد عن الجزائر العاصمة ب 470 كلم يحدها من الشمال الشرقي تاجموت ومن الشمال بلدية الغيشة وبلدية واد مزي ومن الحدود الغربية الغيشة وتاجرونة أما من الجنوب الغربي ولاية البيض وشرقا الحويطة وحاسي الرمل ويرجع أصل تسميتها إلى "ماضي بن يقرب" وهي عبارة عن عين حملت اسم الأمير ماضي بن يقرب الهلالي حيث بنيت في القرن الرابع هجري وقيل في شأن"ماضي بن يقرب(إنه ينتمي إلى بطون الملايين الذين قدموا من شبه الجزيرة العربية) حيث تتموقع الزاوية حاليا في وسط عين ماضي ويقع في الشمال منها محط السلطان وفي الجنوب منها حي الساتة، وشرقا الحي الجديد، ويقع القصر العتيق في غربها مساحتها تتجاوز 1000م2 وأنشأت الزاوية التجانية منذ أن أصبح السيد أحمد التجاني شيخا للطريقة في 1196هـ 1482م.

2.4 تحديد المجال الزمني: بدأت الدراسة الاستطلاعية في شهر أفريل2011 منذ استلامنا موافقة الموضوع فكانت أول زيارة لنا للزاوية التجانية بعين ماضي بتاريخ 25 ماي 2011 حيث لم نكن نعرف حتى مكان الزاوية وبفضل أحد سكان المنطقة توصلنا إلى مكانها المتواجد بمحط السلطان وهي الزاوية الجديدة فكانت المقابلة الأولى مع الشيخ الخليفة محمد بن العرابي وأولاده، وفي الزيارة الموالية غيرنا الوجهة إلى الزاوية القديمة مقر الخلافة التجانية حيث قمنا بزيارة جميع الأماكن الأثرية في تلك المنطقة بهدف الاستطلاع وكذلك ذهبنا إلى المدارس

[1] – للمزيد حول هذا البرنامج وطرق استخدامه أنظر سعد زغلول بشير، **دليلك إلى البرنامج الإحصائي Spss**، المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية، العراق، statical package for social science

القرآنية وأجرينا العديد من الزيارات واكتسبنا الكثير من المعلومات فيم يخص علاقة الآباء مع الأبناء في الزاوية من خلال ما لحظناه أثناء الزيارة، ثم تم النزول النهائي إلى الميدان في 10 سبتمبر 2011 وتصادف ذلك مع شهر رمضان الكريم، وأجرينا مقابلة مع مقدم الزاوية محمد الحبيب التجاني ومع أعيان الزاوية وبعد ذلك تم ملء الاستمارة وكانت تجري كل مقابلة مع كل أب مريد على حدا وذلك لتوضيح الأسئلة أكثر وتبسيطها للمبحوثين، إلى غاية يوم 04 مارس 2012 تم الانتهاء من المقابلات واسترجاع الاستمارات

5. اختيار العينة:

للعينة دور كبير في نجاح البحث الإمبريقي لذلك يتوجب أن يكون مجتمع البحث ممثلا ومتجانسا يخدم أغراض وأهداف البحث ولهذا يقوم الباحث باختيار العينة التي يحتاجها موضوع بحثه فطبيعة الموضوع وأهدافه هي التي تحدد للباحث طبيعة العينة[1] .

ويصعب تعداد التجانيين في المنطقة لهذا اعتمدنا على العينة القصدية وذلك من أجل الإجابة على الأسئلة المطروحة في بحثنا فقصدنا مقر الزاوية وبالتحديد يوم الجمعة بعد صلاة العصر أين يجتمع جميع المردين لأداء الوظيفة فاخترنا200 فرد عن طريق استعمال العينة الاحتمالية القصدية التي تستخدم عموما في الدراسة الاستطلاعية والتي تتطلب قياس واختبار الفرضيات المحددة وخاصة إذا كان مجتمع الدراسة أو البحث غير مضبوط الأبعاد بحيث عند نزولنا إلى الميدان تم توزيع 200 استمارة 100منها كان بالمقابلة لكن ظهرت لنا بعض العراقيل والصعوبات والتي تمثلت في عدم تفاعل المبحوثين معنا وتهربهم من سلسلة الأسئلة مع شرحنا وتوضيحنا لمحتوى الاستمارة حيث قمنا بمقابلة 100 شخص كل على حدا لتوضيح وشرح الأسئلة الغامضة والغير واضحة بالنسبة للمبحوثين كان ذلك في أيام الجمعة وبالتحديد بعد صلاة العصر وبعد الانتهاء من الوظيفة ما جعلنا نستعين ببعض المساعدين لمساعدتنا في ذلك مما اضطررنا لتكرار النزول إلى الميدان واسترجاع 36 استمارة فقط فضبط عدد الاستمارات ب 136 وبعد الانتهاء من جمع الاستمارات تم تفريغ البيانات وتحليلها سوسيولوجيا .

[1]– موريس أنجرس، **المرجع السابق**، ص 301.

6.البيانات التعريفية

يعد متغير السن من أهم المؤشرات في البحوث السوسيولوجية، ما يمكنه أن يؤثر في منحنى الدراسة، ولهذا قمنا بطرح سؤال على المبحوثين، والذي من خلاله نتعرف على أهم الفئات العمرية لعينة بحثنا والجدول التالي يوضح ذلك

جدول رقم 01: يمثل توزيع العينة حسب السن

الفئات	التكرار	% النسبة
]35[أقل من	1	7
]45-36[	32	23,5
]55-46[	78	57,4
]65-56[	18	13,2
فأكثر[66[	7	5,1
المجموع	**136**	**100**

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن نسبة 57.4% هي أعلى نسبة وتمثل المبحوثين الذين تتراوح أعمارهم ما بين [46-55] تليها نسبة 23.5% للفئة العمرية[36-45]ثم نسبة 13.2% للفئة العمرية [56-65] بينما نسبة المبحوثين للفئة العمرية]الأقل من 35] مقدرة بـ7% ثم النسبة المعرفة على المجال[66فأكثر[بنسبة قدرت بـ 5.1 %.

إذن وحسب النتائج المحصل عليها من خلال الجدول وما دله المنوال المعبر عن النسبة الكبرى 57.4% يمكن أن نقول عن هذه الفئة أنها تشربت الفكر الصوفي للطريقة التجانية خاصة في مرحلة الشباب آنذاك والتي صادفت مرحلة تنشئتها وكان ذلك في مرحلة بناء الدولة الجزائرية، أي أثناء الاستقلال وما خلفه الاستعمار من دمار للهوية، فلم يجدوا سوى الهروب إلى الزوايا للتعلم وحفظ القرآن، الذي كان ولا زال من صفاتها وأهدافها الرئيسية مما زاد من تشبثهم بها فيمكن أن نقول أنهم برمجوا على المنهج الصوفي إن صح التعبير، فكانت تنشئة صوفية متينة، أما في ما يخص المرحلة العمرية]الأقل من 35] فتكاد تنعدم في العينة لأن هذه الفئة فتية تأثرت بالتيارات الدينية الأصولية وأصبحت هذه التيارات تجذب إليها الفئات العمرية الشابة، لتكوينها على فكرها الحركي الذي تتبناه والذي يناقض الفكر الصوفي،كما أن الطرق الصوفية ارتبطت في نشأتها بالطبيعة البدوية

الجزائرية وبالتالي فإن موجة الحداثة التي اجتاحت المجتمع الجزائري جعلته أقل إقبال على الطرق الصوفية ومناهجها التعليمي.

يلعب المستوى التعليمي أيضا دورا مهما في توجّه الفرد هذا ما سيوضحه الجدول التالي.

جدول رقم 02 : يمثل توزيع العينة حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة%
بدون مستوى	16	11,8
ابتدائي	62	45,6
متوسط	22	16,2
ثانوي	20	14,7
جامعي	16	11,8
المجموع	**136**	**100,0**

تشير النسب الواردة في الجدول أعلاه أن جل أفراد العينة لديهم مستوى ابتدائي بنسبة 45.6% ، تليها نسبة 16.2%وتمثل أفراد العينة الذين لديهم المستوى الثانوي، ثم نسبة 14% تمثل أفراد العينة الذين لديهم المستوى الجامعي، بعد ذلك نسبة 12.5% و تمثل أفراد العينة الذين لديهم مستوى المتوسط ونسبة 11.8 % وتمثل أفراد العينة الذين لم يتمدرسوا إلا أن أغلبهم يتقن القراءة والكتابة لاحتكاكهم بالزاوية والمنهج التربوي الصوفي.

إذن كما لاحظنا سابقا أن أغلبية المريدين هم من المستوى التعليمي البسيط (الابتدائي أو بدون دراسة) هذا ما يدل على أنه كلما كان ارتفاع في المستوى التعليمي يغلب الجانب العلمي العقلي على تفكير الفرد، فهذا الذي أدى إلى عزوف الطبقة المثقفة العالية التعليم عن الزوايا والمنهج الصوفي لها، أما إذا كان الفرد له مستوى بسيط أو لم يدرس فنجده يؤمن بالمنهج الصوفي ونجده يتمتع بجانب روحي تأملي بخلاف من يتكلمون عن الحداثة والتطور.

وبالاستقرار العائلي تتغير الصورة ما يعطي أهمية لنعرج على الحالة العائلية للمبحوثين والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم 03: يمثل توزيع العينة حسب الحالة العائلية

الحالة العائلية	التكرار	النسبة%
متزوج	121	89,0
مطلق	4	2,9
أرمل	11	8,1
المجموع	**136**	**100,0**

تشير النسب الواردة في الجدول أعلاه أن جل المبحوثين متزوجون وذلك بنسبة 89.0 % والأرامل بنسبة 8.1 % بعد ذلك نسبة 2.9 % وهم أفراد العينة المطلقون

مما يشير إلى أن مجتمع البحث يولي أهمية بالغة لهذا المطلب (الزواج) فهو يستمد منهجه من السنة النبوية وهذه الأخيرة تحث عليه فمثلا عند مجالستنا لأفراد العينة وفتحتنا معهم النقاش حول هذا الموضوع يرون بأن من يريد الزواج يجد العون من الله فيستدلون بأحاديث نبوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف"انتهى نص الحديث، ويبغضون الطلاق رغم أنه من المشروعات، إلا أن أغلب المطلقين صرحوا بتضمر عن طلاقهم. فأغلب المتزوجين من أفراد العينة هم عمال ما يبينه الجدول التالي

جدول رقم 04: يمثل توزيع العينة حسب العمل

العمل	التكرار	% النسبة
بدون عمل	15	11.0
عامل	121	88.0
المجموع	**136**	**100,0**

تؤكد البيانات الواردة في الجدول أعلاه، أن أغلب المبحوثين هم عمال ويمثلون 88.0% من مجموع العينة سواء موظفين في مختلف قطاعات الدولة (أساتذة في أطوار التعليم المختلفة ، أساتذة جامعيون...) أو

في ميدان الإدارة (محاسب أو مهندس في الإعلام الآلي ...) بالإضافة إلى الوظائف الحرة (التجارة وتربية المواشي..) لأن الزاوية تقع في منطقة بدوية رعوية ومما لا جدال فيه أن للعمل أهمية كبرى بالنسبة للفرد والمجتمع فهو غاية إنسانية وواجب اجتماعي في الحياة وهو في نفس الوقت من القيم التي تصل إلى مستوى العبادة، فكل مريد في الزاوية مقتنع بأن العمل الشريف نوع من العبادة والتقرب من الله ويرى هـ من خلال عمله استجابة لأوامر الله تعالى(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ)[1] وبالتالي هو مقتنع بأنه يجب أن يؤدي عمله على أكمل وجه كما يؤدي صلاته بكل تبتل وخشوع، وما تبقى من العينة بنسبة 11.0% هم أفراد العينة الذين لا يعملون فيهم الكبار في السن الذي خرجوا إلى التقاعد المسبق وفيهم الضرير الذي لا يستطيع العمل.

والجدول الموالي يوضح مهنة كل عامل من أفراد العينة.

جدول رقم 05 : يمثل توزيع العينة حسب المهنة

المهنة	التكرار	النسبة%
عامل حر	43	31,6
موظف	61	44,9
إطار	9	6,6
إطار سامي	8	5,9
بدون عمل	15	11,0
المجموع	**136**	**100,0**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن أغلب المبحوثين هم موظفون ويمثلون 44.9% من مجموع أفراد العينة، من معلمين وأساتذة وموظفين في قطاع الصحة وفي إدارات أخرى، ثم تليها نسبة 31.6% من أفراد العينة الذين يشتغلون في مهن حرة (حدادة، نجارة، زراعة، تجارة، رعي...) ثم بعد ذلك نسبة 11.0% من أفراد العينة الذين هم بدون مهن خرجوا إلى التقاعد والتقاعد المسبق أو كبار في السن كانوا في السابق يشتغلون مهنا حرة ثم نسبة 6.6% من أفراد العينة والتي تمثل الإطارات ثم آخر نسبة 5.9% من أفراد العينة والتي تمثل الإطارات .

[1]- سورة الذاريات ، الآية 56.

يتضح من الجدول أن أغلب أفراد العينة هم عمال بغض النظر عن اختلاف مهنهم ومستوياتهم لأنهم يعملون بمبدأ الحديث الشريف " اليد العليا خير من اليد السفلى"كما قال أحد المبحوثين ويتضح أيضا أن إتباعهم للطريقة لا يحدده مستوى ولا دخل، أيضا نلاحظ أنه كلما زاد المستوى التعليمي قلت نسبة المريدين مما يدل على أنه كلما زادت نسبة الوعي والمستوى الاجتماعي قلّ الاتجاه إلى الجانب الروحي التعبدي التأملي وذلك بسبب تعزز مادية الفرد.

المبحث الأول: التزام الأب المريد في الطريقة التجانية و القيم الدينية للأبناء

وضعنا الفرضية الأولى والتي مفادها أنه كلما زاد التزام الأب المريد في الطريقة التجانية زاد نقله للقيم الدينية لأبنائه، والالتزام هو المداومة و المواظبة على الشيء أو المصاحبة له،كأن تقول : لزم الشيء يلزمه، ولازَمه ملازمة، ولِزاماً و ألتزمه، و ألزمه إياه فلتزم، ورجل لُزَمَة : يلزم الشيء فلا يفارقه[1]

و في الحديث " من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب" رواه أبو داود وابن ماجة وضعفه الألباني.

وفي الأثر" كانت عائشة رضي الله عنها إذا عملت عملا لزمته " أي داومت عليه وصاحبته .

ولقد اعتمدنا على المؤشرات التالية، الالتزام بأداء الصلاة مع الجماعة، الالتزام بأداء الورد المعلوم في وقته الالتزام بقراءة القرآن، الالتزام بحضور الوظيفة، الالتزام بحضور احتفالات المولد، الالتزام بحضور الهيللة وما مدى تأثير ذلك على الأبناء.

1. الالتزام الأب المريد بأداء الصلاة مع الجماعة وتأثير ذلك على الأبناء.

جدول رقم 06: يمثل توزيع العينة حسب أداء الصلاة مع الجماعة

المحافظة على الصلاة مع الجماعة	التكرار	النسبة%
في الزاوية	**71**	**52,2**
في المسجد	**64**	**47,1**
أحيانا ما أصليها جماعة	**1**	**0,7**
المجموع	**136**	**100,0**

[1]- ابن منظور، **المرجع السابق** ، ص256.

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن أغلب مفردات العينة وبنسبة 52.2% يؤدون الصلاة في الزاوية بينما 47.1% يؤدونها في المسجد، إذن نستنتج أن أغلب المريدين يؤدون الصلاة جماعة في الزاوية هذا ما تفرضه عليهم الطريقة التجانية، وهم قد تعهدوا بذلك سابقا ومن سلوكيات الطريقة هو أن يهتم المريد قبل كل نافلة كيفما كانت بأداء الصلاة الفريضة في أوقاتها، ومع الجماعة في الزاوية بإتقان تام إذا تعسر عليه في الزاوية فيؤديها في المسجد ولا يتهاون عليها، هذا ما نلمسه في الفئة الثانية وهم الذين يصلون في المسجد مع الجماعة ويبررون عدم صلاتهم مع الجماعة في الزاوية لبعد مقر الزاوية عن السكن أو أنهم يشتغلون أيام الأسبوع بعيدا عن مقر الزاوية.

إلا أن صلاة الأبناء مع الجماعة لها دلالات إحصائية أيضا ما يوضحه الجدول الموالي.

جدول رقم 07: يمثل توزيع العينة حسب أداء الأبناء للصلاة في وقتها

أداء الأبناء للصلاة في وقتها	التكرار	النسبة%
مع الجماعة	104	76,5
في المنزل	32	23,5
المجموع	**136**	**100,0**

من هذا الجدول نلاحظ أن نسبة 76.6% من أبناء المريدين يؤدون الصلاة في وقتها مع الجماعة تليها نسبة 23.5% هم الأبناء الذين يصلون الصلاة في المنزل وفي وقتها

نستنتج من الجدول أن أغلب الآباء الذين يحرصون على صلاة الجماعة سواء في الزاوية أو المسجد أبنائهم يصلون جماعة في المسجد ما وضحه الجدول 06، لتعذر ذهاب الأبناء إلى الزاوية إلا من كان منزله قريبا من الزاوية فأغلب أفراد العينة إذا حان وقت الصلاة بادروا بالذهاب إلى المسجد أو الزاوية لأداء الصلاة مع الجماعة ويؤكد معظم أبناء المريدين أن والديهم يبينون حزنا وندما كبيرا إذا فأتتهم صلاة الجماعة ويلمسون تأثرا كبيرا إزاء ذلك أيضا نجد أغلب المريدين يطلبون من أبنائهم إيقاظهم للصلاة حتى أن بعض المريدين قالوا أنهم يمدحون من يوقضهم لصلاة الفجر من أبنائهم وتكون له مكافأة، أما الفئة الثانية وهم الذين يصلون في المنزل فيعترف الآباء أنهم لا يأخذون أبنائهم معهم إلى المسجد فمنهم من يبرر ذلك بأنه أمرهم كثيرا لكنه يأس من كثرة عدم الاستجابة .

والجدول الموالي يوضح العلاقة بين التزام الآباء بالصلاة مع الجماعة وبين أداءها في وقتها من طرف الأبناء ويبين العلاقة بين الأب وابنه فيما يخص هذا الأمر

جدول رقم 08: يوضح العلاقة بين التزام الآباء بأداء الصلاة مع الجماعة وبين أداء الأبناء للصلاة في وقتها

التزام الآباء بأداء الصلاة مع الجماع / أداء الأبناء للصلاة في وقتها	في الزاوية		في المسجد		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
مع الجماعة	95	%95,0	9	%25,0	**104**	**%76,5**
في المنزل	5	%5,0	27	%75,0	**32**	**%23,5**
المجموع	**100**	**%73.5**	**36**	**%26.5**	**136**	**%100**

من خلال هذا الجدول والذي يوضح العلاقة بين التزام الآباء بأداء الصّلاة في وقتها مع الجماعة وبين أداء الأبناء الصّلاة في وقتها، نلاحظ أن الاتجاه العام أداء الأبناء لصّلاة في وقتها مع الجماعة بنسبة 76.5% ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 95% من الأبناء الذين يقومون بأداء الصّلاة وآبائهم يلتزمون بأدائها في الزاوية وضمن هذا الاتجاه أيضا نسبة 25% وهم الأبناء الذين يؤدونها مع الجماعة وآبائهم يلتزمون بأدائها في المسجد أيضا أما ثاني اتجاه وبنسبة 23.5% هم الأبناء الذين يؤدون الصلاة في وقتها في المنزل ويتضمن هذا الاتجاه أعلى نسبة وهي 75 % هم الآباء الذين يصلونها في المسجد بينما نجد في نفس الاتجاه بنسبة 05% آبائهم يصلونها في الزاوية.

إذن نستنتج من الجدول أعلاه تحصلنا على علاقة طردية بين الأبناء والآباء ويتضح جليا أن الابن نسخة من أبيه يحاول أن يقلده في كل شيء حتى في الصّلاة والمحافظة عليها فالأب هو المسؤول عن تصرفات ابنه إن أحسن التصرف فابنه يحسن التصرف وذلك من خلال ما لمسناه في دراستنا أن معظم الآباء الذين يصطحبون معهم أبنائهم إلى الزاوية أو إلى المسجد أغلبهم يؤكدون أن أبنائهم يحافظون على الصّلاة مع الجماعة، فهذا النوع من الالتزام الذي تفرضه الزاوية بالدرجة الأولى على الأب المريد بمرور الزمن سنجد الابن يتبع طريق أبيه في تصرفاته.

2. التزام الأب المريد بأداء الورد المعلوم في وقته وتأثير ذلك على الأبناء.

والتزام الأب المريد بالذهاب إلى مجلس الذكر وعلاقته بذهاب الأبناء إلى هذا المجلس ستوضحه الجداول التالية، هذا من الالتزامات التي يركز عليها في الزاوية.

جدول رقم 09 :يمثل توزيع العينة حسب الالتزام بأداء الورد المعلوم

الالتزام بأداء الورد المعلوم	التكرار	النسبة%
أداوم على ذلك	82	60,3
على حسب أوقات العمل	54	39,7
المجموع	**136**	**100,0**

تؤكد النسب الواردة في الجدول أعلاه أن اغلب المبحوثين يلتزمون بأداء الورد المعلوم بنسبة 60.3% أما الورد فهو أستغفر الله 100 مرة وصلاة الفاتح 100 مرة " اللهم صل عل سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم " ولا إله إلا الله 100 مرة وهذا الورد يقرأ مرتين في اليوم والليلة مرة في الصباح ومرة في المساء وفيه كذلك أذكار أخرى فيصعب أداء هذا الورد على بعضهم لأدائه كل يوم صباح ومساء وهؤلاء يمثلون 39.7% منهم من يشتغل تجارة مثلا أو زراعة فلا يستطيع الالتزام بها يوميا ولكن هم معترفون بهذا التقصير.

والجدول الموالي يوضح تأثير الآباء على الأبناء في موضوع أداء الورد المعلوم

جدول رقم 10: يوضح العلاقة بين التزام الآباء بأداء الورد المعلوم في وقته و حرص الأبناء على حفظ الورد المعلوم

التزام الآباء بأداء الورد المعلوم / حرص الأبناء على حفظ الورد المعلوم في وقته	أداوم على ذلك		على حسب أوقات العمل		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
كل يوم يخصص له وقت	36	%43,9	23	%42,6	**59**	**%43,4**
على حسب أوقات الفراغ	30	%36,6	29	%53,7	**59**	**%43,4**
لا يهتمون لذلك	16	%19,5	2	%3,7	**18**	**%13,2**
المجموع	**82**	**%60.3**	**54**	**%39.7**	**136**	**%100**

من خلال هذا الجدول والذي يوضح العلاقة بين التزام الآباء بأداء الورد المعلوم في وقته وبين حرص الأبناء على حفظ هذا الورد، نلاحظ أن الاتجاه العام للأبناء يحرصون على حفظ الورد المعلوم كل يوم يخصص له وقت للحفظ بنسبة 43.4% ضمن هذا الاتجاه نجد أن آباءهم يداومون على ذلك بنسبة 43.9% في نفس الاتجاه وبنسبة 42.6% هم الآباء الذين يؤدون الورد المعلوم في وقته على حسب أوقات العمل نجد في الاتجاه الثاني نسبة 43.4% وهي نفس النسبة مع الاتجاه السابق وتمثل الأبناء الذين يحفظون الورد المعلوم على حسب أوقات الفراغ، ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 53.70% وتمثل الآباء المريدين الذين يلتزمون بالورد المعلوم على حسب أوقات العمل، ثاني نسبة في هذا الاتجاه وهي 36.6% هم الآباء الموردين الذين يلتزمون دائما بأداء الورد المعلوم في وقته أما الاتجاه الثالث وبنسبة 13.2% هم الأبناء الذين لا يهتمون بحفظ الورد المعلوم نجد ضمن هذا الاتجاه نسبة 19.5% تمثل آبائهم الذين يداومون على هذا الورد أما 03.7% وهي أقل نسبة في الجدول تمثل الأبناء الذين لا يهتمون بالورد وآبائهم لا يلتزمون بذلك .

نستنتج من الجدول أن الاتجاه العام يمثل الأبناء الذين يحرصون على حفظ الورد المعلوم ويذهبون مع آبائهم إلى مجالس الذكر طواعية ويحرصون على حفظ الأذكار التي تهذب النفس هذا لم يأتي من عدم بل جاء بتأثر الابن بأبيه، فعندما يرى الابن أباه متمسكا بورد صباح مساء يحاول أن يكون مثل أبيه في إتقان هذا الورد وحرصه على حفظه وأدائه كل صباح ومساءا بينما نجد ثاني فئة وهم الأبناء الذين يجعلون أوقات حفظ هذا الورد على حسب أوقات فراغهم فهؤلاء الأبناء لديهم ارتباطات سواء دروس دعم أو دراسة في الجامعة مما يصعب من إيجاد أوقات فراغ تخصص لحفظ هذا الورد فكلما التزم الأب المريد بأداء هذا الورد، زاد حرص الابن متأثر بأبيه هذا ما لمسناه عند نزولنا إلى الميدان وهو محاولة الابن تقليد أبيه في الطهارة البدنية والثوبية ولبس القميص وعليه الجلابية الصوفية ووضع العمامة على الرأس حتى كيفية الجلوس واختيار المكان وعدم الكلام كثيرا، هذا التقليد أيضا نلمسه من الجدول التقاء مداومة الآباء على الورد مع الأبناء الذين يخصصون كل يوم وقت لحفظه وذلك في اكبر نسبة في الجدول وبدرجة أقل يقل التزام الآباء على حسب أوقات العمل يلتقي في الجدول مع حفظ الأبناء للورد على حسب أوقات الفراغ في أعلى نسبة إذن كلما زاد التزام الآباء بأداء هذا الورد زاد حرص الأبناء على تقليد الآباء في هذا الالتزام.

3.التزام الأب المريد بقراءة القرآن وتأثير ذلك على الأبناء.

ولقراءة القرآن أهمية كبيرة لدى مريدي الطريقة وهذا ما يكشفه الجدول التالي.

جدول رقم 11: يمثل توزيع العينة حسب الالتزام بقراءة القرآن

الالتزام بقراءة القرآن	التكرار	النسبة %
كل يوم	80	58,8
مرة كل أسبوع	55	40,4
مرة كل شهر	1	7
المجموع	**136**	**100,0**

من خلال الجدول أعلاه نجد نسبة 58.8 % هي أعلى نسبة في الجدول و تمثل المبحوثين الذين يلتزمون بقراءة القرءان كل يوم تليها نسبة 40.4 % والتي تمثل نسبة المبحوثين الذين يلتزمون بقراءة القرآن كل أسبوع ثم أقل نسبة وهي 7 % والتي تمثل مبحوثا واحدا يقرا القرآن مرة في الشهر .

نستنتج من الجدول أن أغلب المبحوثين يلتزمون بقراءة القرآن لاقتناعهم بأهمية هذا الأمر في حياة المسلم وما تمليه عليهم الطريقة وتشدد عليهم فيما يخص قراءة القرآن ولأن الشيخ التجاني حفظه صغيرا وشدد على حفظه فيجعلون ذلك قدوة في حياتهم.

إذن لابد من وجود علاقة بين قراءة الآباء للقرآن الكريم وبين حرص الأبناء على قراءة القرآن هذا ما زاد من تشبثهم بالطريقة وزاد من حرصهم على البقاء فيها والجدول الموالي نتائجه توضح ذلك أكثر

جدول رقم 12: يوضح العلاقة بين سبب البقاء في الطريقة وبين قراءة الأبناء للقرآن الكريم

سبب البقاء في الطريقة / قراءة الأبناء للقرآن	الحاجة الروحية في العبادة		**المجموع**	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
كل يوم	105	%77,2	**105**	**%77,2**
مرة كل أسبوع	31	%22,8	**31**	**%22,8**
المجموع	**136**	**%100**	**136**	**%100**

من الجدول أعلاه والذي يوضح العلاقة بين سبب البقاء في الطريقة وبين قراءة الأبناء للقرآن الكريم، وحسب الاتجاه العام وهو قراءة الأبناء للقرآن الكريم بنسبة 77,2% كل يوم، تتضمن نسبة 77,2 % أيضا وهم آباء هؤلاء الأبناء الذين صرحوا ببقائهم في الطريقة التجانية للحاجة الروحية في العبادة، أما ثاني اتجاه يمثل الأبناء الذين يقرؤون القرآن كل يوم بنسبة أقل من الأول 22,8% وتتضمن الآباء الذين صرحوا أن بقائهم في الطريق سببه الحاجة الروحية في العبادة مثل سابقيهم مما يعني أن جميع المريدين سبب بقائهم في إتباع الطريقة هو للحاجة الروحية في العبادة ما يمليه منهجها من إتباع لمبادئ الشرع .

نستنتج أن جل أبناء المريدين يقرؤون القرآن ويضعون أورادا لذلك منهم من يقرأ كل يوم وردا وذلك ما يدل عليه الجدول، ومنهم من يقرأ وردا كل أسبوع إلا أن آباؤهم أي مفردات العينة اجمعوا على أن بقائهم في الطريقة راجع للحاجة الروحية في العبادة يقول احد المبحوثين كيف لا ومنهج الطريقة التجانية يقوم على مجاهدة النفس ومحبة الآخرين وتهذيب النفس والسير على نهج الصالحين، والتحلي بالروح الإسلامية ويرى آخر أن المحور الذي تدور حوله الطريقة التجانية هو تثبيت العقيدة الدينية وتربية الضمير وتنمية الوازع الديني، ويهدف بصفة عامة إلى

تربية الإنسان على ممارسة النشاط الروحي ممارسة صحيحة، أيضا الاستقامة الصدق هذا ما جعل الأبناء يتحلون بما يزرعه آباؤهم فيهم فمنهم من يفرض قراءة القرآن على أبناءه ومنهم من تربوا على ذلك اقتداء بوالديهم، أما الذين يقرؤونه كل أسبوع لديهم انشغالات الدراسة أو العمل، وعدم الضغط عليهم يولد لديهم حب قراءة القرآن، ما يوضحه الجدول الموالي من حرص للأبناء على قراءة القرآن

جدول رقم 13: يمثل توزيع العينة حسب قراءة الأبناء للقرآن الكريم

قراءة الأبناء للقرآن الكريم	التكرار	النسبة %
كل يوم	105	77,2
مرة كل أسبوع	31	22,8
المجموع	**136**	**100,0**

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن أغلب أبناء المريدين يقرؤون القرآن وذلك بنسبة **77.2%** من مفردات العينة والذين يرون أن أبنائهم يقرؤون وردا من القرآن كل يوم، أما نسبة **22.8 %** فيقرؤون وردا كل أسبوع، فعند مقابلتنا للآباء تكلمنا عن هذا الجانب فيرون أن قراءة الأبناء للقرآن ترفع من الجانب الإيماني لديهم أيضا وارتباطهم بالمسجد والزاوية من خلال قراءة القرآن أيضا بث روح الهمة والشوق في نفوس الأبناء في قراءة القرآن وحفظه، أما نسبة **22.8%** والذين لا يقرؤون القرآن فيرجعون ذلك إلى صغر سنهم أو انشغالهم بالواجبات المدرسية وأيضا عدم الضغط لكي يحبّب إليهم قراءة القرآن سواء في البيت أو المسجد أوفي الزاوية.

4. مواظبة الأب المريد على حضور الهيللة ومجلس الذكر (الوظيفة) مع الجماعة وتأثير ذلك على الأبناء

وتشدد الطريقة أيضا على حضور الهيللة مع الجماعة هذا ما يوضحه الجدول التالي.

جدول رقم 14: يمثل توزيع العينة حسب المواظبة على حضور الهيللة مع الجماعة

المواظبة على حضور الهيللة مع الجماعة	التكرار	النسبة %
بدون انقطاع	107	78,7
على حسب الظروف	20	14,7
لا يتسنى لي حضورها	9	6,6
المجموع	**136**	**100,0**

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن أغلب أفراد العينة والمقدرة نسبتهم بـ 78.7% يواظبون على حضور الهيللة مع الجماعة، والهيللة هي أن يجتمع الشيخ مع مريديه بمقر الزاوية يوم الجمعة بعد صلاة العصر في حلقة ذكر يذكرون الله ويهللون ويستغفرون ويصلون على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم جماعة وبصورة موحدة وذكر كلمة التوحيد لا إله إلا الله فوق 100مرة، وقد ركزت الطريقة على هاته الصورة الجماعية في الذكر وأثبتت أنها أجدى في هذا المجتمع دعما للجماعة وربط أواصر القربى وتصفية للأرواح وقد يكون في هذا اللقاء اقتداء بالصلاة الجامعة التي تفوق صلاة القصر أضعافا مضاعفة وتحمل أبعادها، أما نسبة 14.7% من مفردات العينة يحضرون الهيللة أحيانا ويبررون ذلك ببعد المسافة وقلة وسائل النقل أو تصادفها مع أوقات العمل التي تمنع من الحضور كل جمعة أو ظروف أخرى أما نسبة 6.6% من مفردات العينة فلا يحضرون إلى مجلس الهيللة وذلك راجع إلى كبر السن فمنهم من تجاوز سن 67 سنة وتعذر عليه الذهاب إلى مقر الزاوية المتواجدة بعين ماضي أو لإعاقة حركية منعته من حضور هذا المجلس هذا ما صرح به المبحوثون.

جدول رقم 15: يوضح العلاقة بين مداومة الآباء على مجلس الذكر وبين ذهاب الأبناء إلى هذا المجلس

مداومة الآباء على ذهاب الأبناء إلى هذا المجلس / مجلس الذكر	كل جمعة		أحيانا		لا أداوم		**المجموع**	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
يحرصون على ذلك	23	%25,0	7	%18,9	1	%14,3	**31**	**%22,8**
ترغمهم على ذلك	44	%47,8	28	%75,7	5	%71,4	**77**	**%56,6**
لا يبالون بذلك	25	%27,2	2	%5,4	1	%14,3	**28**	**%20,6**
المجموع	**92**	**%67.6**	**37**	**%27.2**	**7**	**%5.2**	**136**	**%100**

يبين الجدول أن أعلى نسبة تمثل الاتجاه العام هي 56.6 % في هذا الاتجاه نجد أعلى نسبة وهي 75.7 % من الأبناء الذين يميلون للذهاب إلى مجلس الذكر وآباءهم أحيانا ما يذهبون إلى هذا المجلس وثاني نسبة وتقدر بـ 71.4% من هذا الاتجاه وتمثل الأبناء الذين يميلون إلى هذا المجلس وآباءهم لا يداومون عليه أما النسبة 47.8% من نفس الاتجاه وتمثل الأبناء الذين يميلون إلى هذا المجلس وآباؤهم يداومون عليه كل جمعه، أما نسبة 22.8% وتمثل ثاني اتجاه في الجدول وهم الأبناء الحريصين على حضور مجلس الذكر أعلى نسبة في هذا الاتجاه هي 25% تمثل الأبناء الحريصين على هذا المجلس وآبائهم يذهبون إليه كل جمعة وأقل نسبة في هذا الاتجاه وهي 14.3% تمثل الأبناء الحريصين على هذا المجلس وآباءهم لا يداومون على هذا المجلس، ثالث اتجاه في هذا الجدول بنسبة 20.6% وهم الأبناء الذين لا يبالون بالحضور لهذا المجلس، يتضمن نسبة 27.2 % وهي أعلى نسبة في هذا الاتجاه وتمثل الأبناء الذين لا يبالون بالحضور لهذا المجلس وآباؤهم يلزمون بهذا المجلس كل جمعة أقل نسبة في هذا الاتجاه مقدرة بـ5.4 % تمثل الأبناء الذين لايبالون بهذا المجلس وآباؤهم أحيانا ما يحضرون لهذا المجلس.

نستنتج من الجدول أن أغلب الأبناء يذهبون لمجلس الذكر سواء حرص منهم أو رغبتا من آبائهم وذلك ما يبينه الجدول، فهذا المجلس الذي تولي الطريقة التجانية له اهتماما كبيرا، ما يزيد من تقوية الروابط الاجتماعية بين المريدين وأبناء المريدين أنفسهم، وتنشئتهم على روابط الانتماء الديني والطرقي هذا المجلس ينعقد كل جمعة بعد صلاة العصر ما يجعل ظهر الجمعة للقاء الأحبة والأصدقاء والجيران وعصرها في مجلس الذكر (الوظيفة) للقاء الإخوة ومريدي الطريقة التجانية وأحبابها ما يزيد العلاقات الاجتماعية متانتًا ووثوقا، فأختلف حضور المريدين إلى هذا المجلس ما بين مداوم وأحيانا ما يحضر لهذا المجلس فالأول تفرغ لهذا المجلس وأعطى له عناية كبيرة ما أثر على أبنائه بحرصهم أيضا على ذلك، أما الذين أحيانا ما يحضرون فنجدهم أصحاب المهن الحرة الذين لا يعرفون الراحة أو العطلة مما جعل حضورهم إلى هذا المجلس متذبذبا، ما أثر أيضا على أبنائهم بتذبذبهم في حضور هذا المجلس المهم بالنسبة للطريقة، وهناك مريدين يبعد عليهم مقر الزاوية مما صعب الوصول إليها ، فيتعذر عليهم حضور هذا المجلس وينعدم حضور أبنائهم.

و ذهاب الابناء لمجلس الذكر (الوظيفة) يختلف من ابن لابن، هذا ما يدل عليه الجدول التالي.

جدول رقم 16: يمثل توزيع العينة حسب ذهاب الأبناء إلى مجلس الذكر(الوظيفة)

ذهاب الأبناء إلى مجلس الذكر(الوظيفة)	التكرار	النسبة %
يحرصون على ذلك	31	22,8
ترغمهم على ذلك	77	56,6
لا يبالون بذلك	28	20,6
المجموع	**136**	**100,0**

تشير النسب التي في الجدول أعلاه أن أعلى نسبة وهي 56.6% تمثل أفراد العينة وهم الأبناء الذين يرغمهم آبائهم على الذهاب إلى مجلس الذكر (الوظيفة) ثم تليها نسبة 22.8% ممن يواظبون على الذهاب إلى مجلس الوظيفة ثم بعد ذلك نسبة 20.6% الذي لا يبالون بهذا المجلس، ومنه نستنتج أن أغلب أبناء المريدين يذهبون رغبتا من آبائهم إلى مجلس الذكر والذي يكون بعد صلاة عصر الجمعة إلى الغروب وتكون فيه ثلاثين مرة أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثم خمسين مرة " صلاة الفاتح " ولا تصح بغيرها من الصيغ ثم اثني عشر مرة " جوهر الكمال" لمن حفظها وأستكمل شروطها وإلا فهي تستبدل بعشرين من صلاة الفاتح ثم الهيللة وهي ذكر الكلمة المشرفة "لا إله إلا الله" بلا عدد فعند حضورنا إلى هذا المجلس لاحظنا أن أغلب الأبناء يحفظون هذه الأذكار ويرددونها بصوت مرتفع مع الجماعة وهذه النتائج تدل على أن الآباء الذين يرغمون أبنائهم على الحضور هم في سن المرهقة أما الشباب يحضرون طواعية من أنفسهم أما الذين ذكروا أن أبنائهم لا يحضرون ولا يهتمون لذلك فيبررون ذلك بأن أبناءهم صغار في السن أو لبعد المسكن عن الزاوية.

جدول رقم17: يوضح العلاقة بين سن الآباء وبين ذهاب الأبناء إلى مجلس الذكر

سن الآباء / ذهاب الأبناء إلى مجلس الذكر	]أقل من35]		[36- 45]		]-55 46[		]-65 56[		[66فمافوق[		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
يحرصون على ذلك	0	%0	4	%12,5	20	%25,6	3	%16,7	4	%57,1	**31**	**%22,8**
ترغمهم على ذلك	1	%100	3	%9,4	56	%71,8	14	%77,8	3	%42,9	**77**	**%56,6**
لا يبالون بذلك	0	0%	25	%78,1	2	%2,6	1	%5,6	0	%0	**28**	**%20,6**
المجموع	**1**	**%0.7**	**32**	**%23.5**	**78**	**%57.4**	**18**	**%13.3**	**7**	**%5.1**	**136**	**%100**

من خلال هذا الجدول والذي يوضح العلاقة بين الآباء وبين ذهاب الأبناء إلى مجلس الذكر(الوظيفة) نلاحظ أن الاتجاه العام في إرغام الأبناء على الذهاب لمجلس الذكر بنسبة 56.6%، ضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 77.8% في الفئة العمرية [56-65] يرغمون أبناءهم للذهاب إلى مجالس الذكر بأقل نسبة 71.8% تتمركز في الفئة العمرية [46-55] ضمن نفس الاتجاه، أما نسبة 42.9% وهي للفئة العمرية[66 فما فوق[في نفس الاتجاه العام، أما الاتجاه الثاني وهو الأبناء الذين يحرصون على الذهاب إلى مجلس الذكر وبنسبة 22.8% نجد ضمن هذا الاتجاه نسبة 57.1% وهي أعلى نسبة تمثل الفئة العمرية [66 فما فوق[. بينما ثاني نسبة في نفس الاتجاه وتمثل الفئة العمرية [46-55] وهي 25.6% أما ثالث اتجاه وهو رغبة الآباء في أخذ الأبناء إلى مجالس الذكر وتمثل نسبة 20.6% فقط ونجد أعلى نسبة ضمن هذا الاتجاه وهي78.1% والتي تمثل الأبناء الذين يذهبون رغبة لآبائهم وتتمركز بالفئة العمرية[36-45] أما النسب الأخرى فهي قليلة مقارنة بما ذكرناه وليس لها تأثير.

نستنتج من النتائج المحصى عليها أن الأبناء الذين يرغمهم آباؤهم للذهاب إلى مجلس الذكر هم أبناء الفئتين العمريتين الغالبتين على مفردات العينة الفئة [56-65] بالدرجة الأولى والفئة العمرية [46-55] بالدرجة الثانية والسبب أنها تأثرت بالفكر الصوفي الذي ظهر بقوة في مرحلة طفولتهم وشبابهم أي بعد خروج المستعمر من الأراضي الجزائرية، هذا ما أثر على أبنائهم فربوا على المنهج الصوفي التجاني وتأثروا بإنجازات الزوايا أثناء الاستعمار والدور الذي قدمته هذا ما لمسناه في الميدان فجل مفردات هاتين الفئتين يصطحبون معهم أبناءهم إلى مجالس

الذكر(الوظيفة) سواء كان ذلك طواعية أو باستعمال أسلوب الترهيب حتى أنهم لا يقبلون أي مبرر من أبنائهم عن التخلف عن موعد الوظيفة أما الفئة [66 فما فوق[فهم كبار في السن فمنهم الكفيف الذي لا يقدر هو على الحضور ولكن أبناءه يحضرون ومنهم من قال عن ابنه "راه كبير ويعرف صلاحو، أنا ربيتوا وكبرتوا وضرك هو حر"، أما الفئتين]أقل من 35] والفئة [36-45] فأبناءهم لا يذهبون إلى مجالس الذكر منهم من يبرر ذلك بصغرهم ومنهم من تأثر بالتيارات الأصولية وأصبحت هذه الفئات غير حريصة على تعليم أبنائهم مبادئ الطريقة التجانية لكثرة الرؤى والاتجاهات مما جعلها في صراع فكري ثقافي صعّب من مهمة تنشئة الأبناء وكيفية تحديد وتوضيح لهم الطريق الصحيح على عكس الفئتين السابقتين الذين يرون أن الزاوية مركزا للإشعاع العلمي الديني.

5.التزام الأب المريد بالمشاركة في احتفالات المولد وتأثير ذلك على الأبناء.

إلا أن التزام الأب المريد بالذهاب إلى احتفالات المولد له دلالته على أن الأب متمسك ومقتنع بإتباعه للطريقة و نتائج الجدول التالي توضح علاقة هذا بذهاب الأبناء إلى هذا الاحتفال ومدى حرصهم على ذلك.

جدول رقم 18:يوضح العلاقة بين مشاركة الآباء في احتفالات المولد وبين ذهاب الأبناء إلى هذه الاحتفالات

المشاركة في احتفالات المولد / ذهاب الأبناء إلى احتفالات الزاوية	كل سنة		أحيانا		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
بإنتضام	45	%50,6	5	%10,6	**50**	**%36,8**
أحيانا	42	%47,2	35	%74,5	**77**	**%56,6**
لايذهبون	2	%2,2	7	%14,9	**9**	**%6,6**
المجموع	**89**	**%65.5**	**47**	**%34.5**	**136**	**%100**

الجدول الذي يوضح العلاقة بين مشاركة الآباء في احتفالات المولد وبين ذهاب الأبناء إلى هذه الاحتفالات، نلاحظ أن الاتجاه العام أحيانا ما يذهب الأبناء إلى هذه الاحتفالات بنسبة 56.6% وهي أعلى

نسبة في الجدول تتضمن نسبة 74.5% تمثل الأبناء الذين أحيانا ما يذهبون وآباءهم كذلك أحيانا ما يذهبون، وفي نفس الاتجاه نجد أيضا نسبة 47.2% تمثل الأبناء الذين أحيانا ما يذهبون لكن آبائهم ملتزمون بحضور هذا الاحتفال، ثاني اتجاه ونسبته 36.8% تمثل الأبناء المواظبين على حضور احتفالات المولد، يتضمن هذا الاتجاه نسبة 50.6% تمثل الأبناء الذين يواظبون على الحضور وآباءهم يلزمون أيضا بالحضور كل سنة أما النسبة 10.6% هم الأبناء المواظبين على الحضور وآباؤهم ملتزمون بذلك، والاتجاه الثالث وتمثله أقل نسبة وهي 06.6% تمثل الأبناء الذين لا يحضرون إلى الاحتفالات ويتضمن نسبة 14.9% وتمثل الأبناء الذين لا يذهبون إلى هذه الاحتفالات بينما آباؤهم أحيانا ما يذهبون، وفي نفس الاتجاه نسبة 02.2% تمثل الأبناء الذين لا يذهبون لكن آبائهم ملتزمون بذلك.

نستنتج من الجدول أن أبناء المريدين أغلبهم يذهبون إلى هذه الاحتفالات التي تقام بمناسبة المولد وليلة القدر، مما يعني أن أغلب المريدين وأبناؤهم يشاركون في هذه الاحتفالات ويلتزمون بحضورها ففي هذه الاحتفالات يركز الآباء على اصطحاب الأبناء إلى هذه الاحتفالات لتنشئتهم وتكوينهم دينيا سواء لأبناء المريدين أو أبناء المحبين، ففيها ترتبه روحية ومحافظة على الاحتفال بمولد النبيئ تتخلله محاضرات لسيرته ومدائح وأناشيد تنشد بعظمة النبي صلى الله عليه وسلم وخصاله الحميدة فبهذه الأنشطة التي تولى اهتماما كبيرا بالروحية (العقائدية) بنسبة كبيرة يرى فيها الأب المريد أن الإيمان بالله هو الذي يخرجه من رقة العبودية للمادة، والإسلام هو الذي يستمد منه أصول التربية هذا ما يحاوِل إيصاله لأبنائه، ويعمل جاهدا على تثبيت العقيدة الدينية وتنمية الوازع الديني لديهم.

نتائج الفرضية الأولى

-كلما التزم الأب المريد بأداء الورد المعلوم في وقته زاد هذا من حرص الأبناء على حفظ هذا الورد.

-كلما التزم الآباء المريدين بأداء الصلاة مع الجماعة وفي الزاوية زاد هذا من حرص الأبناء على أدائها في وقتها .

- كلما التزم الآباء المريدين بالذهاب إلى مجلس الذكر (الوظيفة) زاد هذا من حرص الأبناء على حضور هذا المجلس .

- كلما التزم الآباء المريدين بحضور احتفالات المولد زاد هذا من حرص الأبناء على حضور هذه الاحتفالات.

- كلما التزام الآباء المريدين بحضور الهيللة كل جمعة زاد من حرص الأبناء على تعلم مبادئ الطريقة.

-كلما كان سن الآباء المريدين يتراوح مابين [46-55]زاد هذا من ذهاب الأبناء إلى مجلس الذكر و حرصهم على فهم منهج الطريقة.

من خلال هذه النتائج يتضح أنه كلما زاد التزام الأب المريد وهذا ما تحصلنا عليه في نسب الجداول زاد نقل القيم الدينية المتحصل عليها من الطريقة إلى الأبناء نقول هنا أن نتيجة الفرضية الأولى مقبولة.

المبحث الثالث: ولاء الأب المريد لمشايخ ومرجعيات الطريقة التجانية ونقل القيم الدينية للأبناء.

وضعنا الفرضية الثانية والتي مفادها أنه كلما زاد ولاء الأب المريد لمرجعيات ومشايخ الطريقة التجانية زاد نقله للقيم الدينية لأبنائه ولقد اعتمدنا على المؤشرات التالية: سبب إتباع الطريقة، مدى تأثير الانتقادات صعوبة الانتقال إلى طريقة أخرى ، الاعتزاز بالانتماء للطريقة، الاقتناع بأفضلية الطريقة، زيارة الأولياء غير التابعين للطريقة، مدى استمرار الوفاء لشيخ الطريقة، ، تقبل النقد من الشيخ، تخاصم الزملاء ومن يصلح بينهم، وهل يتأثر الأبناء بهذا، هذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال الجداول الآتية.

1. تمسك الأب المريد بالطريقة التجانية وتأثير ذلك على الأبناء.

جدول رقم 19 : يمثل توزيع العينة حسب سبب إتباع الطريقة التجانية

سبب إتباع الطريقة التجانية	التكرار	النسبة%
الأسرة	120	88,2
جماعة الرفاق	16	11,8
المجموع	**136**	**100,0**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن أغلب المبحوثين وبنسبة 88.2% كان سبب إتباعهم للطريقة هو الأسرة، مقارنة مع تأثير جماعة الرفاق وذلك بأقل نسبة 11.8% ما يدل على أن الأسرة لها تأثير على الطفل في تكوين شخصيته ولذلك فهذا الاختلاف الكبير بين النسبة الأولى والثانية كان بسبب الأسر هذا ما ميز بين المريدين أنفسهم فيهم من اختار الطريقة التجانية منذ الصبا وفيهم من اختارها وهو شاب فهناك أسر متسلطة متدخلة في أمور أبنائها فنجد مثلا الأب مريدا في الطريقة التجانية متحكم في شؤون البيت ويتدخل في شؤون أبنائه كشكل اللبس ونمط تدينهم وأصدقائهم وشكل الدراسة وتخصصها هذا النوع من الأسر يخلق نوعين من الأبناء مطيع و متمرد ، إذن فأغلب مفردات العينة كان من النوع المطيع الذي اختار ما اختارته له أسرته وهو إتباع المنهج الصوفي التجاني.

والجدول المالي يوضح أكثر مدى تمسك الآباء المريدين بالطريقة ومشايخها وذلك من جانب الانتقادات

جدول رقم20: يمثل توزيع العينة حسب مدى تأثير الانتقادات الموجهة للشيخ وللطريقة التجانية

مدى تأثير الانتقادات	التكرار	النسبة %
كأنها لشخصك	110	80,9
تؤثر فيك	26	19,1
المجموع	**136**	**100,0**

نلاحظ من الجدول أعلاه أن أغلب مفردات العينة بنسبة 80.9% يرون الانتقادات الموجهة للطريقة التجانية هي انتقادات لشخصهم وهذا دليل على أنهم مقتنعون بأن هذه الطريقة بنيت على أساس الذكر والعبادة والانقطاع عن الدنيا وزخارفها والتركيز على حب الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يمكن إقناعهم بعكس ذلك أو الدخول معهم في مناقشات لتمسكهم واقتناعهم بما تشبعوا به في منهج الطريقة هذا ما لمسناه من بعض المريدين، أما نسبة 19.1% من مفردات العينة فتؤثر فيهم تلك الانتقادات الموجهة للطريقة بطريقة أقل من الأولى ذلك أنه يحس بهذا في نفسه لكن لا يبديها لغيره ولا يدخل في مشاحنات بل يكتفي بالصمت ويرون أن الانتقادات الموجهة إليهم كانت في فترات متكررة من قبل تيارات إسلامية متعصبة لا يعترفون بفكرة المذاهب والطرق الصوفية فاغلب المريدين لا يتقبلون فكرة تكفير مشايخ الطريقة التجانية والطريقة في حد ذاتها ويرون أن الهدف الوحيد للطريقة هو تحسين العلاقة بين العباد وربهم .

والجدول الموالي يوضح مدى صعوبة الانتقال إلى طريقة أخرى، ذلك ما يبين أكثر تمسك الآباء المريدين بالطريقة التجانية.

جدول رقم 21: يمثل توزيع العينة حسب وجود صعوبة في الانتقال لطريقة أخرى

وجود صعوبة في الانتقال لطريقة أخرى	التكرار	النسبة %
نعم	67	49,3
لا	69	50,7
المجموع	**136**	**100,0**

تأكد النسب الواردة في الجدول أعلاه أن بنسبة 50.7% من المبحوثين لا يجدون صعوبة في الانتقال لطريقة صوفية أخرى لأنه لا فرق بين الطرق، وهذا راجع لاقتناعهم بالطريقة التجانية وما تساهم به من مساعدات لهم سواء مادية أو روحية إضافة إلى العلاقة الطيبة للطريقة التجانية مع جميع الطرق تجسيدا لوحدة المجتمع ويرون أنها طريقة محبة ورحمة ولا يرون النقص أو التقصير في هذه الطريقة ما يجعلهم يغيرونها، أما نسبة 49.3% من مفردات

العينة فيجدون صعوبة في الانتقال إلى طريقة أخرى هذه الصعوبة تكمن في تعلقهم التام والراحة الذاتية التي يجدونها في الطريقة وأنها تلبي حاجاتهم الروحية والجدول الموالي يوضح علاقة الأب المريد بوالديه في موضوع إتباعه للطريقة التجانية وهل هم راضين عن إتباعه للطريقة أم أن هناك رفض في هذا الموضوع.

جدول رقم22: يمثل توزيع العينة حسب العلاقة مع الوالدين فيما يخص إتباعه للطريقة

العلاقة مع الوالدين فيما يخص إتباع الطريقة	التكرار	النسبة %
جيدة	130	95,6
حسنة	6	4,4
المجموع	**136**	**100,0**

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن أعلى نسبة في الجدول وهي 95.6% والتي تمثل الأفراد الذين لديهم علاقة جيدة مع والديهم فيما يخص إتباعهم للطريقة أما نسبة 4.4 % وهي النسبة التي تمثل أفراد العينة الذين لديهم علاقة حسنة مع والديهم في موضوع إتباعهم للطريقة.

نستنتج مما سبق أن أولياء المريدين جلهم من أتباع الطريقة التجانية فهم حريصين أشد الحرص على تلقين أبنائهم منهج الطريقة والذين يرون أنها طريقة علم ومعرفة وعمل وإخلاص، وكل المتمسكين بها يرون أنها منهج تربوي واجتماعي وإسلامي بحيث أن القرآن والسنة النبوية هما عمودها الفقري وكغاية لمجموعة تدريبات أو سلوكيات روحية وأخلاقية لتهذيب النفس وتربيتها وترويضها عمليا على الطاعة والبلوغ بها إلى أقصى درجات المعرفة، هذا ما يراه آباء أفراد العينة، ما ينعكس على الأبناء في فهمهم للمنهج الروحي للطريق هذا ما يوضحه الجدول الموالي أكثر.

جدول رقم 23: يمثل توزيع العينة حسب مدى استيعاب الأبناء للمنهج الروحي للطريقة

مدى استيعاب الأبناء للمنهج الروحي للطريقة	التكرار	النسبة %
نعم	122	89,7
لا	14	10,3
المجموع	**136**	**100,0**

ومن خلال النتائج المحصل عليها في الجدول يتضح أن أغلب أبناء الموردين وبنسبة 89.7% قد استوعبوا المنهج الروحي للطريقة والذي يرى جميع المريدين وبالإجماع أن هذا المنهج مشيد على قواعد الكتاب والسنة فهذا المنهج على حسبهم جاء ليهذب الروح ويطهر البدن وذلك باقتلاع الصفات الأخلاقية المذمومة الكامنة وإخلائها منها واستبدالها بغرس جميع الصفات والفضائل الأخلاقية المحمودة شرعا وتحليها بها، هذا ما جعل جميع المريدين وعلى حسب النتائج المحصل عليها من هذا الجدول يعملون على بث المنهج الروحي وتوضيحه لأبنائهم لكي يستوعبوه ويساعدونهم على ذلك، أما نسبة10.3% من الآباء والذين قالوا إن أبنائهم لم يستوعبوا المنهج الروحي للطريقة فبرروا ذلك بأن أبنائهم صغار ولازال الوقت مبكرا حتى تظهر النتيجة.

2. اقتناع واعتزاز الأب المريد بإتباعه للطريقة وتأثير ذلك على الأبناء.

من الجدول الموالي والذي يبين اقتناع الآباء المريدين بالطريقة أي أنهم يجعلونها من أولا اهتماماتهم ما سنراه في هذا الجدول

جدول رقم24: يمثل توزيع العينة حسب الاقتناع بالطريقة التجانية

الاقتناع بالطريقة التجانية	التكرار	النسبة %
هي الأفضل	130	95,6
هي الأحسن	6	4,4
المجموع	**136**	**100,0**

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن أعلى نسبة هي 95.5% تمثل مفردات العينة الذين يؤكدون اقتناعهم بأفضلية الطريقة التجانية، أما نسبة 4.4% تمثل مفردات العينة الذين يرون أنها أحسن أي بدرجة أقل.

نستنتج من خلال هذه المعطيات أن هذا الاقتناع راجع لما تقوم عليه الطريقة من أصول، فالأصل الأول أن الأوراد التي يتمسك بها التجانيون تعتبر نذر على من تمسك بها وجعلها على صفة النذر طبعا ويرفع من درجة أهميتها

كما أيضا يؤكد مستوى الالتزام والإلزامية بالنسبة للسالك عليها، الأصل الثاني الذي تعتمد عليه الطريقة هو اعتبارها أن الأخوة في الله رحم بين أهلها، بل وإن بعض مشايخها قال بأن ملاقاة الإخوان خير من الأوراد والأذكار لأن ملاقاة الإخوان لا تعوض بعكس الأذكار التي يمكن أن تعوض فيما بعد ، من هنا يكمن الاقتناع التام الذي لا يشوبه الشك بالطريقة التي تسهر على جعل الفرد صالحا داخل أسرته وفي مجتمعه.

والجدول التالي يوضح العلاقة بين اعتزاز الآباء بالانتماء للطريقة وبين صعوبة تعلم مبادئ الطريقة على الأبناء

جدول رقم 25: يوضح العلاقة بين الاعتزاز بالانتماء للطريقة وبين وجود صعوبة على الأبناء في تعلم مبادئ الطريقة التجانية

الاعتزاز بالانتماء للطريقة / وجود صعوبة على الأبناء في تعلم مبادئ الطريق	دائما		أحيانا		**المجموع**	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	7	%5,4	1	%16,7	**8**	**%5,9**
لا	123	%94,6	5	%83,3	**128**	**%94,1**
المجموع	**130**	**%95.6**	**6**	**%4.4**	**136**	**%100**

من خلال هذا الجدول والذي يوضح العلاقة بين الاعتزاز بالانتماء للطريقة وبين وجود صعوبة على الأبناء في تعلم مبادئ الطريقة، نلاحظ أن الاتجاه العام لا وجود لصعوبات على الأبناء في تعلم مبادئ الطريقة بنسبة 94.1 % يتضمن هذا الاتجاه نسبة 94.6% هم الأبناء الذين لا يجدون صعوبة في تعلم مبادئ الطريقة وآبائهم دائما يعتزون بانتمائهم للطريقة، بينما في نفس الاتجاه نجد نسبة 83.3% هم الأبناء الذين لا يجدون صعوبة في تعلم مبادئ الطريقة لكن آبائهم أحيانا ما يشعرون بالاعتزاز بانتمائهم للطريقة، ثاني اتجاه في هذا الجدول نسبة 05.9 % وهي نسبة ضعيفة مقارنة بالأولى هم الأبناء الذين يجدون صعوبة في تعلم مبادئ

الطريقة، يتضمن هذا الاتجاه نسبة 16.7 % آبائهم أحيانا ما يشعرون بالاعتزاز بالانتماء للطريقة وثاني نسبة بنفس الاتجاه وهم الآباء الذين يعتزون بالانتماء للطريقة بنسبة5.4%.

نستنتج من الجدول أن معظم الأبناء لا يجدون صعوبة في فهم و تعلم مبادئ الطريقة راجع هذا إلى أن آبائهم قد أثرت عليهم التربية الروحية في سلوكهم واهتمامهم بالتربية الصوفية، وهذا ما يدل عليه الجدول في اعتزازهم بالانتماء للطريقة هذا الاعتزاز راجع لعدة عوامل من بينها اعتزازهم بنظام الطريقة ويتبعون أساليبها كالحلقات مجالس الذكر مما سهل عليهم مهمة نقل مبادئ الطريقة للأبناء بطريقة سلسة، لكن هناك من المريدين من يشعر أحيانا بالاعتزاز بالطريقة فهم لم يلتزموا بأمور الدين وظروفهم الشخصية هي التي منعتهم من حضور الحلقات ما أثر على الأبناء وزاد من الهوى بينهم وبين أبناء المريدين الآخرين وأيضا الهوى بين أبناءه وبين مبادئ الطريقة مما قلل من اعتزازهم بالطريقة لعدم فهمهم مبادئها فعدم الاعتزاز أدى إلى صعوبة فهم مبادئ الطريقة لدى الأبناء كذلك.

والجدول التالي يوضح العلاقة بين الاقتناع بالبقاء في الطريقة وبين قراءة الأبناء للقرآن الكريم.

جدول رقم 26: يوضح العلاقة بين الاقتناع بالبقاء في الطريقة وبين قراءة الأبناء للقرآن الكريم

بقاؤك في الطريقة / تغير الأبناء بفهمهم لمنهج الطريقة	الأفضل		الأحسن		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	121	%93,1	2	33,3%	**123**	**%90,4**
لا	9	%6,9	4	66,7%	**13**	**%9,6**
المجموع	**130**	**%95.6**	**6**	**%4.4**	**136**	**%100**

من خلال هذا الجدول والذي يوضح العلاقة بين الاقتناع البقاء في الطريقة وبين تغير الأبناء بفهمهم لمنهج الطريقة، نلاحظ أن الاتجاه العام تغير الأبناء بنسبة 90,4% وهي أكبر نسبة، يتضمن نسبة 93,1% وتمثل تغير الأبناء وبقاء الآباء في الطريقة هو الأفضل، ثاني نسبة في نفس الاتجاه وهي 33,3% تمثل تغير الأبناء لكن بقاء الآباء في الطريقة هو الأحسن بدرجة أقل من النسبة الأولى، ثاني اتجاه في الجدول بنسبة 9,6% وهي نسبة

ضئيلة مقارنة بالاتجاه الأول وتمثل الأبناء الذين لم يتغيروا يتضمن نسبة 66,7% هم الذين لم يتغيروا وآباؤهم يرون أن بقائهم في الطريقة هو الأحسن، ثاني نسبة في نفس الاتجاه وهي 6,9% تمثل الأبناء الذين لم يتغيروا وآباؤهم يرون أن بقائهم في الطريقة هو الأفضل.

نستنتج من النتائج المتحصل عليها من هذا الجدول أن أغلب أفراد العينة أبنائهم تغيروا بفهمهم لمنهج الطريقة بنسبة 90,4% ويرون أن بقائهم في الطريقة هو الأفضل، هذا راجع لما نهلوه من قيم في الطريقة وهي التمسك بالقيم الأخلاقية والتعاون مع الآخرين، هذه القيم لها اثر ايجابي مما يؤثر على المريد بصفتها أحد الجوانب الهامة في تكوين شخصية الإنسان، أما عن القيم الأخرى فتتمثل في قيم الخير ومحبة الناس وهنا نستكشف أن الطريقة لها دور ايجابي في جعل المريد فردا صالحا في المجتمع ما أعطاه نظرة ايجابية بأن البقاء في الطريقة هو الأفضل وهذا انتقل بطريقة مباشرة إلى الأبناء الذين كان التغير واضحا في علاقاتهم مع بعضهم وفي انضباطهم نحو الواجبات الدينية مثل الصلاة وحفظ الورد المعلوم وحضور مجالس الذكر وقراءة القرآن وحب الآخرين والتعاون وتحليهم بمحاسن الآداب وحسن المعاشرة فيعفوا عن زلل إخوانهم أو زملائهم وينهوا عن النميمة سواء في الأسرة أو خارج المنزل ويحاولون توثيق عرى المودة بينهم وبين أصدقائهم أيضا، ويتناصحون ويصلحون ذات بينهم هذا ما أكده جميع أفراد العينة أما الذين لم يتغيروا فهم الذين صرح آبائهم بأنهم صغار في السن أو آباؤهم لم يفهموا فحوى السؤال هذا فأجابوا بعدم تغير أبنائهم.

3. ولاء الأب المريد لمشايخ ومرجعيات الطريقة وتأثير ذلك على الأبناء.

والجدول الموالي يوضح مدى استمرار الوفاء للشيخ أحمد التجاني عن العهد الذي قطع له أول مرة بالتمسك بمبادئ الطريقة التجانية وعدم الزيغ عنها.

جدول رقم 27: يمثل توزيع العينة حسب استمرار الوفاء لشيخ الطريقة التجانية

استمرار الوفاء لشيخ الطريقة التجانية	التكرار	النسبة %
نعم	128	94,1
لا	8	5,9
المجموع	**136**	**100,0**

من خلال الجدول أعلاه وحسب النسبة الأعلى 94.1% من مفردات العينة التي تمثل الأفراد الذين هم مستمرون في الوفاء لشيخ الطريقة وهو مؤسسها أحمد بن محمد التجاني وهذا الوفاء يكون على العهد الذي قطعه

المريد أول مرة لشيخ الطريقة على ألا يتراجع وأن يستمر في ولاءه له وللطريقة والدعاية لها ويكون هذا بوضع يده على يد الشيخ ويواعده بالتقيد بأوامره ويكن له الاحترام الكامل والخضوع التام له وأن لا ينقطع عن الزاوية والشيخ ويرتبط به ذهنيا ونفسيا، أما النسبة 5.9% من مفردات العينة والذين يرون أنهم غير أوفياء لشيخ الطريقة فهم يبررون ذلك بأنهم زاغوا عن العهد الذي قطعوه للشيخ وبأنهم يتخلفون على مجالس الذكر وأنهم ينقطعون عن الزاوية والشيخ إلا أن هذا الرأي فيه نوع من التحسر وتأنيب الضمير فهم يعترفون بتقصيرهم لكنهم يتمنون رضاه ويكنون له الولاء والتقدير على"حسب رأيهم".

والجدول التالي يبين العلاقة بين تقبل النقد من الشيخ وبين خروج الأبناء عن تعاليم الطريقة.

جدول رقم 28: يوضح العلاقة بين تقبل النقد من الشيخ وبين خروج الأبناء عن تعاليم الطريقة

تقبل النقد من الشيخ / خروج الأبناء عن تعاليم الطريقة	بصدر رحب		بتضمر		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	**التكرار**	**النسبة**
نعم	3	%2,5	0	%0	**3**	**%2,2**
لا	115	%97,5	18	%100	**133**	**%97,8**
المجموع	**118**	**%86.8**	**18**	**%13.2**	**136**	**%100**

من خلال الجدول أعلاه والذي يوضح تقبل النقد من الشيخ وبين خروج الأبناء عن تعاليم الطريقة نلاحظ أن الاتجاه العام عدم الخروج الأبناء عن تعاليم الطريقة يمثل أكبر نسبة 97,8% وضمن هذا الاتجاه نجد نسبة 100% من الأبناء الذين لا يخرجون عن تعاليم الطريقة وآباؤهم يتقبلون النقد بتذمر من شيخ الطريقة أما النسبة الثانية في نفس الاتجاه وهي 97,5% وهم الأبناء الذين لم يخرجوا عن تعاليم الطريقة وآباؤهم يقبلون النقد من شيخ الطريقة بصدر رحب، أما ثاني اتجاه في الجدول هم الأبناء الذين خرجوا عن تعاليم الطريقة بنسبة 2,2% وهذه النسبة لا تذكر مقارنة بنسب الاتجاه الأول يتخللها نسبة 2,5% تمثل الأبناء الذين خرجوا عن تعاليم الطريقة وآباؤهم يتقبلون النقد بصدر رحب من شيخ الطريقة .

نستنتج من الجدول أن اغلب المبحوثين أبناؤهم لم يخرجوا عن تعاليم الطريقة التجانية وهم يقبلون النقد من الشيخ بصدر رحب، فحب الأب المريد وولائه لمرجعيات الطريقة ومشايخها جعله يتقبل النقد ويراه دائما نقدا ايجابيا وجوهريا ومهم لتقييم أدائه ودفع مسيرة الطريقة التجانية إلى الأمام، فنجد اغلب أفراد العينة يتقبلون النقد مهما كان مستواهم العلمي أو الوظيفي أو الاجتماعي و يتآلفون مع هذا النقد الذي هو من طرف الشيخ ما دلّ على ولاء وحب جميع الآباء المريدين لمشايخهم كما قال احدهم أن النقد من الشيخ هو عبارة عن معلومات يمكن أن تساعدني على تطوير أدائي واجتهادي داخل وخارج الزاوية، وهو أيضا عبارة عن تعلم ما كنت اجهله من معارف قيمة من شيخي ، إذ يرى احد الآباء المريدين أن النقد هو تقديم مقترحات لتحقيق مزيد من الفعالية، من هنا نقول أن لدينا عينة جل أفرادها يكنّون الولاء للشيخ ولمرجعيات الطريقة مما جعلهم لا يتقبلون الخطأ من أبناءهم ولا يتساهلون معهم في أمور الدين والضبط الشرعي هو الحكم في هذه القضايا، أي خروجهم عن تعاليم الطريقة، فهم يعلمونهم الانصياع لتعاليم الطريقة منذ الصغر ولا خيار لهم في خلافه، فلا حرية ولا تساهل في تعلم تعاليم الطريقة لكن هناك ثقة متبادلة بين الأب المريد وأبنائه وهناك حوار متبادل ما أعطى مكانة للأب المريد داخل أسرته، أما الذين يتقبلون النقد بتذمر فهم الذين يرونه من زاوية ضيقة كأن يقول الأب المريد إنني اشعر أن النقد من الشيخ شيء سلبي، ولا أحب أن اشعر أني ارتكبت خطأ ويجب علي أن أتغير هؤلاء لم يفهموا معنى النقد، هذا ليس أنهم لا يكنون الولاء للشيخ أما الأبناء الذين خرجوا عن تعاليم الطريقة هم صغار السن لم يفهموا الالتزام بتعاليم الطريقة ولم يذهبوا يوما إلى مجلس الذكر ولا يعرفون حتى القراءة.

ومن الأمور التي ينهى عليها منهج الطريقة وهو زيارة الأولياء غير التابعين للطريقة ما يوضحه أكثر الجدول التالي.

جدول رقم 29: يمثل توزيع العينة حسب زيارة الأولياء غير التابعين للطريقة التجانية

زيارة الأولياء غير التابعين للطريقة	التكرار	النسبة %
دائما	22	16,2
أحيانا	31	22,8
أبدا	83	61,0
المجموع	**136**	**100**

تؤكد النسب الواردة في الجدول أعلاه أن أغلب مفردات العينة والمقدرة نسبتهم بـ: 61.0% لا يقومون بزيارة الأولياء غير التابعين للطريقة التجانية ويدل هذا على تمسكهم بمبادئ الطريقة التي تنهى عن زيارة الأولياء غير التابعين لها وإلزاما على كل مريد أن يتقيد بهذا الأمر الذي أمر به شيخ الطريقة لأنه في بادئ الأمر عبارة عن عهد قطعه المريد لشيخه فيكون الإخضاع والاحترام الكامل لشيخ الطريقة كما يصبح بذلك للمريد كشعور جديد يتمثل في ارتباطه الذهني والنفسي للشيخ فقط، ويبقى هذا الأخير أحب إليه من نفسه وأهله أما نسبة 22.8% من مفردات العينة فأحيانا ما يذهبون لزيارة الأولياء غير التابعين لطريقة، وهذا راجع لاتساع نظرتهم ويرون الإسلام دين يسر وواقعية ووسطية واعتدال ويبغض كل مظاهر التعصب الفكري أو المذهبي وهذا هو رأيهم أما النسبة 16.2% فدائما يزورون الأولياء غير التابعين للطريقة ويبررون ذلك بأن جل هؤلاء الأولياء سواء التجانيون أو غير التجانيين يشهد لهم بالولاء فهم يأخذون بنفس المذهب الفقهي المتبع في المنطقة وهذا هو المهم

.

4.الإصلاح بين الزملاء وتأثير ذلك على الأبناء

جدول رقم 30: يوضح العلاقة بين تخاصم الزملاء وبين تغير الأبناء

تخاصم الزملاء / تغير الأبناء في	الشيخ يصلح بينهم		أنت تصلح بينهم		**المجموع**	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
الالتزام بالواجبات والفروض الدينية	103	%79,2	4	%66,7	**107**	**%78,7**
حب الآخرين	5	%3,8	1	%16,7	**6**	**%4,4**
الانضباط	11	%8,5	1	%16,7	**12**	**%8,8**
التعاون مع الآخرين	11	%8,5	0	%0	**11**	**%8,1**
المجموع	**130**	**%95.6**	**6**	**%4.4**	**136**	**%100**

من خلال الجدول هذا والذي يوضح العلاقة بين تخاصم الزملاء وبين تغير الأبناء نلاحظ أن الاتجاه العام وبنسبة 78,7% الأبناء الذين تغيروا وكان تغيرهم في الالتزام بالواجبات والفروض الدينية يتضمن هذا الاتجاه نسبة 79,2% هم الأبناء الذين تغيروا في الالتزام بالواجبات والفروض الدينية وآباؤهم يحبون أن يرجعوا تخاصم الزملاء إلى الشيخ ليصلح بينهم أما نسبة 66,7% فهم الأبناء الذين تغيروا في الالتزام بالواجبات وآباؤهم يحبون

أن يصلحوا هم بين زملائهم دون الرجوع إلى الشيخ ليصلح بينهم أما نسبة 8,2% هم الأبناء الذين تغيروا وأصبحوا منضبطين ويتضمن هذا الاتجاه نسبة 16,7% وهم الأبناء الذين تغيروا في حب الآخرين وآباؤهم يصلحون هم بين زملائهم أيضا نجد ضمن الاتجاه نسبة8,5% من الأبناء المنضبطين وآباؤهم يحبون أن يرجعوا تخاصم الزملاء إلى الشيخ أما تغير الأبناء في حب الآخرين والتعامل مع الآخرين كان بنسب قليلة لا تذكر.

إذن نستنتج من النتائج المحصل عليها أن جل الأبناء الذين تغيروا من جانب التزام بالواجبات والفروض الدينية وهم أبناء المريدين الذين يرجعون تخاصم زملائهم إلى شيخ الطريقة ليصلح بينهم هذا ما دل على ولاء الآباء المريدين لشيخ الطريقة، يحترمونه ويقتدون به ما يجعلهم يتغيرون في معاملة أبنائهم ولا يكون أسلوبهم متسلط ولا يفرضون عليهم الطاعة بل من أنفسهم نشئوا على الطاعة لأن التسلط على الأبناء يضعف نشأة الابن فتقل قدراته الإبداعية في كثير من المجالات هذا ما نلمس عكسه في الجدول مما يدل على أن الآباء لا يستعملون الأسلوب المتسلط، فتغير الأبناء إلى الإيجاب وخاصة من الجانب الروحي الديني، والتزامهم بالواجبات الدينية ونلمس التغير في مجالات أخرى مثل حب الآخرين والانضباط والتعاون مع الآخرين أما الآباء الذين يحبون أن يصلحوا بين زملائهم فيرجعون ذلك إلى أنهم لا يحبون أن يدخلوا شيخ الطريقة في مشاكلهم البسيطة التي يمكن حلها بينهم فقط فأبناؤهم أيضا تغيروا إلى الأحسن وخاصة في الالتزام بالفروض والواجبات الدينية مما لا يدع مجالا للشك بأن الأبناء متأثرين بوالديهم المريدين من الجانب الروحي التعبدي فنجد كل التغير كان في الالتزام بالواجبات والفروض الدينية فيحاول كل ابنٍ الاقتداء بابيه في صلاة الجماعة وصيام التطوع وحضور مجالس الذكر وحضور المناسبات الدينية والاحتفالات التي تقيمها الزاوية وذلك لكي يكون قريبا من الشيخ ويضمن رضاه مقتديا بابيه.

نتائج الفرضية الثانية

- كلم كان السبب الرئيسي في إتباع الطريقة هو الأسرة، زاد ذلك من قناعتهم بما اختارته أسرهم .

- كلما كانت علاقة الآباء المريدين مع والديهم في موضوع إتباعهم للطريقة علاقة جيدة زاد ذلك من الولاء المطلق للمشايخ منهم ومن أسرهم.

- أغلب المبحوثين أكدوا عدم زيارتهم لمشايخ طرق أخرى ما أكد ولائهم لمرجعيات الطريقة التجانية.

- أغلب المبحوثين أكدوا استمرار وفائهم لشيخ الطريقة ما دل على وفائهم لمشايخ الطريقة .

- جل أفراد العينة يعتبرون أن الانتقادات الموجهة للطريقة وللمشايخ كأنها انتقادات لشخصهم ما يدل على عمق الولاء لمرجعيات الطريقة.

- جل الآباء المريدين يؤكدون صعوبة الانتقال لطريقة أخرى ما دل على الاحترام والتقدير والقناعة بالطريقة التجانية.

- كلما زاد اعتزاز الآباء بانتمائهم للطريقة سهل تعلم مبادئ الطريقة على الأبناء

- كلما كان البقاء في الطريقة سببه الحاجة الروحية في العبادة زاد حرص الأبناء على قراءة القرآن.

-كلما زاد ولاء الأب المريد بتواجده في الزاوية زاد تغير الأبناء بفهمهم لمنهج الطريقة .

-كلما كان تقبل النقد من الشيخ بصدد رحب قل خروج الأبناء عن تعاليم الطريقة .

- كلما أرجع الأب المريد إصلاح ذات البين بين زملائه المتخاصمين للشيخ لولائه له زاد تغير الابن في التزامه بالواجبات والفروض الدينية .

- كلما كان سبب إتباع الطريقة هو الأسرة زاد هذا من ولاء الأب المريد لمرجعيات ومشايخ الطريقة.

- كلماكانت علاقة الأب المريد مع والديه في موضوع إتباعه للطريقة جيدة زاد ذلك من قوة ومتانة علاقته مع أبنائه في هذا الموضوع أيضا.

من خلال هذه النتائج يتضح أنه كلما زاد ولاء الأب المريد لمشايخ ومرجعيات الطريقة وهذا ما تحصلنا عليه في نسب الجداول زاد نقل القيم الدينية المتحصل عليها من الطريقة التجانية إلى أبناءهم نقول هنا أن نتيجة الفرضية الثانية أيضا مقبولة.

خلاصة الفصل

إن للقيم الدينية أثر على سلوك الأبناء يتمثل في الضبط والتوجيه من خلال التزام الآباء بها في سلوكهم العام، داخل وخارج الزاوية، وذلك يكون في الأقوال والأفعال، وقد تم التوصل إلى هذا من خلال تجسد بعض القيم الدينية التي تم اختيارها في هذه الدراسة وتأثيرها على سلوك الأبناء، مثل الالتزام بأداء الصلاة مع الجماعة، المحافظة على الأذكار، حضور مجلس الذكر، حضور احتفالات المولد، ومن خلال هذه الدراسة اتضح أن الطرق الصوفية تساهم في عملية دعم وتنمية القيم لدينية الإسلامية في نفوس الأفراد المنتمين إليها، هذا ما دلت عليه الالتزامات التي يقوم بها الآباء المريدين وأبنائهم داخل الزاوية التجانية، أيضا غرس في نفوس الآباء المريدين حب التعاون والصبر والأمانة والالتزام بآداب السلوك الصدق، الأخوة، حب الوطن، احترام الغير، الاهتمام بالمظهر بالحرص على النظافة، والحرص على اكتساب العلوم يعتبر من واجبات الفرد نحو الذات ما ينتقل إلى الأبناء عن طريق التنشئة ومن خلال هذه الدراسة أيضا توصلنا إلى قيمة الطاعة في سلوك الأبناء المريدين من خلال تقبلهم لتوجيهات الشيخ وتقبل نقده لهم، ما أعطى قيمة للأب المريد داخل أسرته في توجيه أبناءه وتقبل أبناءه.

وفي ضوء النتائج المتوصل إليها يمكننا طرح جملة من التوصيات والاقتراحات التي نرجو من خلالها أن نساهم ولو بقدر محدود في تفعيل العلاقة بين الأب المريد وبين أبناءه في ما يخص موضوع نقل القيم الدينية لهم .

1- على المؤسسات الدينية وفي مقدمتها المسجد أن يعمل على توعية دينية تربوية كتصحيح بعض المفاهيم وإعادة شرح الأدوار التربوية والدينية التي كانت تقوم بها الزوايا منذ القدم، بشكل مرن بدون تعصب مع نشر القيم مثل التآخي والمحبة بين أفراد المجتمع على اختلاف أطيافهم .

2- نتمنى من النخبة المثقفة أن تخصص جزءا من وقتها في القيام بمحاضرات ودراسات حول الطرق الصوفية والبحث أكثر في هذا التراث المندثر، وما فيها من قيم دينية وتربوية.

3- أيضا على الجمعيات والقائمين عليها تحسيس المجتمع خاصة فئات الشباب بضرورة التماسك على اختلاف التوجهات، لأن عصرنا الحالي هو عصر التكتلات وليس التفرقة .

4- زيادة الاهتمام بالجانب الروحي لموضوع الطرق الصوفية وتوفير كتب خاصة لأجل الإحاطة أكثر بهذا الموضوع.

5- محاولة الآباء والقائمين على الزوايا تطوير طرق ومناهج الدراسة والعمل على إدخال الوسائل التكنولوجية المواكبة للعصر خاصة الإعلام الآلي لاستقطاب الأجيال الجديدة.

6- ضرورة توفير معلمات ومرشدات في الزوايا لتعليم الإناث مبادئ ومناهج الطرق الصوفية لكي تسهل عملية التنشئة على الآباء

7- اهتمام الآباء بإعداد أبنائهم ليصبحوا قادة التغيير والإصلاح الذين يحملون المنهج الرباني ويسعون لتطبيقه في واقع المجتمع مع مراعاة حاجة الأمة وتطور المجتمعات، والاستفادة مما توصل إليه الآخرون من علوم والعمل على تحديث المجتمع المسلم، والابتعاد عن التغريب والتفرقة .

وفي الأخير نقترح دراسة حول

- دور المؤسسات التربوية في ترسيخ القيم الإسلامية لدى الشباب الجزائري.
- أساليب غرس القيم الدينية التربوية لدى النشء وترسيخها لدى الأبناء .

خاتمة

إن موضوع دراستنا تطرق لظاهرة الطرق الصوفية بمنظور سوسيوديني، وركزنا في هذه الدراسة المعمقة على الطريقة التجانية كدراسة ميدانية من ناحية تربوية دينية ومدى تأثير القيم الدينية الصوفية على الأبناء، بالتالي فإن ارتباط القيم بالدين ليس رغبة ذاتية أو ملأ فلسفيا ، وإنما هو حقيقة واقعية لدين هو مصدر القيم ، ونقصد هنا الدين الإسلامي فتربطه رابطة قوية بالقيم،هنا يمكننا القول بأن في النظام الإسلامي تؤدي القيم الدينية دورا كبيرا على النظم الاجتماعية فالنظام الصوفي مؤسس على قيم إسلامية ما زاد من وضوح الصورة لدى أبناء الصوفية وبخاصة في الطريقة التجانية موضوع الدراسة.

إن للزاوية التجانية دورا فعالا تؤديه في المجتمع، على اعتبار أنها بناءا اجتماعيا له وظيفته داخل المجتمع، فبالرغم من بساطة طرق التعليم فيها ووسائله إلا أن هذه الطرق والوسائل تحمل أثناء ممارستها قيم تربوية وأخلاقية فلا تقدم تعليما فقط وإنما تعطي علما وتربية انطلاقا من القدوة الحسنة للشيخ والمعلم فيتعلم الفرد احترام الجماعة والتأقلم معها وفق القوانين والظروف السائدة بها وفي المقابل تحترم الجماعة الفرد وتحتضنه وتؤويه وتحميه من آفات المجتمع من خلال الوفاق الذي بين المريد وشيخه وزاويته أو طريقته، وتتجلى فعالية هذه المؤسسة الدينية وما لها من تأثير على الذهنية الاجتماعية والجماعية لما تحمله من قيم ومعايير وأهداف تربوية لأن التعليم فيها محوره الرئيسي القرآن الكريم أي كتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام والذي يحضا بتقديس الجميع ومنه تستمد قوتها الروحية التي تسعى لترسيخها في الفرد بإنشاء جيل محافظ ملتزم منضبط ما يساعد هذا الجيل على تربية أبنائه وفق ما حملوه من قيم ومعايير تربوية،كما تعد من أهم المؤسسات التي تمتص وتستقطب الفئات المتسربة مدرسيا فتعيد تأهيلهم من جديد بما يفيدهم ويفيد المجتمع وتعد من أهم مؤسسات الضبط لما تحمله من مسائل ترغيب وترهيب تستنبطها من المبادئ الإسلامية فيتبعها الفرد ولا يحيد عنها طائعا مختارا فبعد التربية الروحية التي تلقاها والتعليم الديني تجده يمارس دوره الايجابي في المجتمع كفرد صالح متعلم يفيد وطنه ومجتمعه، والذي حاولنا دراسته في بحثنا

هذا هو ما تقدمه الزاوية التجانية بطريقتها الصوفية، للفرد المريد من قيم دينية تسهل عليه عملية تربية أبنائه وفق منهج ديني تربوي، ما جعلنا نعطي اهتماما لهذه الدراسة وندرسها دراسة سوسيودينية لأنها في تخصصنا علم اجتماع تربوي ديني، لتبقى ظاهرة الطرقية محل اهتمام ونقاش الباحثين لما تحمله من أفكار صوفية ودينية تشد اهتمامهم ، فهي ظاهرة تجمع بين ما هو ديني وصوفي وكذلك اجتماعي وثقافي وسياسي .

الملاحق

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي بغرادية

معهد العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم علم اجتماع

أخي المريد.

في إطار إنجاز مذكرة ماجستير بعنوان :"**القيم الدينية للطرق الصوفية والتنشئة الاجتماعية دراسة لعلاقة الآباء بالأبناء في الزاوية التجانية**" نضع بين أيديكم هذه الاستمارة راجين منكم التعاون بغرض إفادتنا في جمع البيانات ذات الصلة ببحثنا ، ونحيطكم علما بأن هذه المعلومات التي تدلون بها لن تستخدم إلا لغرض البحث العلمي مع المحافظة على سريتها.

ملاحظة

نرجو من حضرتكم الموقرة الإجابة على هذه الأسئلة و ذلك بوضع علامة (×) داخل الخانة المناسبة

وفي الأخير لكم منا أسمى عبارات الشكر.

مــن إعــداد الطالب :

تواتي خضرون

السنة الدراسة2011/2012ية

1/ البيانات الشخصية :

1 – السن : [أقل من35] ☐ [35-45] ☐ [46-55] ☐ [56-65] ☐ [66 فما فوق] ☐

2 – المستوى التعليمي : بدون دراسة ☐ ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐

3 – الحالة العائلية: أعزب ☐ متزوج ☐ مطلق ☐ أرمل ☐

4 – المهنة : بدون عمل ☐ عامل ☐

5– نوع العمل: عامل حر ☐ موظف ☐ إطار ☐ إطار سامي ☐

2/ البيانات المتعلقة بالالتزام الديني :

6–هل كان إتباعك للطريقة التجانية سببه ؟ الأسرة ☐ جماعة الرفاق ☐ لقربها من منزلك ☐

سبب آخر أذكره.....

7–هل تلتزم بأداء الصلاة في وقتها ؟ دائما ☐ أحيانا ☐ أبدا ☐

8– هل تحافظ على أداء الصلاة مع الجماعة ؟ في الزاوية ☐ في المسجد ☐ لا أصليها مع الجماعة ☐

9– هل تلتزم بأداء الورد المعلوم في وقته ؟– أداوم على ذلك ☐

– على حسب أوقات الفراغ ☐

– لا يمكنني الالتزام بأداءه ☐

10– هل تداوم على مجلس الذكر الخاص بالطريقة التجانية (الوظيفة)؟ –كل جمعة ☐

– أحيانا ☐

– لا أستطيع المواضبة عليه ☐

11– هل لديك أذكار أخرى تقوم بأدائها ؟ نعم ☐ لا ☐

إذا كان نعم ما هي هذه الأذكار.....

12– هل تشرك الورد المعلوم بورد طريقة صوفية أخرى ؟ دائما ☐ أحيانا ☐ أبدا ☐

13– هل تلتزم بقراءة القرآن ؟ كل يوم ☐ مرة كل الأسبوع ☐ مرة كل شهر ☐

14– هل علاقتك بوالديك في موضوع إتباعك للطريقة التجانية ؟ جيدة ☐ حسنة ☐ متوسطة ☐

15- هل تشارك في احتفالات المولد التي تقيمها الزاوية التجانية ؟ دائما ☐ أحيانا ☐ أبدا ☐

16- هل أنت مواظب على حضور الوظيفة والهيللة مع الجماعة ؟- بدون إنقطاع ☐

- على حسب الضروف ☐

- لا أحضرها ☐

3/ البيانات المتعلقة بالولاء لمرجعيات الطريقة التجانية :

17- هل تزور الأولياء الأموات غير التابعين للطريقة التجانية ؟ دائما ☐ أحيانا ☐ أبدا ☐

18- هل تحفظ أسرار زملائك المريدين وشيخ الطريقة التجانية ؟ حبا لهم ☐ احتراما لهم ☐ خوفا منهم ☐

19- هل تقدر الجهود التي يبذلها شيخ الطريقة في الزاوية التجانية ؟ نعم ☐ لا ☐ إذا كان نعم

فيما يتمثل تقديرك لشيخك.....

20 - هل تفي بالعهد الذي قطعته أول مرة لشيخك عند دخولك كمريد للطريقة التجانية ؟ نعم ☐ لا ☐

إذا كان نعم فيم يتلخص وفاؤك.....

21- هل تعتز بانتمائك للطريقة التجانية ؟ دائما ☐ أحيانا ☐ أبدا ☐

22- هل تعتقد أن الانتقادات الموجهة للطريقة التجانية ولشيخك ؟:- انتقادات لشخصك ☐

- تؤثر فيك ☐

- لا تولي لها اهتماما ☐

23- هل ترى أن انتماءك للطريقة التجانية لا تعوضه أي طريقة صوفية أخرى ؟ دائما ☐ أحيانا ☐ أبدا ☐

24- ما موقفك من شيخ الطريقة التجانية وهو يحثك على الالتزام بآداب السلوك والتحية واحترام الآخرين والالتزام بآداب المجالس؟ القبول ☐ التضمر ☐ الرفض ☐

حدثنا عن موقف حصل لك مع شيخك وهو يعضك.....

.....

25- هل تجد صعوبة في الانتقال إلى طريقة صوفية أخرى غير طريقتك المتبناة ؟ نعم ☐ لا ☐

إذا كان نعم ماهي هذه الصعوبات .....

.....

26- هل بقاؤك في الطريقة التجانية راجع لـ :- حاجتك الروحية في العبادة ☐

– للإستمتاع بقضاء أوقاتك فيها ☐

– لأن أصدقائك من مريديها ☐

وجود أسباب أخرى أذكرها.....

27- في حالة تخاصم زملائك هل ترجع ذلك إلى؟: – شيخ الطريقة ليصلح بينهم ☐

– تسعى أنت لتصلح بينه ☐

– لا تعر اهتماما لذلك ☐

28 – هل تقبل النقد الموجه إليك من طرف شيخك؟ بصدر رحب ☐ بتضمر ☐ بالرفض ☐

29- هل تعتقد أن بقاءك في الطريقة التجانية هو؟ الأفضل ☐ الأحسن ☐ لا بديل على ذلك ☐

4/ البيانات المتعلقة بالقيم الدينية للأبناء :

30- هل يؤدي أبناؤك الصلاة في وقتها؟ مع الجماعة ☐ في المنزل ☐ ليس في وقتها ☐

31- هل يذهب أبناءك إلى مجالس الذكر الخاصة بالطريقة التجانية؟ – حرصا منهم ☐

– يميلون إلى ذلك ☐

– ترغمهم على ذلك ☐

32- هل يحرص أبناءك على حفظ الورد المعلوم ؟ – كل يوم يخصص له وقت ☐

– على حسب أوقات الفراغ ☐

– لا يهتمون لذلك ☐

33- هل يقرأ أبناؤك القرآن الكريم ؟ كل يوم ☐ مرة كل أسبوع ☐ مرة كل شهر ☐

34- هل يذهب أبناؤك إلى احتفالات المولد وليلة القدر التي تقيمها الزاوية؟ – بإنتضام ☐

– أحيانا ما ☐

– لا يذهبون ☐

35- هل يحرص أبناءك على تعلم شروط ومبادئ الطريقة التجانية ؟ نعم ☐ لا ☐

36- هل صادف وأن خرج أبناؤك عن تقاليد الطريقة التجانية؟ نعم ☐ لا ☐

في حالة نعم كيف كان ذلك .....

37- هل يجد أبناؤك صعوبة في إتباع وتعلم ما تلقيته أنت في الطريقة التجانية؟ نعم ☐ لا ☐

إذا كان نعم في ما تتمثل هاته الصعوبات.....

38- هل ترى أن أبناؤك بفهمهم للمنهج الروحي للطريقة التجانية قد تغيروا ؟ نعم ☐ لا ☐

39 – فيما يتمثل هذا التغير ؟ – في الالتزام بالواجبات والفروض الدينية ☐ – في حب الآخرين ☐

– في الانضباط في المواعيد ☐ – في التعاون مع الآخرين ☐